تساؤلات الله في نبوة أرميا والمراثي



٦

الأنبا ايساك

اهداءات ٢٠٠٢

كنيسة مارجرجس

الاسكندرية

تساؤلات الله
فى نبوءة ارميا والمراثى

٦

الأنبا ايساك

اسم الكتاب : تساؤلات الله فى سفر أرميا والمراثى

إعداد : الأنبا إيساك

الناشر : كنيسة مارجرجس باسبورتنج

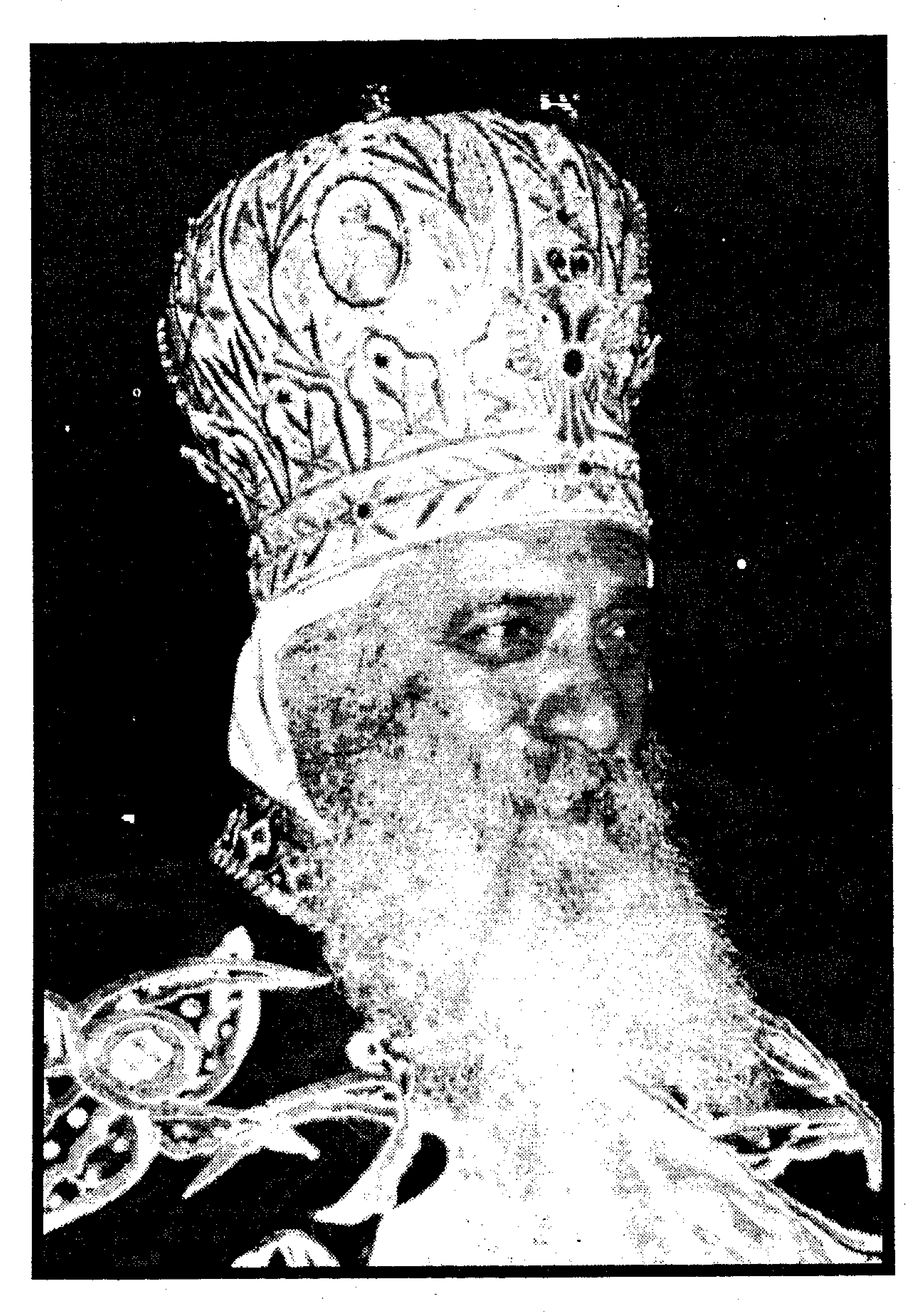
جمع كمبيوتر : الكرنك للكمبيوتر - ت ٠٣/٤٨٧٢٧١١

الطباعة : مطبعة الكرنك - ت ٤٨٦٢٩٨٠

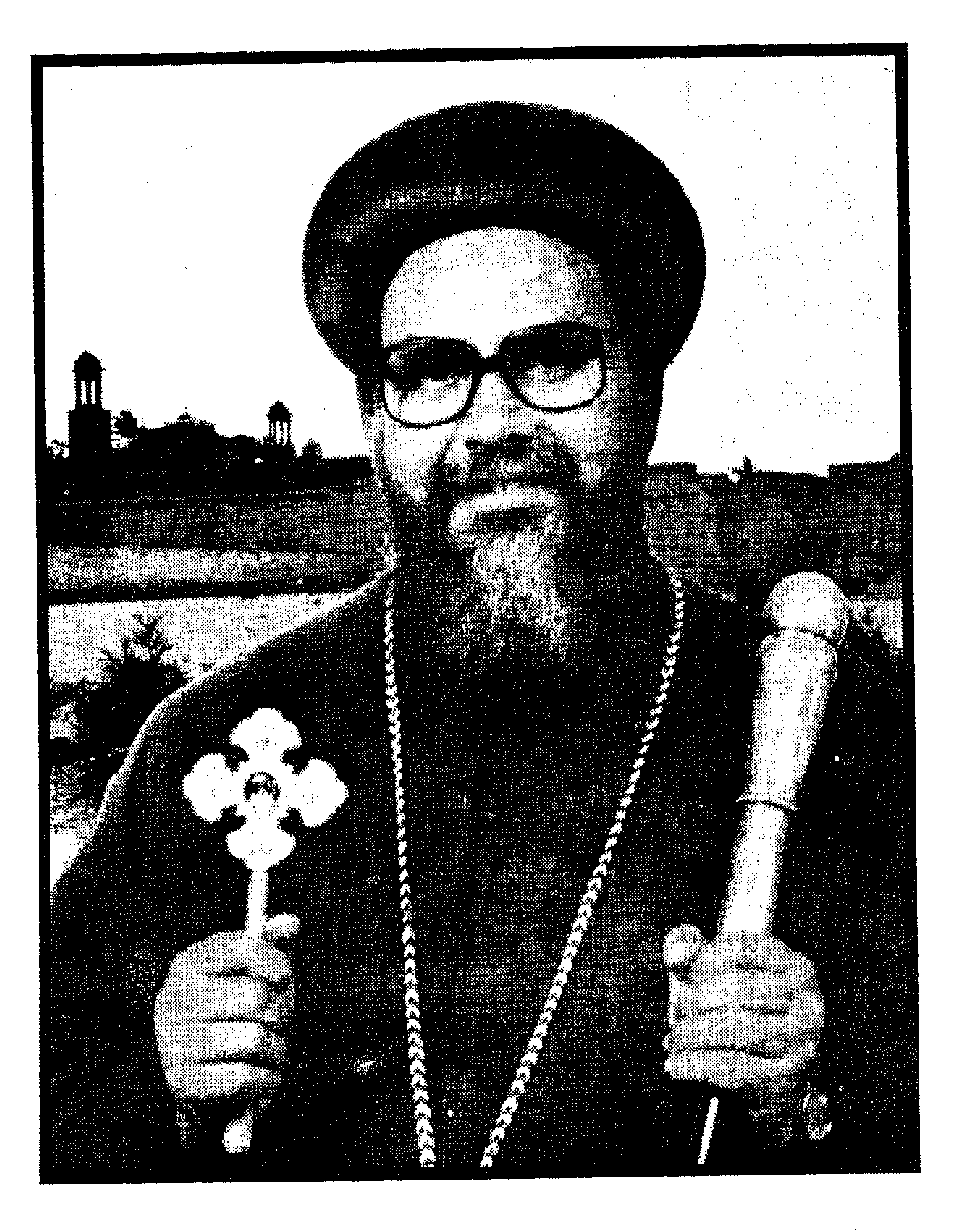
الطبعة : الأولى - أكتوبر ٢٠٠١

رقم الايداع : ١٢٠٩٧/ ٢٠٠١

الترقيم الدولى : ٤- ٠٩١٨- ٠٢ - ٩٧٧



قداسة البابا شنودة الثالث



نيافة الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العامر

بسم الآب والابن والروح القدس اله واحد آمين

مقدمة

سُئل البروفسر أحمد زويل ، العالم المصرى ، الحائز على جائزة نوبل فى الكيمياء . ما سر النبوغ فى العلم والمعرفة ؟

وكان رد هذا العالم النابغة : إنه أن تعرف كيف تسأل أسئلة ، وتبحث عن الرد عليها ... How to ask question . فكل ما كانت الأسئلة سطحية وتافهة ، كلما كانت المعرفة بالتالى سطحية وتافهة أيضاً . ولكن إن كانت الأسئلة عميقة وهامة ، تلك التى تبحث فى ألغاز الكون المحيط بنا ، كل ما كان هذا حافذاً للذهن أن يعمل ويبدع ... وهذا ما أنا أفعله مع تلاميذى الذين يُحضرون لرسائل الدكتوراة . كل رسالة هى عبارة عن محاولة للبحث عن رد على سؤال معين .

هذا بالضبط هو ما اكتشفته عن مقاصد الله لنا فى توجيه أسئلة بكثرة عبر الأسفار المقدسة . إنها أسئلة هامة وعميقة ، لا لحل ألغاز هذا الكون الزائل ، بل لحل ألغاز الأبدية وكيفية حياة الانسان باستقامة مع الله ... وكلما حاول الذهن أن يجد الرد المقنع عليه ، كلما أضاء جانب من جوانب هذا الموضوع الغامض عند البشر .

❋ ❋ ❋

وتعتبر تساؤلات الله فى نبوة أرميا والمراثى بنوع خاص ، من أعمق الأسئلة ، لأنها تُطرح أثناء حقبة تاريخية حرجة من تاريخ شعب الله ، حيث فيها يساق هذا الشعب إلى السبى بعد الدمار والتحطيم ... ترى كيف يتفق كل هذا مع ما عرفناه من طبيعة الله المحبة للبشر ؟ ولماذا سمح الله

به على هذه الصورة ؟ وما الدواعى التى حتمت هذا ؟ وما هو الخير المستفاد من هذه التجربة المثيرة الشديد المرارة ؟

لقد حاولت أن أتغلغل فى مشاعر وأحاسيس ذلك النبى الأمين ، الذى بلَّغ كل أقوال الله بكل أمانة ، رغم ما جلبت عليه هو نفسه من شقاء ودموع واضطهاد حتى أنه ألقى به فى سجن ، وفى جب موحل بالطين ! وعشت شهوراً وأنا أتعزى بالاكتشافات التى فى كلمة الله على فم هذا النبى العظيم أرميا ، فهتفت مع المزمور : « لكل تمام رأيت حداً ، أما وصاياك فواسعة جداً » (مز ١١٩ : ٩٦) .

❖ لقد حاولت أن أركز على فكرة واحدة رئيسية فى كل تساؤل واثقاً فى عمل روح الله القدوس الذى سيرشد كل قارئ إلى عشرات الأفكار الأخرى، للتعزى جميعاً ، لأن « الروح يهب حيث يشاء وتسمع صوته ، لكنك لا تعلم من أين يأتى ولا إلى أين يذهب » (يو ٣ : ٨) .

أتوسل إلى روح الله القدوس أن يمسح هذا الكتاب بمسحته المؤثرة المقدسة ...

مجداً للمسيح ...

وسلاماً وبنياناً لكنيسة الله المقدسة ...

آمين .

ايساك

الخميس ٥ أبيب سنة ١٧١٧ش

١٢ يوليو سنة ٢٠٠١م

عيد الرسل .

١- تأمل فيما حولك لتسمع صوت الله

❖ ماذا أنت راءٍ يا ارميا ؟ فقلت أنا راءٍ قضيب لوز (أر ١ : ١١)

❖ ماذا أنت راءٍ ؟ فقلت أنى راءٍ قدراً منفوخة ووجهها من جهة الشمال (أر ١ : ١٣)

❖ أرانى الرب ... ماذا أنت راءٍ يا ارميا ؟ فقلت تيناً ... (أر ٢٤ : ٣)

قرأت مقالاً فى مجلة دينية قديمة ، جمع فيها الصحفى الكاتب أقوال الآباء الأساقفة آنذاك ، وكانوا لا يزيدون عن اثنى عشر أسقفاً ، وهم يجيبون على سؤاله : ما هى الحكمة التى تتخذها شعاراً فى حياتك ؟ ... ولفت نظرى رد نيافة الأنبا ثاؤفيلس أسقف دير السريان إذ قال : « تأمل فيما حولك ، تجنى أشهى الثمرات » ...

❖ والتساؤلات الثلاثة التى من سفر أرميا ، والواردة هنا ، تعتبر منهجاً متكاملاً لعملية التأمل .

ففى الأول ... يبدو أن ارميا النبى كان وسط حديقة مزهرة ، بستان فواكه ، وأطال النظر فى أغصان شجرة اللوز يتأملها ، وإذ بصوت الله يدوى فى أعماقه : ماذا أنت راءٍ يا ارميا ؟

وفى الثانى - يبدو أن ارميا كان منهمكاً فى العمل أمام موقد الكانون ، وعليه قدر يغلى ... وإذ بصوت الله يدوى فى أعماقه وهو فى حالة تتبع شديد للقدر الذى يغلى ويقذف حممه من اتجاه الشمال نحو الجنوب ، ويقول الصوت : ماذا أنت راءٍ يا ارميا .

أما فى التساؤل الثالث – فقد تعمد الرب أن يرى ارميا النبيِ نوعين من التين ، أحدهما جيد جداً ، والآخر ردئ جداً . وإذ كان ارميا يحسن النظر بامعان والتأمل الجيد فيما يرى ، استغل الرب ملكة التأمل عند ارميا قائلاً له بعد كل وصف لما يرى ، أحسنت الرؤية ... ثم يعلن له عن نبوات الهية من واقع ما قد تأمله ورآه ...

❖ كان رجل اللّه دائمًا يُلقب بالرائى (١) ، لأنه رجل التأمل لكى يصل إلى ما وراء المادة ... فى التساؤل الأول رأى ارميا غصن شجرة لوز، وفى اللغة العبرية (ساكيد) أى لوز ، وهى قريبة من كلمة (سوكيد) فى اللغة العبرية أيضًا التى تعنى ساهر ... وترسيخ المعنى الالهى فى ذهن ارميا : أن اللّه ساهر على كلمته ليجريها (٢) .

– والقدر المنفوخ الذى يقذف حممًا أمام ارميا من فوق مرجل ... أفهم الرب ارميا عن طريقه أنه « من الشمال ينفتح الشر على كل سكان الأرض » (٣) . ونلاحظ أن الرب اكتفي بالقول : ماذا أنت راءٍ ؟ دون تحديد اسم ارميا ، حيث أن ارميا كان قد تمرس على حياة التأمل فهو المقصود بدون أى لبس .

– أما الدرجة المتقدمة فى التأمل فواضحة من التساؤل الثالث حيث يقول ارميا : أرانى الرب ... فالدرجة العليا من التأمل هى التى يعطيها الرب كمنظر من عنده ، كى يُعلن لأولاده ارادته المزمعة أن تكون . فالذين سيطيعون اللّه ويخضعون لمشيئته ، سيكونون مثل تين باكورى جيد شديد الحلاوة ... أما الذين سيقاومون المشيئة الالهية سيكونون مثل

---

(١) اصم ٩ : ٩ .　　(٢) ار ١ : ١٢ .　　(٣) ار ١ : ١٤ .

التين الردئ المتعفن ، طعمه مر كالخل .

❖ مساكين أبناء هذا الجيل ، فوقع الحياة السريع ، ووسائل الاعلام الهادرة ، لا تترك للانسان فرصة أن يهدأ فكرياً ويتأمل ... ففى الثانية الواحدة قد يبث التلفزيون خمسة عشر لقطة مختلفة ، تجعل العقل المتابع يشبه مكوك آلة الحياكة السريع ، وهو لا ينسج شيئاً ! الكل يشجع التفكير السريع غير المتأمل ، ولا يدرون أن أفكاراً مثل هذه هى أفكار سطحية ... طبعاً نحن لا نشجع البطء المتبلد فى التفكير ، ولكننا ننادى بالتفكير المركز المتأمل فى موضوع واحد فقط حتى يمكن أن نجنى أشهى الثمرات ...

❖ ونلاحظ أن رؤية ارميا الأولى كانت تعنى أن الله سيحقق كلامه الذى قال به منذ الأزل .

- أما رؤيته الثانية عن القدر الفائر الغليان فهى عن الحاضر ، حيث ستتهيج ممالك الشمال (وهى العراق ثم ايران) على اسرائيل وأورشليم .

- والرؤية الثالثة خاصة بالحصاد الأخير فى المستقبل ، فهناك تين جيد أنضجته التجارب جيداً ... وتين ردئ أفسدته التجارب الأخيرة فساداً كبيراً.

❖ قضيب اللوز - أعجبنى جداً أحد الآباء الكهنة الذى اتخذ هذه الآية موضوعاً لأول عظة - يلقيها على الشعب بعد رجوعه من خلوته الأولى من الدير ، مركزاً على أن الله ساهر على كلمته ليجريها ، متعهداً أمام الشعب أنه سيعمل على أن تكون كلمة الله هى السائدة على حياته أولاً ، وعلى كل الرعية التى أوكله الله عليها ثانياً ... « اسهر عليهم للبناء والغرس يقول الرب » (١) .

---

(١) ار ٣١ : ٢٨ .

ولدينا وعد ربنا يسوع : « الحق الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض . لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من (كلام الله) حتى يكون الكل » (١) .

❖ **القدر المنفوخ** – يظن الكثيرون أن التأمل يحتاج إلى أن يتوقف الانسان عن كل أعماله ، كى يتفرغ لحياة التأمل ... وقد يكون هذا هو مبدأ الاستبطان الداخلى عند الهنود فى رياضات اليوجا ، وخلوات فلاسفة اليونان ، بل وحتى تداريب كهنة الفراعنة ومتصوفى الاسلام ... ولقد حاول هذا الفكر جاهداً أن يدخل فى الرهبنة المسيحية ، ولكن نعمة الله تشير لكل الآباء إن هذا ليس هو المنهج المسيحى فى التأمل ، فنحن نرى ارميا حتى وهو يعمل أمام قدر يغلى فوق الكانون يسمع صوت الله ، وقد ميزه جلياً ... فالمسيحية لا تضع حداً فاصلاً بين حياة العمل وحياة التأمل.

❖ التأمل المسيحى هو عقل وقلب مستعدان دائمًا للمفاوضة مع الله حتى وسط ظروف العمل الطاحنة مردداً ما قال داود : « مستعد قلبى يا الله مستعد قلبى » (٢) .

❖ قد يتأمل المسيحى فى الطبيعة بكل غناها الالهى ، ويتقابل مع الله ، وقد يتأمل فى آيات الانجيل ، ويدخل فى حوار مع الله . ويتأمل فى أحداث الماضى والحاضر ، ويتسمع من الله اعلانه عن المستقبل ، ليكتشف أنه حى يعيش فى أحضان المراحم الالهية . قال يسوع : « أنظروا إلى طيور السماء ... تأملوا زنابق الحقل ... » (٣) .

❖ **التين الجيد والتين الردئ** – لقد تحدث يوثام بن جدعون عن حلاوة التين الذى يفرح قلب الله لعدم انشغاله فى متاهات السلطة

(١) متى ٥ : ١٨ .   (٢) مز ٥٧ : ٨ .   (٢) متى ٦ : ٢٦ – ٢٩ .

الدنيوية جذباً إلى جذب مع الزيتون والكرمة (١) ذوات الأثمار الفاخرة ...

هكذا هنا يزداد التين حلاوة حين يستسلم للظروف الذى يُدخله الله فيها بلا تذمر ... أما إن تمرد وعاكس الارادة الالهية ، سيتحول على الفور إلى تين ردئ لا يؤكل من شدة رداءته ...

ولقد تحدث يسوع عن نهاية الأزمنة بقوله : « فمن شجرة التين تعلمون المثل ، متى صار غصنها رخصًا ، وأخرجت أوراقها ، تعلمون أن الصيف قريب » (٢) ويحلو للبعض أن يربط بين هذه الظاهرة ، وبين تجمع الأمة اليهودية تمهيداً لايمانها بالمسيح ... حيث أن المسيح وقت دخوله فى الآلام، صادف شجرة تين لا تحمل ثماراً (رمزاً للأمة اليهودية) فلعنها الرب وعلى الفور جفت من أصولها (٣) .

* * *

---

(١) قض ٩ : ١١.   (٢) متى ٢٤ : ٢٩ .   (٣) مت ٢١ : ١٩ .

٢- البغددة على الله !

ماذا وجد فيّ أباؤكم من جور ؟

(ار٢: ٥)

شاءت عناية الله أن أحضر عظة لأحد الكهنة الأتقياء . وكان موضوع العظة هو هذه الآية ... وأذكر أن الواعظ بمجرد تكرار الآية مع تعليق بسيط جعل معظم من يسمعون ، تنحدر الدموع من أعينهم ، بل أن بعضهم أجهش منخرطاً فى البكاء ...

يكتشف الناس أمام هذه الآية أن قلب الله ملئ بالاخلاص والحب والأمانة والحنان نحوهم ، فى حين أن قلبهم هم ملئ بالبغضة والكراهية من نحو الله « لكى تتم الكلمة المكتوبة ... إنهم أبغضونى بلا سبب » (١) .

❖ فى مستهل الاصحاح الثانى من سفر ارميا ، يذكر الله حماسة وغيرة عشائر اسرائيل للخروج وراء الله : « قد ذكرت لك غيرة صباك ، محبة خطبتك ، ذهابك ورائى فى البرية » (٢) . وظل الله أميناً محباً مع تلك التى خرجت وراءه ... فأهلك لها فرعون الطاغية ، وفجر لها ماءً من صخر لتشرب وقت عطشها ، وعالها بالمن طوال مسيرتها معه فى البرية حتى لا تجوع ، ودافع عنها وحماها من كل أعدائها الكامنين ، وظلل عليها بالسحاب من حر الشمس وأضاء لها الليل بعمود نار ... ودبر لها كل احتياجاتها حتى أدخلها وأراحها فى أرض الموعد التى تفيض لبناً وعسلاً ... حتى أن موسى النبى فى نهاية الرحلة قال فى نشيده الخالد : « الهنا اله أمانة لا جور فيه » (٣) .

---

(١) يو ١٥ : ٢٥ (مز ٣٥ : ١٩) .   (٢) ار ٢ : ٢ .   (٣) تث ٣٢ : ٤ .

فماذا عمل بنو اسرائيل باذاء هذه العناية الالهية والمحبة ؟

١- **الرفض** : لأنهم رفضوا ناموس الله ولم يحفظوا فرائضه (١) ، أما الفريسيون والناموسيون فرفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم ، (٢) .

٢- **الترك والتجاهل** : ، تركونى أنا ينبوع المياه الحية ، (٣) .

، فسمن يشورون ورفس ... فرفض الاله الذى عمله وغبىَّ عن صخرة خلاصه ، (٤) .

٣- **المخاصمة والعصيان** : ، لماذا تخاصموننى . كلكم عصيتمونى يقول الرب ، (٥) .

٤- **الاستخفاف والرذل** : ، فكانوا يهزأون برسل الله ، ورذلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه ، (٦) . ، ليس خوف الله أمام عينيه ، (٧) .

٥- **العناد** : ، أما من جهة اسرائيل فيقول طول النهار بسطت يدىَّ إلى شعب معاند ومقاوم ، (٨) . ، بل ساروا فى عناد قلبهم الشرير وأعطوا القفا لا الوجه ، (٩) .

٦- **عانى الله منهم** : ، كم عصوه فى البرية وأحزنوه فى القفر ... وعذوا قدوس اسرائيل ، . ، سمع الله فغضب ، (١٠) .

٧- **الاغاظة** : ، وعملوا أموراً قبيحة لاغاظة الرب ، (١١) . ، هم أغاظونى بأباطيلهم ، (١٢) . ، شعب يغيظنى بوجهى دائمًا ، (١٣) .

---

(١) عا ٢ : ٤ .
(٢) لو ٧ : ٣٠ .
(٣) ار ٢ : ١٢ .
(٤) تث ٣٢ : ١٥ .
(٥) ار ٢ : ٢٩ .
(٦) ٢ أى ٣٦ : ١٦ .
(٧) مز ٣٦ : ١ .
(٨) رو ٨ : ٢١ .
(٩) أر ٧: ٢٤ .
(١٠) مز ٧٨ : ٤١ ، ٥٩ .
(١١) ٢مل ١٧ : ١١ .
(١٢) تث ٣٢ : ٢١ .
(١٣) اش ٦٥ : ٣ .

« لسانهما وأفعالهما (أورشليم ويهوذا) ضد الرب لاغاظة عينى مجده » (١).

٨- **الاستهانة بالله :** « تركوا الرب ، استهانوا بقدوس اسرائيل » (٢) . « لأنهم رذلوا شريعة رب الجنود ، واستهانوا بكلام قدوس اسرائيل » (٣) .

٩- **التأفف من الله ! :** « وتأففتهم عليه قال رب الجنود » (٤) .

١٠- **مقاومة الله :** « يا قساة الرقاب ، وغير المختونين بالقلوب والآذان . أنتم دائماً تقاومون الروح القدس كما كان أباؤكم كذلك أنتم » (٥) . « كلتم تقاومون الرب » (تث ٩ : ٧) .

١١- **اهانة اسم الله :** « ودائمًا كل يوم اسمى يهان » (٦) . « اسمى القدوس الذى نجستموه فى الأمم » (٧) .

١٢- **التجديف :** « لأن اسم الله يجدف عليه بسببكم بين الأمم » (٨).

١٣- **معاداة الله :** « لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله . لأنه أيضاً لا يستطيع » (٩) .

١٤- **خيانة الله :** « وخانوا اله آبائهم . وزنوا وراء آلهة شعوب الأرض الذين طردهم الرب من أمامهم » (١٠). « لأنهم خانوا الرب » (١١). و « لأنهم خانوا خيانة يقول السيد الرب » (١٢) .

١٥- **أحزنوا الله :** « محتقر ومخذول من الناس . رجل أوجاع

---

(١) اش ٣ : ٨ . (٢) اش ١ : ٤ . (٣) اش ٥ : ٢٤ .
(٤) ملا ١ : ١٣ . (٥) اع ٧ : ٥١ . (٦) اش ٥٢ : ٥ .
(٧) حز ٣٦ : ٢٢ . (٨) رو ٢ : ٢٤ . (٩) رو ٨ : ٧ .
(١٠) ١ أى ٥ : ٢٥ . (١١) ٢ أى ١٢ : ٢ . (١٢) حز ١٥ : ٨ .

ومختبر الحزن فلم نعتد به ، (١) و ، ابتدأ يدهش ويكتئب . فقال لهم نفسى حزينة جداً حتى الموت ، (٢) .

١٦- **جعلوا الله يتأسف فى قلبه** : ، فحزن الرب أنه عمل الانسان فى الأرض وتأسف فى قلبه ، (٣) .

١٧- **ضايقوا الله** : ، وأسخطوه على ماء مريبة ، حتى تأذى موسى بسببهم ، لأنهم أمروا روحه ، (٤) . ، أذكر لا تنسى كيف أسخطت الرب الهك فى البرية ، (٥) . ، فضاقت نفسه ، (٦) .

١٨- **أتعبوا الله** : ، استخدمتنى بخطاياك ، وأتعبتنى بآثامك ، (٧) .

١٩- **أضجروا الله** : ، اسمعوا يا بيت داود . هل هو قليل عليكم أن تضجروا الناس حتى تضجروا الهى أيضاً ، (٨) .

٢٠- **حيروا الله** : ، ماذا يُصنع أيضاً لكرمى وأنا لم أصنعه له ، (٩) . ، وتحيرت إذ لم يكن عاضد ، (١٠) .

٢١- **خادعوا الله** : ، فخادعوه بأفواههم . وكذبوا عليه بألسنتهم ، (١١).

٢٢- **غدروا بالله** : ، بل ارتدوا وغدروا مثل آبائهم ، (١٢) .

٢٣- **اضطهدوا الله** : ، شاول شاول لماذا تضطهدنى ؟ ، (١٣) .

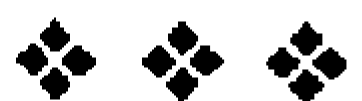
٢٤- **أهانوا الله** : ، لماذا أهان الشرير الله ... ، (١٤) .

---

(١) اش ٥٣ : ٣ . (٢) مر ١٤ : ٣٤ . (٣) تك ٦ : ٦ .
(٤) مز ١٠٦ : ٣٢ . (٥) تث ٩ : ٧ . (٦) قض ١٠ : ١٦ .
(٧) اش ٤٣ : ٢٤ . (٨) اش ٧ : ١٣ . (٩) اش ٥ : ٤ .
(١٠) اش ٦٣ : ٥ . (١١) مز ٧٨ : ٣٦ . (١٢) مز ٧٨ : ٥٧ .
(١٣) اع ٩ : ٤ . (١٤) مز ١٠ : ١٣ .

٢٥- **ارتدوا عن الله :** « وشعبى جانحون إلى الارتداد عنى » (١) .

٢٦- **يفكرون بالشر على الله :** « وأنا أنذرتهم وشددت أذرعهم ، وهم يفكرون علىّ بالشر » (٢) .



ويعوزنى الوقت لكى أدون كل ما ذكره الكتاب المقدس عن إسائتهم معاملة الله، فى حين أن الله باستمرار لا يكف أن يغدق نعمة عليهم (٣) .

❖ عندما يتسائل الله : « ماذا وجد فىّ آباؤكم من جور حتى إبتعدوا عنى وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً » فهو يعنى عتاب المحبة ، ويعنى أيضاً أنه مستعد أن يبقى أميناً معنا حتى النهاية ، بالرغم من كل شئ ، ويعنى بالأكثر أن نراجع أنفسنا لندرك مدى الفساد الذى ألم بطبيعتنا البشرية من جراء الخطيئة ، حين نقابل محبة الله واخلاصه لنا وعنايته بنا، بجحودنا وعداوتنا له . « الانسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة ، ولا يقدر أن يعرفه » (٤) .

❖ لقد جسد المسيح له المجد أمام أعيننا ، الاله الغير المنظور وموقف البشرية منه فهو « الذى لم يفعل خطية ، ولا وجد فى فمه مكر » (٥) ولخص سفر الأعمال كل حياة يسوع فى الآية : « الذى جال يصنع خيراً » (٦) فماذا فعلت له البشرية فى المقابل ؟ افترت عليه ، وعذبته ، وصلبته بوحشية وقساوة ...

إن الفساد المتأصل فى الانسان ، محتاج ليس إلى مجرد تغيير فى السلوكيات ، بل إلى تغيير طبيعته المعادية تلقائياً لله ، وقبول طبيعة جديدة

---

(١) هو ١١ : ٧ . (٢) هو ٧ : ١٥ . (٣) متى ٥ : ٤٥ .

(٤) ١ كو ٢ : ١٤ . (٥) ١ بط ٢ : ٢٢ . (٦) ١٠ : ٣٨ .

تبتهج بناموس اللّه فى الانسان الباطن ... الانسان محتاج أن يولد من جديد ، وهذا ما تفعله المعمودية سرياً .

المسيح له المجد ، أبطل العداوة بيننا وبين الله ...

« يصالح الاثنين فى جسد واحد مع اللّه بالصليب ، قاتلاً العداوة » (١) «لأنه هو سلامنا ، الذى جعل الاثنين واحداً ، ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة ... لكى يخلق الاثنين فى نفسه انساناً واحداً جديداً » (٢) .

❋ ❋ ❋

---

(١) اف ٢ : ١٦.

(٢) اف ٢ : ١٤ ، ١٥ .

٣- تدين الكرافتة

✤ هـل صـار مثـل هـذا ؟ هـل ابدلت أمه آلهة ؟ (ار ٢ : ١١)

كثيرون يتعاملون مع المسيح كما يتعاملون مع الكرافتة التى يلبسونها والتى يمكن تغييرها على أشكال كثيرة بحسب مقتضيات الحالات والمواقف ومن المعروف أن الكرافتة ليس لها أى فائدة كمثل باقى ملابس الانسان حتى أنه يمكن الاستغناء عنها تمامًا ، إذ تعتبر فى الغالب أنها خانقة لرقبة الانسان ... ولكنه يلبسها حتى يعطى للآخرين ايحاءً معيناً ... وويل للانسان الذى يتعامل مع المسيح كمظهر يريد الايحاء به إلى الناس أنه انسان متدين لغرض أو آخر ... فحينما سيختارون أميناً للصندوق فى كنيسة ما ، سرعان ما يلبس كرافتة الدين كى يكون هو المختار . أيضاً الفتاة التى ترى روح التدين فى الشاب الذى أعجبت به ، تراها تلبس كرافتة التدين حتى يتم الزواج وبعد ذلك تستغنى عن هذه الكرافتة تماماً ! .

كلا ... كلا ... فالتدين المسيحى ليس مجرد كرافتة مظهرية يمكن تبديلها ، أو الاستغناء عنها بمجرد الاحساس بالاختناق ... إنه منهج حياة جوهرى ، يصطبغ به أعماق كيان الانسان .

❖ وقد يعيش المسيحيون كأقلية مضطهدة وسط غالبية من دين آخر ، وتشد الأغلبية النقير على الأقلية كى يجبروهم على تغيير الههم ، وإلا سيحرمون من وسائل العيش المتاحة ، ومن أبسط حقوق الانسان ... هنا إختيار الايمان المسيحى الصعب ... ترى هل سيغير المسحيى إلهه كما يغير كرافتة ؟ أم سيكون الديـن ومراحم الله الفائضة علينا من المسيح

أفضل من الحياة (١) ذاتها ؟ .

المسيح فى مراحمة يغدق علينا انعاماته الكثيرة حتى فى هذه الحياة الزمنية الفانية ، فكم بالحرى ستكون مراحمه علينا دافعة أكثر بما لا يقاس حينما نعيش معه فى الأبدية ! .

« وهو يفعل خيراً ، يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعامًا وسروراً » (٢) إنه « إله كل نعمة الذى دعانا إلى مجده الأبدى فى المسيح يسوع » (٣) .

الانسان الذى يبدل المسيح بآلهة أخرى هو انسان قصير النظر ... نظرته منحصرة فى حياة الأرض وفقط ... وطالما المسيح يؤمن حياته على الأرض ويملأها بالرفاهية ، فهو مسيحى ، أما لو كان العكس فهو يعتبر أنه لا لزوم للمسيح فى حياته ، وكأنه كرافتة خانقة لا يرتاح إلا بخلعها !!!

❖ بنو اسرائيل يفتخرون بيهوه الههم طالما هو يشق لهم البحر ويطعمهم المن والسلوى ويفجر لهم الماء من الصخر ... ولكن حينما دخلوا فى تجربة السبى التأديبية ، جدفوا ، وأهانوا الله وأغاظوه فى وجهه ، وأبدلوا مجدهم بما لا ينفع فعبدوا أصنام الأمم وأوثان بابل وآشور وسحور المصريين !!! فكأنهم يبحثون عن الاله الذى يوفر لهم وسائل الحياة الأرضية الكريمة وفقط !

هنا يوبخهم الله متعجباً من استخفافهم : آلهة الأمم التى كلها شياطين وليست آلهة بالمرة ، نرى الأمم يعتزون بها ولا يغيرونها مهما حدث ، ويدافعون عنها بالمهج والأرواح ، حتى ولو بتعصب أعمى وغشيم وبدون

---

(١) مز ٦٣ : ٣.　　(٢) اع ١٤ : ١٧ .　　(٣) ١ بط ٥ : ١٠ .

فحص ولا تروى ... كما حدث مع أهل أفسس حينما هاجوا تعصباً من أجل الإلهة أرطاميس ... (١)

ولم يجد الله نفس النخوه فى شعب اسرايئل مع كونه هو الاله الحق الحقيقى ، بل بسهولة جداً يبدولون الههم كما يبدل الانسان كرافتة عنقه !!!

* * *

(١) اع ١٩ : ٣٤ .

٤- عندما يهان الانسان فى عينى ذاته

❖ أعبد اسرائيل أو مولود البيت هو ؟
لماذا صار غنيمة ؟ (ار٢ : ١٤)

فى مستهل عهد السادات ، رئيس مصر الراحل ، كان لا يجيد الخطابة أمام الجماهير ، حتى صارت طريقته فى الالقاء مدعاة للكفاهة والتندر ... ولكن يبدو أنه تمرن على أيدى خبراء فصار كثير الخطابة فى وقت مناسب وغير مناسب ، مستعيناً بكبار الصحفيين ليعدوا له خطبه ...

وفى إحدى هذه الخطب ظل يشرح للسامعين ما معناه : إن نفسك بحسب نظرتك لها ، فإن رأيتها عظيمة مجيدة ، فهى كذلك ، وإن رأيتها مهانة ذليلة فهى كذلك أيضاً ...

❖ ولعل التساؤل الذى أمامنا صورة صارخة لشعب أهان نفسه (١) ... فبعد أن كرمه الله بالبنوية فى بيته ، ترك هذا البيت وتصرف كأولاد الشوارع ، وكالعبيد الأذلاء ... ولقد جسد المسيح له المجد هذه الصورة فى مثل الابن الضال (٢) . عن هذا يقول أرميا النبى : « أبهتى أيتها السموات من هذا . وأقشعرى وتحيرى جداً يقول الرب » (٣) .

❖ كلمة الله تصور هذا الوضع كأخطر فعل من مفاعيل الخطيئة فبمجرد دخول الخطيئة حياة إنسان ، يشعر هو ذاته أنه مهان ومذلول ليس من الخارج فقط بل من الداخل فى نظر ذاته هو!! فهو لم يعد يدرك الكرامة التى جبله الله عليها « إنسان فى كرامه ولا يفهم يشبه البهائم التى تباد »(٤)

---

(١) قض ٥ : ١٨. (٢) لو ١٥ . (٣) أر ٢ : ١٢ .
(٤) مز ٤٩ : ٢٠.

ويزهد فى المجد العتيد المحفوظ كميراث له (١) ... يصور ارميا النبى الوضع هنا بتشبيه مؤثر : كآب افتقد ابنته الصغيرة العزيزة جداً فى كل بيته ، ولما لم يجدها فى البيت ذهب يفتش عنها خارجاً ، فوجدها مفتوحة الرأس مدرجة بالدم وقد نهبت من كل زينتها ... وكاد الأعداء يحرقونها بالنار .

ويتسائل الآب فى لوعة وأسى : « أعبد اسرائيل أو مولود البيت هو ؟ لماذا صار غنيمة ، زمجرت عليه الأشبال أطلقت صوتها . أحرقت مدنه فلا ساكن . وبنو نوف وتحفنيس قد شجوا هامتك .... » (٢) .

عندما لا يثمر انسان ثماراً تليق ببنوته لله وتواجده فى بيت الله ، فهو يلفظ نفسه بنفسه خارجاً ، ولا يعد يطيق الالهيات ... « وتتبرأ بنفسك عن ميراثك الذى أعطيتك اياه . وأجعلك تخدم أعداءك فى أرض لم تعرفها . لأنكم قد أضرمتم ناراً بغضبى تتقد إلى الأبد » (٣) .

عودتنا إلى كنف الأحضان الأبوية فى بيت أبينا السماوى هى فى المسيح وبالمسيح الذى « يعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية » (٤) . « فاثبتوا إذاً فى الحرية التى قد حررنا المسيح بها ، ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية » (٥) . « فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً » (٦) . « هكذا تكلموا وهكذا أفعلوا كعتيدين أن تحاكموا بناموس الحرية » (٧) . « لأن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع ، قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت » (٨) .

(١) ابط ١ : ٤ . (٢) ار ٢ : ١٤ - ١٦ . (٣) ار ١٧ : ٤ .
(٤) عب ٢ : ١٥ . (٥) غل ٥ : ١ . (٦) يو ٨ : ٣٢ .
(٧) يع ٢ : ١٢ . (٨) رو ٨ : ٢ .

٥- يا مجنونة

❖ أما صنعت هذا بنفسك ؟

(ار ٢ : ١٧)

كان بالدير أحد العمال الصغار ، رسم شماساً وصار يخدم فى قداسات الدير الخاصة بالعمال ، وكان الجميع يظن إنه ذا فضيلة لتصرفاته الزاهدة ... وفى ذات يوم فوجئنا به يلقى نفسه من ارتفاع يعادل خمسة أدوار ... وأصابه بعض الكدمات والكسور سرعان ما شفى منها ... ولما كنا نسأله ما الذى جعله يلقى بذاته هكذا إلى الهلاك ، قال : كنت أظن أننى سأنزل رويداً رويداً حتى الأرض لأننى فى أماكن القديسين ! وتحقق قول أحد الآباء الذى درس فى الصحة العقلية ، حين رأى تصرفات هذا العامل قبل تلك القفزة المشئومة ، بأنه يحمل أعراض الجنون وقد يؤذى نفسه فى أى وقت رغم مظهره الهادئ .

فالجنون فى أبسط تعاريفه هو فشل الانسان فى اختيار الطريق الذى يُسعد به نفسه ، ودائماً يختار ما يؤذيه ويضره .

اختيار الانسان طريق الشر والخطية والبعد عن الله هو جنون وأى جنون، لأن الانسان بهذا يؤذى نفسه ايذاءً أبدياً ، فالأشرار كما يقول سفر الحكمة « يعيشون حياتهم بلا كرامة وآخرتهم جنون ردئ » (١) .. « بدء كلامهم حماقة وتجديف وآخرتهم جنون ردئ » (٢) .

❖ كان بامكان اسرائيل أن يبقى فى الكرامة التى أعطاها الله اياها ، ولكن الله يحترم حرية ارادة الانسان وخصوصاً فيما إذا كان الانسان سيبقى

---

(١) حك ٥ : ٤ .   (٢) حك ١٥ : ١٠ .

مخلصاً للّه أم معانداً له ، أنظر . قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير، والموت والشر (١) ... أُشهد عليكم اليوم السماء والأرض . قد جعلت قدامك الحياة والموت . البركة واللعنة . فاختر الحياة لكى تحيا أنت ونسلك . إذ تحب الرب الهك ، وتسمع لصوته وتلتصق به لأنه هو حياتك ، (٢) .

فالانسان فى هذا هو مسئول عن مصيره ، فحينما يؤذى نفسه ، فإنما هو فعل هذا بنفسه ... رغم أن قلب اللّه يتمزق على ايذاء الانسان نفسه بابتعاده عن الهه ، طريقك وأعمالك صنعت هذه لك . هذا شرك . فإنه مر. فإنه قد بلغ قلبك ، (٣) .

❖ استطاع المسيح له المجد أن يشفى مجانين كثيرين (٤) ... ولقد ذكرت البشائر بالتفصيل عن شفاء مجنون كورة الجدريين وآخر حينما كان نازلاً من جبل التجلى ...

مجنون كورة الجدريين كان مسكنه فى القبور – رُبط كثيراً بقيود وسلاسل – يصيح ويجرح نفسه – هائجاً جداً – لا يلبس ثوباً (٥) .

المجنون الأخرس يُزبد ويصر بأسنانه وييبس – يُصرع ويتألم شديداً ، ويقع كثيراً فى النار وكثيراً فى الماء (٦) .

وهذان نموذجان يصوران بالضبط ما يريد روح اللّه أن يعلمنا عن الخطايا التى تجن الانسان ... المجنون الأخرس حينما أتى إلى يسوع كان أبوه معه ، وكان قصد روح اللّه هو توضيح مشاعر الآب السماوى على إبنه الانسان حينما يختار طريق الجنون .

---

(١) تث ٣٠ : ١٥ . (٢) تث ٣٠ : ١٩ ، ٢٠ . (٣) ار ٤ : ١٨ .
(٤) متى ٤ : ٢٤ . (٥) مر ٥ : ١ – ٨ . (٦) متى ١٧ : ٢٢ .

❖ لقد شفاهم المسيح شفاءً كاملاً فعاد لهما عقلهما بالتدبير الحكيم الفطن ... وعاشا بقية حياتهما عاقلين .

فهل نأتى إلى المسيح كى يرد إلينا قلبنا وعقلنا ونفسنا وإرادتنا لنحب بهم الرب الهنا منفذين الوصية الأولى والعظمى « تحب الرب الهك من كل قلبك وكل نفسك وكل فكرك وكل قدرتك » . وحتى لا ننحرف بأنفسنا إلى طرق الخطية والهلاك .

❋ ❋ ❋

٦- مياه ومياه

✠ **مالك وطريق مصر ؟ ... ومالك**
وطريق آشور ؟ (ار ٢ : ١٨)

عندما زار مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل ، مصر ، بعد توقيع معاهدة السلام ... أخذه الرئيس السادات إلى السد العالى وقال له أنظر كثرة المياه وغزارتها عندنا ... فالتفت مناحم بيجين مشيراً إلى الأراضى الصحراوية غرب النيل قائلاً : وأننى أعجب كيف عندكم كل هذه المياه وعندكم أيضًا مناطق صحراوية شاسعة لا تزرعونها من المياه التى عندكم ...

وهناك إشاعة سائدة ، أعتقد أنها بترويج صهيونى تقول أن الحرب العالمية القادمة ستكون بسبب نزاع الدول على حصتها فى المياة العذبة ... فالمياة المأخوذة من الأنهار والعيون والينابيع والآبار والأمطار لم تعد كافية لحاجة سكان الأرض الذين يتزايد عددهم ، فهى غير كافية للشرب والاستحمام والنظافة ، ناهيك عن الزراعة والرى .

أقول إنها ترويج صهيونى لأن دولة اسرائيل تعانى من مشكلة نقص المياه كما قال الرب « لأن الأرض التى أنت داخل إليها لكى تمتلكها ليست مثل أرض مصر التى خرجت منها . حيث كنت تزرع زرعك وتسقيه برجلك كبستان بقول ، بل الأرض التى أنتم عابرون إليها لكى تمتلكوها هى أرض جبال وبقاع . من مطر السماء تشرب ماءً » (١) .

ولقد ربط الرب بين إستقامة بنى اسرائيل مع الله وبين كمية الأمطار

(١) تث ١١ : ١٠ .

التى يسمح الرب بهطولها على أرضهم : « إذا سمعتم لوصاياى ... أعطى مطر أرضكم فى حينه » (١) . أما إن زاغوا « فيحمى غضب الرب عليكم ويغلق السماء فلا يكون مطر » (٢) . وهذا ما حدث بالضبط حينما زاغ الشعب أيام آخاب الملك (٣) . وأمتنع المطر بناءً على قول إيليا (٤) .

❖ زاغ بنو اسرائيل أيام السبى أيضًا وقلت المياه حسب تحذيرات الله ، وبدلاً من أن يتفطنوا ويتوبوا ، كرهوا الأرض وتطلعوا للسكنى فى مصر حيث النيل الغزيز المياه ، وتطلعوا أيضًا إلى آشور حيث نهرى دجلة والفرات الفائضان دائماً بمياه غزيرة .

وهنا يتساءل الله : « والآن مالك وطريق مصر لشرب مياه شيحور (أى سوداء) ومالك وطريق آشور لشرب مياه النهر .. فأعلمى وأنظرى أن تركك الرب الهك شرومر » (٥) .

❖ مياه الروح القدس التى تُروى كل العطاش (٦) أعظم من نيل مصر ونهرى آشور ولنا فى هذا الموقف دروس وعبر .

أولاً : الخطية تسبب أزمات فى حياة الأفراد والكنائس والدول والأمم ... وهذه الأزمات هى بحكمة من اللّه ، ليست غايتها النكد والتعذيب لأولاده ... حاشا ولكن غايتها الوحيدة هى أن يتفطن الانسان ويراجع حياته ليرى تلك الجرثومة التى دخلت فيها ، وعطلت نعم اللّه الطبيعية عن المجئ .

ثانيًا : الخطية تضع عداوة بين الانسان والله ، محاولة أن تُقنع الانسان بشتى الطرق أن الله هو سبب أزمات حياته وليست خطيئته ...

---

(١) تث ١١ : ١٣ . (٢) تث ١١ : ١٧ . (٣) ١مل ١٧ : ١ .

(٤) يع ٥ : ١٧ . (٥) ار ٢ : ١٨ ، ١٩ . (٦) يو ٧ : ٣٧ - ٣٩ .

ثالثاً : إن الخطية تقترح حلولاً للأزمات بعيداً عن الله ليس لكى تنحل الأزمة فعلاً ، بل لكى تورط الانسان فيما هو أسوء ، فبنى اسرائيل فضلوا العودة إلى عبودية فرعون أو عبودية ملوك بابل كى تنحل مشكلة المياه التى يعانون منها بسبب زيغانهم عن الله ، مضحين بالحرية والرخاء الذى يحدثه المسيح فى حياتهم رافضين أن يلقوا رجائهم على ... الله الحى الذى يمنحنا كل شئ بغنى للتمتع ، (١) .

❋ ❋ ❋

(١) ١ تى ٦ : ١٧ .

٧- سر الكرمة

✥ وأنا قد غرستك كرمة سورق زرع حق كلها . فكيف تحولت لى سروغ جفنة غريبة ؟ (ار٢ : ٢١)

الكرم وعناقيد العنب ، وعصير الكرم ، والخمر ... وكل ما ينتج عن شجرة الكرمة ... لها وضع مميز وملفت للنظر فى كتاب الله المقدس ...

١- « وابتدأ نوح أن يكون فلاحًا وغرس كرمًا » (١) . فالأرض بعدما اشتم الله منها رائحة الرضى بعد الطوفان الذى أغرق كل شئ ماعدا نوح وأسرته ، عادت وفُلحت وأنتجت كروماً ...

٢- وملكى صادق كاهن الله العلى نلاحظ أنه أعطى ابراهيم أب الآباء خبزاً وخمراً بعد أن باركه (٢) .

٣- وتشير شجرة الكرم إلى شعب اسرائيل الذى نقله الله من مصر وغرسه فى أرض كنعان (٣) . وقد حظوا بكل رعاية وعناية ليثمروا ثمراً جيداً، ولكنهم للأسف أثمروا ثمراً رديئاً (٤) .

٤- ولقد حمل الجاسوسان عنقوداً واحداً من العنب المزروع فى أرض الموعد بينهما على دقرانة (٥) ... دليل ضخامته وحلاوته وأتيا به إلى موسى وشعب اسرائيل إبان دخولهم الأرض . فكان أول ما ذاقوا .

٥- ولقد شبه يوثام بن جدعون نفسه بكرمة رفضت أن تملك على الأشجار الأخرى ، حيث رفض هو أن يملك ملكًا أرضياً ، وتعالت الكرمة

---

(١) تك ٩ : ٢ . (٢) تك ١٤ : ١٨ . (٣) مز ٨٠ : ٨ .
(٤) هو ٩ : ١٠ . (٥) عد ١٣ : ٢٣ .

بأنها لا تريد أن تترك عملها « أأترك مسطارى (أى الخمر) الذى يفرح الله والناس وأذهب لكى أملك على الأشجار ؟ » (١) .

٦- أما ربنا يسوع المسيح له المجد ، فقد كانت أولى معجزاته هى تحويل الماء إلى خمر فى عرس قانا الجليل (٢) ... فبمجئ المسيح ابتدأ يكثر المسطار الجيد رمزاً لفرح الله بخلاص الناس وفرح الناس بخلاص اللّه.

٧- واختار ربنا يسوع مادة عصير الكرم ، ليحولها إلى دمه ، وأعطاه للتلاميذ يوم خميس العهد (٣) ، وهكذا أسس سر الأفخارستيا فى كنيسته المقدسة .

٨- أيضاً قال يسوع خمسة أمثال ترتبط بالكرم: أ- الفعلة فى الكرم (٤). ب- وطلب الأب من أبنيه أن يعملا فى كرمه (٥) . جـ- مثل الكرامين الأشرار (٦) . د- مثل الخمر الجديدة فى الزقاق العتيقة (٧) . هـ- مثل التينة التى كانت مغروسة فى كرم (٨) .

٩- ويرمز سفر الرؤيا عن اليوم الأخير بأنه يوم جنى العنب . إذ قال : « أرسل منجلك الحاد وأقطف عناقيد كرم الأرض لأن عنبها قد نضج» (٩).

١٠- ولعل مفتاح سر الكرمة فى الكتاب المقدس كله ، وهو يفسر كل ما سبق ، هو قول المسيح له المجد « أنا الكرمة الحقيقية ... » (١٠) . فالمسيح له المجد هو تجسيم رضى الله عن الانسان ، وهو البركة الوحيدة للانسان ،

(١) قض ٩ : ١٣ . (٢) يو ٢ : ١ - ١١ . (٣) لو ٢٢ : ١٧ .
(٤) مت ٢٠ : ١ - ١٦ . (٥) متى ٢١ : ٢٨ - ٣٢ . (٦) مر ١٢ : ١ - ١١.
(٧) مت ٩ : ١٧ . (٨) لو ١٣ : ٦ - ٩ . (٩) رؤ ١٤ : ١٨ .
(١٠) يو ١٥ : ١ .

وهو مذاقات أرض موعدنا السمائى ... هو خصوبة حياة الروح ، ولا يكون هناك ثمار ولا حياة لنا ما لم نكن كأغصان ثابتة فى الكرمة التى هى المسيح لنكون على صورته ومثاله .

❖ لقد توقع الله أن يرى فى كل فرد من بنى اسرائيل شخص المسيح ليكونوا عنبًا مبهجاً لقلب الله كما المسيح ... ولكن كرمتهم أصابها الآفات الخبيثة فصاروا عنباً مسموماً مصاباً وسريع الاندثار .

هنا يتساءل الله على فم ارميا النبى : « كيف تحولت لى سروغ جفنة غريبة ؟ » .

❖ ومازال الله يسأل كل واحد فينا : أنا أخترتك لى ، وأعطيتك بشارتى المفرحة بالانجيل ، وضممتك إلى كنيستى بالمعمودية ، وغذيتك روحيًا بالأفخارستيا ، وكثيراً ما غفرت لك آثامك ... فلماذا لم تثمر حياة مقدسة حقيقية على شاكلة حياة المسيح ؟؟؟



٨- الاستعباط الدينى

✤ كيف تقولين : « لم أتنجس ، وراء بعليم لم أذهب ؟ » (ار ٢ : ٢٣)

✤ كيف تقولون : نحن حكماء وشريعة الرب معنا ؟ (ار ٨ : ٨)

أعرف شخصًا ورث هو وأمه عن أبيه ميراثاً لا بأس به ، واستحوز الابن على كل الميراث ، ولما كانت أمه من البسطاء استعمل معها أسلوب الاستعباط ... فكانت كلما طالبته بنصيبها فى الميراث وهى غاضبة كان يقول لها فى هدوء وبشاشة : : نصيبك هيوصلك تالت ومتلت وعلى الترابيزة ، وكانت تفرح بهذه التعبيرات الاستعباطية وظلت ثلاث سنوات حتى أمات اللّه ذلك الابن الطماع وأستولت هى على كل ميراثها من أبيه ومنه ...

❖ قد يستعمل أهل العالم أسلوب الاستعباط هذا ولكن لا يمكن أن يستعمله الانسان المتدين مع اللّه ، ولا يمكن لكنيسة أمينة أن تستعمله لا مع اللّه ولا مع الناس ... فإن فى هذا خبث ما بعده خبث يغضب اللّه العارف بمكنونات الأمور .

– بلعام بن بعور أراد أن يستعبط اللّه ، ويجعله يلعن الشعب بدلاً من مباركته ... فحصل على نهاية شنيعة (١) .

– والفريسيون الذين هم نسل اليهود الأشرار (٢) ، كانوا يستطيعون الشعب بمظهرهم المتدين وداخلهم قبوراً نجسة – هكذا كل من (يدروش)

---

(١) ٢ بط ٢ : ١٥ ، ١٦ . (٢) متى ٢٣ : ٢٧ ، ٢٨ .

متاجراً باسم الله ، وتحت مظهر السمعة الطيبة ، والدعاية الواسعة يرتكب فى الخفاء وحتى فى العلانية أشر المبيقات التى تغضب الله ! .

– وأيضًا بعض الكنائس التى تطرح رسالة الشهادة للمسيح جانبًا مستنبطين أخس الطرق لاستعباط الناس وابتزاز الأموال تمهيداً لأن ينهشوها من بعضهم بعض ... وهكذا يتحول هيكل الله إلى مغارة لصوص (١) ... وهذا تعبير دقيق للروح القدس ، لأن السارق واللص لا يجمع ثروته إلا على حساب استغفال واستعباط الآخرين ... أما اليقظة والسهر فإنها تحرم اللصوص من غنيمتهم ...

❖ كان بنو اسرائيل يفتخرون بأنهم حكماء ، وأن الله أعطاهم شريعة جعلتهم أحكم من كل الأرض (٢) ... ويفتخرون بأنهم لم يتنجسوا قط ولا عبدوا آلهة (أصنام) الأمم ...

والواقع أن كل هذه الافتخارات هى باطلة .

– فأشعياء النبى جعل الثور والحمار أكثر منهم معرفة (٣) .

– والرب يسوع قال لهم : « أليس موسى قد أعطاكم الناموس . وليس أحد منكم يعمل الناموس » (٤) .

– وبالنسبة للنجاسة فقد ذكر عنهم أرميا النبى أنه حتى الكهنة المفروض بأنهم يزيلون النجاسة من وسط الشعب بالتطهيرات ... هؤلاء الكهنة هم أنفسهم قد تنجسوا (٥) جميعاً .

– أما عن عبادة الأصنام فإن بنى اسرائيل لم يتركوا صنمًا للممالك

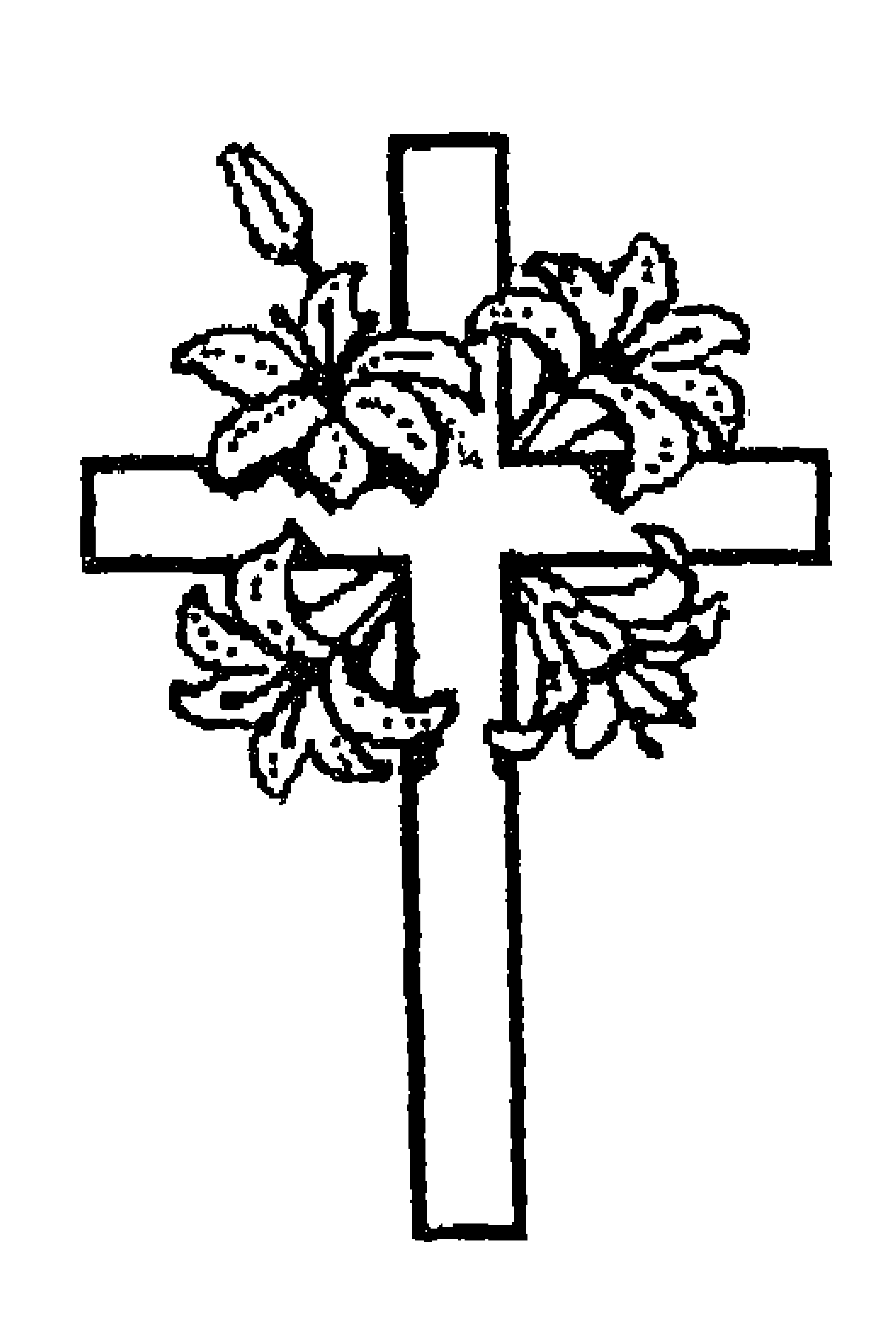
---

(١) متى ٢١ : ١٣ . (٢) تث ٤ : ٦ . (٣) اش ١ : ٣ .
(٤) يو ٧ : ١٩ . (٥) أر ٢٣ : ١١ .

المجاورة إلا وعبدوه ، تاركين الرب إلههم ، بل حملتم خيمة ملكومكم وتمثال أصنامكم نجم الهكم الذى صنعتم لنفوسكم ، (١) .

، وسط أصنامهم وحول مذبحهم على كل أكمة عالية وفى رؤوس كل الجبال وتحت كل شجرة خضراء وتحت كل بلوطة غبياء الموضع الذى قربوا فيه رائحة سرور لكل أصنامهم ، (٢) .

❖ أليس ما يقوله اسرائيل عن الحكمة والشرع والطهارة والاستقامة هو من باب الاستعباط ... ليتنا نعامل الله بالتوقير الصادق .



(١) عا ٥ : ٢٦ .   (٢) حز ٦ : ١٣ .

٩- آلهة صناعة محلية

✤ فاين آلهتك التى صنعت لنفسك ؟
(ار٢ : ٢٨)

✤ هـل يصنـع الانسان لنفسه آلهة ؟
وهى ليست آلهة (ار١٦ : ٢٠)

عندما يسمح لك أحد المسئولين بالانتظار فى مكتبه الشخصى ، فإنك تحـاول أن تكوّن فـكرة عـن هـذا المسـئـول . ربمـا مـن نـوع الكتب التى يضـعها فى مكتبتـه أو من اللوحـات والتحف التى يعتـز بهـا هناك أو من الألوان التى اخـتـارها للحـوائط ونوع السـجـاد والنجف والأثاث وطـريقـة التنسيق وهل هناك فازات زهور أو أحواض لأسماك ملونة ... إلخ ....إلخ ولكن هذه الفكرة التى كونتها عن هذا المسئول قد لا تُعبّر بالضرورة عن شخصيته الحقيقية ، بل هى التى كونتها أنت شخصياً بحسب مقايسك الخاصة ... فما لم تجلس إليه وتتحدث معه وجهاً لوجه تكون معرفتك قاصرة عنه ...

❖ كثيرون للأسف يكونون فكرة عن الله بعيداً عن إستعلانه هو عن نفسه فى الانجيل فيتخيلونه - بحسب صناعتهم المحلية للآلة - إلهاً يغاير الواقع تماماً ... وقد تكون الصورة بشعة إلى درجة يقطعون كل صلاتهم به ... وقد تكون عكس ما عليه الاله الحقيقى فيغضبونه من حيث يريدون أن يرضوه ...

❖ قراءة الانجيل بنقاء وتجرد عن أفكارنا البشرية ، والصلاة العميقة الخالية من الخيالات والتوهمات البشرية هما وسيلتنا بدء التعرف على الله فى ألف باء الحياة الروحية ... تصورات الانسان عن الله دائماً مشوهة

ومشبوهة ، لأن أفكارى ليست كأفكاركم يقول الرب ولا طرقكم طرقى، (١).

- فمثلاً حينما نقول أن الله أب طبقًا للآية : « لا تدعو لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد ، وهو الذى فى السموات ، (٢) فأبوّة الله ليس على شاكلة أبوة الأرض ، لأن المسيح قال بأننا إذا دعونا الله أباً لا يمكننا أن ندعو آباء الأرض آباء ...

- والله سيد وقد تجلت سيادته فى المسيح القائل : « إنكم تدعوننى معلماً وسيداً ، وحسناً تفعلون ، لأنى هكذا ، (٢) ولكنه ليس كأسياد الأرض « ها أنا بينكم كالخادم ، (٣) و « أن ابن البشر لم يأت ليُخدم بل ليخدم ، (٤) .

- والله عادل - ولكن ليس على طريقة عدالة الأرض . فإنه يعطى عامل الساعة الحادية عشر كعامل الساعة الأولى (٥) .

- والله ملك ، ولكن ليس على شاكلة ملوك الأرض ، لذا قال المسيح لبيلاطس « لقد قلت . أنى ملك ، (٦) ولكنه أوضح : « ممكلتى ليست من هذا العالم ، (٧) .

❖ ❖ ❖

أن الألهة الصنمية التى يصنعها الانسان فى مخيلته سرعان ما تتبدد عند المواقف التى يحتاج فيها الانسان إلى إله - عن هذا يتسائل الإله الحقيقى : « أين آلهتك التى صنعت لنفسك ، ويصلى أرميا النبى بعدما أدرك هذا المعنى : هل يصنع الانسان لنفسه آلهة ؟ وهى ليست آلة ...

---

(١) ١ ش ٥٥ : ٨ . (٢) يو ١٣ : ١٣ . (٣) لو ٢٢ : ٢٧ .
(٤) متى ٢٠ : ٢٨ . (٥) متى ٢٠ : ١ - ١٦ . (٦) يو ١٨ : ٣٧ .
(٧) يو ١٨ : ٣٦ .

لأنها لا تقف مع عابدها وقت الشدائد ولا تعول عابدها المحتاج بل تتبدد كالأحلام عند اليقظة والصحو .

ترى يا قارئى العزيز ، هل تعرفت على الإله الحقيقى أم أنت متعبد لآلهة صناعة محلية ؟ .



١٠- مصالحة بعد المخاصمة

✤ لماذا تخاصموننى ؟ (ار ٢ : ٢٩)

قرأت عن أحد جنود الانجليز ، اشتدت المعركة جداً فى الموقع الذى كان متواجداً فيه أثناء الحرب العالمية الثانية ... قصف شديد من جميع الجهات وأحس أنه مقتول لا محالة ، فأخذ ورقة وقلماً وصار يكتب هذه الصلاة ، « يا إلهى ... أنت وأنا دائمًا كنا فى خصومة طول حياتى الماضية ، وكنت حريصاً أن أهمشك وأُبعدك من حياتى ... أما الآن يا رب، أمد إليك يدى لنتصافح ... فهلا صرنا أصدقاء من الآن ... رعبة هذا الموت الذى أعيشه ذكرنى بصليب يسوع المسيح الذى صالحنى معك » .

ومات هذا الجندى مقتولاً بالجسد فى المعركة تاركًا وثيقة تصالحه مع الله .

هل تعرف يا قارئى العزيز معنى المخاصمة ؟ والمخاصمة مع الله بالذات ؟ إنها قطع لكل العلاقات سواءً الحميمة أم العادية بين الانسان والله ... وتوقف الحوار وكل قنوات الاتصال ... الانسان الذى يخاصم إلهه هو أكثر إثمًا من الانسان الملحد الذى ينكر وجود الله ... فقد يجهل الملحد حقيقة وجود الله ، أما المخاصم فهو يؤمن بوجود الله ولكنه يتجاهله ويقاطعه !! « ويل لمن يخاصم جابله » (١) .

الله أعظم جداً من أن يخاصمه انسان ... والانسان أحقر جداً من أن يخاصم الله ، لأن المتضرر من ذاك الخصام هو الانسان وحده ... ولكن المدهش هنا هو أن الله هو الذى يسعى بهذا التساؤل لأن يصطلح مع الانسان فهو يعاتب : لماذا تخاصموننى ؟ وهو يعد الانسان : « لأنى لا أخاصم إلى الأبد ولا أغضب إلى الدهر » (٢) .

---

(١) اش ٤٥ : ٩.　　(٢) اش ٥٧ : ١٦ .

فليتفطن فى هذا كل رجال الدين الذين أدمنوا الخصام لعشرات السنين مدعين أنهم يخدمون المسيح ... ذاك الذى وضع أشعياء النبى أولى صفاته أنه « لا يخاصم » (١) .

❖ لقد أحسن أيوب البار بما يشبه المخاصمة بينه وبين الله ... ولكونه باراً ، عبّر عن أحتياجه للمصالحة قائلاً : « ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا » (٢) وكل أبرار العهد القديم كانوا يتطلعون إلى ذلك المصالح الذى سيصلحهم على الله ... ويحوّل حالة الخصومة إلى حالة محبة حميمة ، وعلاقات على أعلا مستوى بيننا وبين الله .... حتى أتى المسيح الذى قام بمهمة المصالحة هذه حسب الآيات :

– ولكن الكل من الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة . أى أن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم ، وواضعاً فينا كلمة المصالحة . إذاً نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا . نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله . لأنه جعل الذى لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه (٣) .

– لأنه فيه سر أن يحل كل الملء . وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته ... وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء فى الفكر فى الأعمال الشريرة قد صالحكم الآن فى جسم بشريته بالموت . ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه » (٤) .

– صانعاً سلاماً . ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به » (٥) .

(١) ١ ش ٤٢ : ١، مت ١٢ : ١٩ . (٢) أى ٩ : ٣٣ .
(٣) ٢ كو ٥ : ١٨ – ٢١ . (٤) كو ١ : ١٩ – ٢٢ . (٥) ١ ف ٢ : ١٦ .

- لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت إبنه ، فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته (١) .

❋ ❋ ❋



(١) رو ٥ : ١٠.

١١- رؤية مشوشة

✤ هل صرت برية لاسرائيل ؟ أو أرض ظلام دامس ؟ لماذا قال شعبى قد شردنا لا نجئ إليك بعد ؟ هل تنسى عذراء زينتها أو عروس مناطقها ؟ لماذا تحسنين طريقك لتطلبى المحبة (الغريبة) ؟

(أر ٢ : ٣١ - ٣٣)

✤ هل يسقطون ولا يقومون ؟ أو يرتد أحد ولا يرجع ؟ فلماذا إرتد هذا الشعب فى أورشليم ارتداداً دائماً ؟ (أر ٨ : ٤ ، ٥)

فى الستينات من القرن الماضى ، زار دير السريان أحد الرهبان من ايطاليا ومكث بضعة أيام وهو مفتون بمناظر البرية وايحاءاتها الروحية ... ولما عاد إلى موطنه أرسل لى رسالة قال فيها آية أشعياء النبى « تفرح البرية والأرض اليابسة ويبتهج القفر ويزهر » (١) مع الآيات « إلى أن يسكب علينا روح من العلاء فتصير البرية بستاناً ... فيسكن فى البرية الحق والعدل ... » (٢) . وعلق على كل هذا بعبارة لا أنساها : « لقد عدت من الدير وفى ذهنى لاهوت جديد هو لاهوت البرية ... » .

نفس المكان ونفس الشئ ولكن تختلف النظرة إليه ... فالبرية لبنى اسرائيل هى مكان الاختبارات العميقة مع الله ... وقد تكون بالنسبة لآخرين مكان الخراب المنفر الذى لا يطيق إنسان العيش فيه ... الأول يرى

(١) اش ٣٥ : ١ .　　(٢) اش ٣٢ : ١٥ ، ١٦

البرية بستاناً روحياً مزهراً ، والثانى يراها كمعتقل وسجن .

أيضاً الظلمة بالنسبة لإسرائيل قد تذكرهم بعناية الله بهم حين ضرب مصر بالظلام الذى يكاد يلمس (١) أيام فرعون ، ولكن جميع بنى اسرائيل كان لهم نور فى مساكنهم ، (٢) . أيضاً كان من الممكن أن تذكرهم الظلمة بالرب حيث ، كان الرب يسير أمامهم ... ليلاً فى عمود نار ليضئ لهم ، (٣) . فيسبحوا الرب مع كل الأبرار قائلين : « الرب الهى ينير ظلمتى » (٤) ... ولكن هذه الظلمة عينها قد تكون منفرة ومرعبة لمن لا يتفكر فى الرب متوجساً كل شئ ردئ فيها ...

لقد وصلت نظرة البشر إلى الله ، وبالذات نظرة اسرائيل ابان السبى ، أنه هو نفسه برية منفرة لا تطاق ، وظلام يبث التوجس والرعب ! ولكن الله حينما اختار أن يمثل موقف بنى اسرائيل منه بأنه صار برية لاسرائيل، أو أرض ظلام دامس فهو لا ينتقد نظرتهم السيئة إليه فحسب ، ولكنه فى الوقت نفسه يذكرهم بأنهم كانوا على أعلا مستوى فى محبتهم واخلاصهم لله حينما كانوا فى البرية بعد ضربة الظلام الدامس الذي ضرب بها الله المصريين أيام فرعون ... وكأنه يقول لهم حتى وأن كنت فى نظركم برية وظلام دامس ، ولكن أذكروا مواقفى معكم حين كنتم فى البرية ، ووقت الظلام الدامس الذى عم أرض مصر ... .

❖ كان الله لاسرائيل وقت الظلام وفى البرية كمثل الزينة التى تتزين بها العذراء والمناطق التى تكتسى بها العروس ... لذلك يتساءل الله متعجباً : « هل تنسى عذراء زينتها أو عروس مناطقها ... أما شعبى فقد نسيني أياماً بلا عدد » (٥) .

---

(١) خر ١٠ : ٢١ . (٢) خر ١٠ : ٢٣ . (٣) خر ١٣ : ٢١ .
(٤) مز ١٨ : ٢٧ . (٥) ار ٢ : ٣٢ .

هنا نتذكر قول ماراسحق الشهير : « النفس المحبة لله ، فى الله وحده تجد عزائها » . ونزيد هنا أيضاً بأن الله هو جمال النفس ونضارتها وبهائها وكل ما فيها من حسن وابهار ... فإن رفضت النفس إلهها الحقيقى تغدو قبيحة مرفوضة بدورها .

❖ والأعجب من هذا أن بنى اسرائيل لم يرفضوا الله فحسب ، بل وكانوا يتفننون فى ارضاء آلهة الأمم الذين هم ليسوا آلهة بل شياطين ، طالبين ودهم ومحبتهم ... حتى أنهم كانوا يعلمون الأمم الطرق الشريرة التى ترضى شياطينهم ! عن هذا يتسائل الله « لماذا تحسنين طريقك لتطلبى المحبة . لذلك علمت الشريرات أيضاً طرقك ؟ » (١) .

وهنا عمل بنو اسرائيل شرين عظيمين : فقد شجعوا الأمم فى عباداتهم الباطلة بانضمامهم إليهم بل وتفوقهم عليهم ، حتى أنهم هم الذين كانوا يعلمون الأمم كيف يتزينون لهذه الآلهة المقيته .

وأيضاً لأنهم ساروا فى طريق اللاعودة إلى الله ... فحين يرسل إليهم أحد الأنبياء ، يقولون له « قد شردنا لا نجئ إلى الله بعد » !!!

الذى يضل ويتوه عن طريقه يبذل كل الجهد فى العودة إلى الطريق الصحيح ، فهو يسأل ، ويحاول أن يسترجع خريطة الطرق ، ويبحث عند أى نقطة هو انحراف كى يعود ويأخذ الطريق الصحيح مرة أخرى كما قال الله لملاك كنيسة أفسس : « إنك قد تركت محبتك الأولى . فأذكر من أين سقطت وتب ... » (٢) .

الله يتعجب متسائلاً ، كيف لتائه أن يكف عن البحث للعودة إلى دربه ... وكيف لمن تعثر وسقط لا يحاول أن يقف على قدميه دفعة

---

(١) ار ٢ : ٣٣ .   (٢) رؤ ٢ : ٤ ، ٥ .

أخرى ... فكيف لبنى اسرائيل وقد ارتدوا عن الله ، لا يطلبون العودة إليه .

❖ نحن هنا بصدد ارتداد شعب الله عنه ثم سقوطهم المدمر ... الارتداد عاقبته الهلاك ، وأما نحن فلسنا من الارتداد للهلاك بل من الايمان لاقتناء النفس ، (١) ... أما السقوط فعاقبته السحق والتردى لأنه ، كل من يسقط على ذلك الحجر (الذى رفضه البناؤون ولكنه صار رأس الزاوية – أى المسيح) يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه ، (٢) .

لماذا ارتد هذا الشعب ؟ ... هل يسقطون ولا يقومون ؟ أو يرتد أحد ولا يرجع ؟

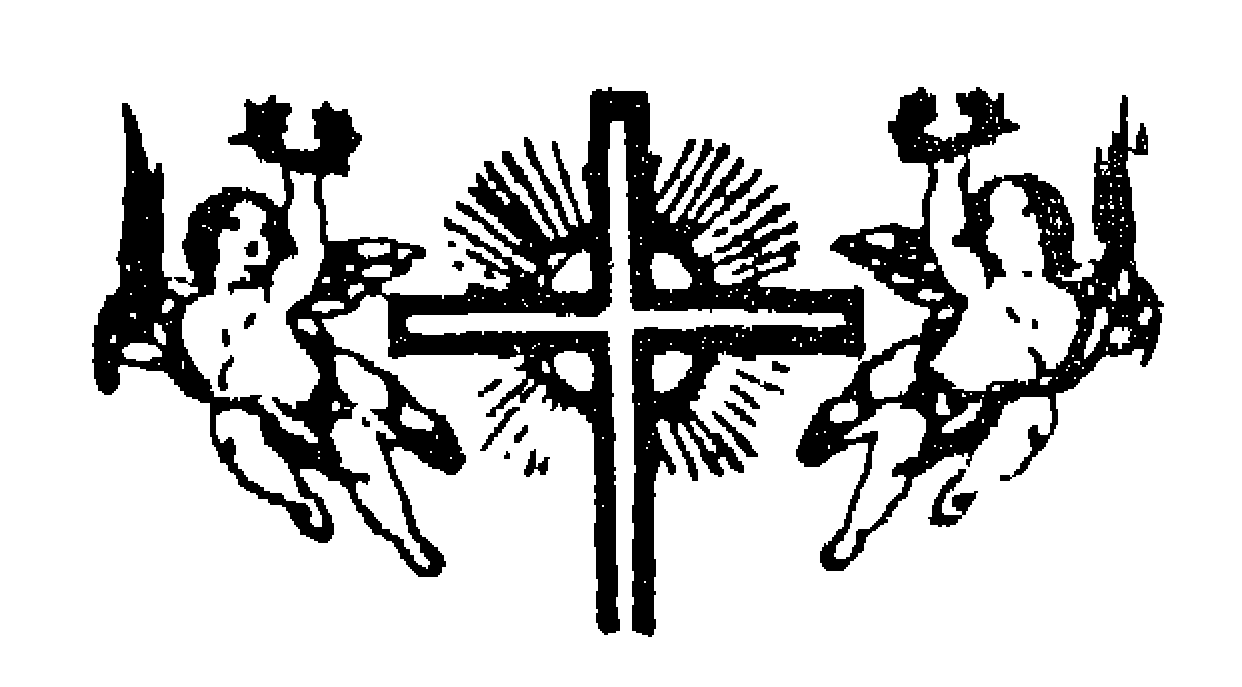
❖ الارتداد والسقوط كان من الشعب ساكنى أورشليم ... ومدينة أورشليم لها وضع روحى خاص حيث هناك هيكل التقاء الانسان بالله ... إنها المدينة ذات المعانى والرموز الالهية الغنية التى ما كان لأحد من سكانها أن يفكر فى غير الله ... ولكنهم هم أنفسهم سكان أورشليم الذين شردوا عن الله وارتدوا وسقطوا ! وهكذا نرى أن السكنى فى الأماكن المقدسة لا يعصم الانسان من الخطية طالما هناك فساد فى القلب . وكلما طال زمان إرتكاب الخطايا ، كلما قلت فرص القيام والرجوع والتوبة من وحل الخطيئة ...

❖ ملاحظة أخيرة ، هذه الفقرة تبدأ بالآية ، أنتم أيها الجيل انظروا كلمة الرب ... ، (٣) . فقد قال : أنظروا كلمة الرب ، ولم يقل اسمعوا كلمة الرب ... لأن الكلام يُسمع ولا يُنظر ... ولكن الروح القدس قصد أن يستعمل كلمة ، أنظروا ، كلمة الرب ... لأن المتكلم هنا هو المسيح ،

(١) عب ١٠ : ٣٩ .   (٢) لو ٢٠ : ١٨ .   (٣) ار ٢ : ٣١ .

كلمـة الله الذى يمكن للأنسـان أن ينظره ، حـيث يتـحدث عن خـلاص الله العظيم ويطلب أن لا نقسى قلوبنا ... فـالمسـيح هـو كلمـة اللّـه المتـجـسد ، والكلمة صار جسداً وحل بيننا ... ، (١) . ، الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبر ، (٢).

ارميا يتكلم بروح النبوة ... إنه بالحرى المسيح له المجد يتكلم على فم ارميا منادياً بالتوبة وسط شعبه ...



(١) يو ١ : ١٤ . (٢) يو ١ : ١٨ .

١٢- السربعة الشيطانية

✠ لماذا تركضين لتبدلى طريقك ؟

(ار ٢ : ٣٦)

لقد أثبت العلماء أن هناك مراكز فى مخ الانسان تسمى المراكز المهيئة ، وأخرى تعرف بالمراكز المثبطة ... فبمجرد أن تتولد فكرة فى ذهن الانسان ، تعمل المراكز المهيئة دافعة الانسان أن ينفذ تلك الفكرة ، موفرة له كل الأسباب التى يستند عليها للتنفيذ ... وفى نفس الوقت تعمل المراكز المثبطة على إستبعاد الفكرة وعدم تنفيذها موفرة أيضاً الأسباب المضادة للتنفيذ ... وعندما يكون عمل المراكز المهيئة هو الأقوى فالقرار يتخذ بالتنفيذ ، وعندما يكون عمل المراكز المثبطة هو الأقوى فالقرار يتخذ بنبذ الفكرة وعدم تنفيذها ...

هذا ينطبق على كل نشاط يقوم به الانسان ، فارتكاب الخطايا ، له مبرراته فى ذهن الخاطئ ، والتدابير الروحية لها أيضاً مبرراتها فى ذهن البار ... لذلك ينصح العلماء بالاستفادة من هذه المراكز الكائنة فى الذهن البشرى فى عملية **الترويض** وكأن عقل الانسان تحول إلى مجلس شورى فيه المؤيد وفيه المعارض ، والانسان العاقل هو الذى يستعرض كل الأفكار المؤيدة وكل الأفكار المعارضة أيضاً لأى تدبير معين سيتدبر به فى حياته ، وبذلك يتخذ القرار السليم .

الشيطان وهو يدفع الانسان لارتكاب الخطيئة ، يعتمد على تشغيل المراكز المهيئة فقط ، فارضاً تعتيماً على المراكز المثبطة ، ويظل هكذا حتى يتقبل الانسان ضلالته مقتنعاً بارتكاب الخطيئة ، فيسوقه الشيطان بسرعة وبلا تروى لارتكابها خوفاً من يقظة المراكز المثبطة ...

وإذا بالانسان المخدوع يهرول متهافتاً ومندفعاً للذهاب فى طرق الخطية وهو مسبى العقل ، وبإرادة فى ذروة حماسها لارتكاب الشر ، حتى إذا ما سقط ، يسرع الشيطان ويشد وثاقاته فى مستنقع الخطايا ... فلا يخرج منه حتى لو أراد فيما بعد ...

حينما تكون النفس مندفعة لعمل الخطيئة وكسر وصايا الله ، يرن فى أعماقها صوت التساؤل : « لماذا تركضين لتبدلى طريقك » ؟ .

فلو تأن الانسان فى هذه المرحلة ... وبدأ يستعرض الأفكار المثبطة للخطية وأجرى عملية الترويض هذه ، سيكتشف على الفور أنه يبدل طريق الحياة بطريق الموت ، وطريق المجد بطريق الهوان ، وطريق السلام بطريق القلق والدمار ... « لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس، معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ، ونعيش بالتعقل والبر والتقوى فى العالم الحاضر ، منتظرين الرجاء المبارك ، وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح الذى بذل نفسه لأجلنا لكى يفدينا من كل اثم ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً فى أعمال حسنة » (١) .

فإن أردت أيها الانسان أن تسير على الدرب السليم ، فأرفض تلك السريعة الشيطانية ... وأهدأ وتعقل وأبدأ فى أن « تروض نفسك للتقوى » (٢).

ونعمة الله تسند ضعفنا ...

❋ ❋ ❋

(١) تى ٢ : ١١ - ١٤ .   (٢) اتى ٤ : ٧ .

١٣- أملٌ للنفوس الساقطة فى الخطية

✤ **هل يرجع إليها بعد ؟**

الا تتنجس تلك الأرض نجاسة ؟

اين لم تضاجعى ؟ (ار٣ : ١، ٥)

فى الاصحاح الثانى من سفر ارميا ، ظل الرب يحذر كل نفس قبل السقوط فى الخطيئة ... أما هنا فى الاصحاح الثالث ، يعطى الرب أملاً لكل نفس سقطت فعلاً ، بأنه سيعيدها إلى طهارة طقسها الأول إن هى تابت .

فرغم أن السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب (١) ، وأنه يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب (٢) ، إلا أن التوبة بالنسبة لله هى عملية تتطلب تغيير شرائعه هو ... إنه يصور قبوله للنفس الخاطئة كأنه قبول رجل لزوجته بعد أن تركته وخرجت لتمارس الدعارة على الملأ ! إنها عملية ليست سهلة ...

قد يظن الناس أن التوبة عمل صعب جداً على الأشرار من الناس ولكن قبول الخطاة هو عمل أصعب بكثير على الله ، وبالرغم من هذا فإن الله مستعد أن يعمل الصعب والمستحيل ، لكى يرجع الخاطئ وتحيا نفسه !

❖ التساؤل يشير إلى ما ورد فى سفر التثنية عن تحريم عودة المطلقة إلى زوجها الأول إن هى صارت زوجة لرجل آخر ، أو زنت ... .

« لا يقدر زوجها الأول الذى طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة ،

---

(١) لو ١٥ : ٧ .   (٢) لو ١٥ : ١٠ .

بعد أن تنجست ، لأن ذلك رجس لدى الرب . فلا تجلب خطية على الأرض ... » (١) .

ورغم أن الله طبق هذا النص من الشريعة على العلاقة بينه وبين النفس إلا أنه فى حنان غير معقول يقول : « لكن أرجعى إلىَّ يقول الرب » (٢) . « أرجعى أيتها العاصية ... لا أوقع غضبى بكم لأنى رؤوف يقول الرب . لا أحقد إلى الأبد . أعرفى فقط اثمكِ أنك إلى الرب أذنبتِ ... أرجعوا أيها البنون العصاة يقول الرب لأنى سُدْتُ عليكم » (٣) .

« توبوا وأرجعوا عن كل معاصيكم . ولا يكون لكم الاثم مهلكة . أطرحوا عنكم كل معاصيكم التى عصيتم بها ... فلماذا تموتون ... لأنى لا أسر بموت من يموت يقول السيد الرب . فأرجعوا وأحيوا » (٤) .

❖ لقد أبدل الله شريعة العهد القديم ، شريعة المعاقبة : والقصاص ، والانتقام من كل عصيان ، بشريعة العهد الجديد حيث الغفران والنعمة : « لأن الناموس بموسى أعطىَ أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا » (٥) . وكما جاء بوضوح فى رسالة العبرانيين « فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها إذ الناموس لم يكمل شيئًا . ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله » (٦) .

– الناموس يقول « النفس التى تخطئ هى تموت » (٧) .

– ويحكم الناموس أيضًا : « أن من حفظ كل الناموس وإنما عثر فى واحدة فقد صار مجرمًا فى الكل » (٨) . وبنفس المعنى « لأنه مكتوب

---

(١) تث ٢٤ : ٤ . (٢) ار ٣ : ١ . (٣) ار ٣ : ١٢ – ١٤ .
(٤) خر ١٨ : ٣٢ . (٥) يو ١ : ١٧ . (٦) عب ٧ : ١٨ ، ١٩ .
(٧) حز ١٨ : ٤ ، ٢٠ ، رو ٦ : ٢٣ . (٨) يع ٢ : ١٠ .

ملعون كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به ، (١) .

هنا يتضح سيف الناموس البتار ، فبمجرد أن يخطئ الانسان خطية واحدة ، يبقى تحت لعنة الناموس بلا رجاء حتى ينفذ فيه حكم الموت الأبدى ، فلا يوجد غفران ولا كفارة ولا أى شئ فى العهد القديم يمكنها أن تمحى حكم اللعنة والموت عن الخاطئ ولو بهفوة واحدة فى حياته ...

أما العهد الجديد ، الذى هو عهد النعمة فقد تكرس بقيامة الرب يسوع المسيح من الموت وصعوده إلى السموات بالرغم من كونه حامل خطيئة العالم كله ... صار هناك إمكانية التحرر من اللعنة ومن الموت بالتوبة والايمان .



(١) غل ٣ : ١٠ ، تث ٢٧ : ٢٦ .

١٤- يقظة وقتية للضمير

✿ **هل يحقد إلى الدهر ؟أو يحفظ غضبه إلى الأبد ؟** (ار٣ : ٥)

اهتمت وسائل الاعلام منذ أشهر بقضية سيارة اقتحمت بيتاً عشوائياً وقتلت ستة أطفال ... وأراد الشاهد أن ينقذ سائق السيارة النقل لسبب أو لآخر فألصق التهمة بسيارة ملاكى أخرى تصادف تواجدها هناك وقت الحادث ... صاحبة هذه السيارة سيدة كانت قد سافرت للخارج ... فاستدعتها النيابة بواسطة البوليس الدولى ... وعاملوها معاملة تعسفية حتى قبل اجراءات التقاضى ... وتحركت الصحف وكل وسائل الاعلام ... أما المرأة المسكينة فكانت دائمة البكاء وهى تدافع عن نفسها وصارت إلى حالة سيئة جداً ، هنا تحرك ضمير الشاهد ... وذهب إلى القاضى وأقر بالحقيقة تحت وازع يقظة ضميره ... ولكن لأنه كان رجل فاسد القلب بدأ يبتز المال من الطرفين ، وأراد أن يغير أقواله مرة أخرى ليتهم تلك المرأة البريئة ...

ذكرتنى هذه الواقعة بما يصوره الكتاب المقدس فى التساؤل عاليه عن يقظة لحظية للضمير بعد السقوط فى الخطية ثم معاودة الانغماس فيها ، تقول الآيات حسب الترجمة السبعينية :

« بقيت جبهتك جبهة امرأة زانية ورفضت أن تستحى . ثم صرخت إلىّ : يا أبى ، أنت أليف صباىّ . هل تحتفظ بغضبك على الدوام ؟ هكذا قلتِ .

ولكنك أخذتِ تفعلين الشر بعناد شديد » (١) .

---

(١) ار٣ : ٤ ، ٥ .

لقد كانت هذه الصرخة ، والتلطف مع الله حين امتنع المطر وصاروا مهددين بالقحط .

إنه تكتيك شيطانى متكرر ... فهو يبذل كل الجهد ، مستخدماً كل وسائل الغواية والاغراء كى يجعل الانسان المتصادق مع الله يسقط سقطته الأولى ، وعلى الفور يحاول أن يغوص به أقصى ما يستطيع فى وحل الخطية ... هنا لابد من يقظة ضمير فى لحظة مواجهة مع النفس ومقارنة حالتها الأولى من النقاء ، وإلى ما وصلت إليه من حال سئ من التلوث واللوثة .

فلو التصقت النفس بلحظة يقظة الضمير هذه وتابت بصدق كمثل بطرس الرسول (١) ، فإن الله يعود إليها بالمراحم .

أما إن هى لم تستفد من لحظة يقظة ضميرها ، وتركتها تمر دون أن تتشبث بها ، تعود الشياطين وتسوقها إلى ما هو أردأ ... وحتى يحدروا النفس نحو هلاكها الأبدى . كمثل يهوذا الاسخريوطى (٢) ...

الضمير هو الأفكار المنحازة نحو الله والكائنة فى صميم كيان الانسان ، تلك التى يعود بها الانسان نحو خالقه ... وبمجرد يقظته بعد السقوط يعمل روح الله القدوس مع الضمير كى يتمم الانسان عمل التوبة إن استجاب الانسان لهذه الصحوة .

يا لحنانك يارب ! لأنك حتى بعد سقوطنا لا تتركنا عنك إلى الانقضاء بل ترسل صوتك إلى ضميرنا كى نقوم قائلين لعدوتنا الخطية : « لا تشمتى بى يا عدوتى . إذا سقطت أقوم ... إذا جلست فى الظلمة فالرب نور

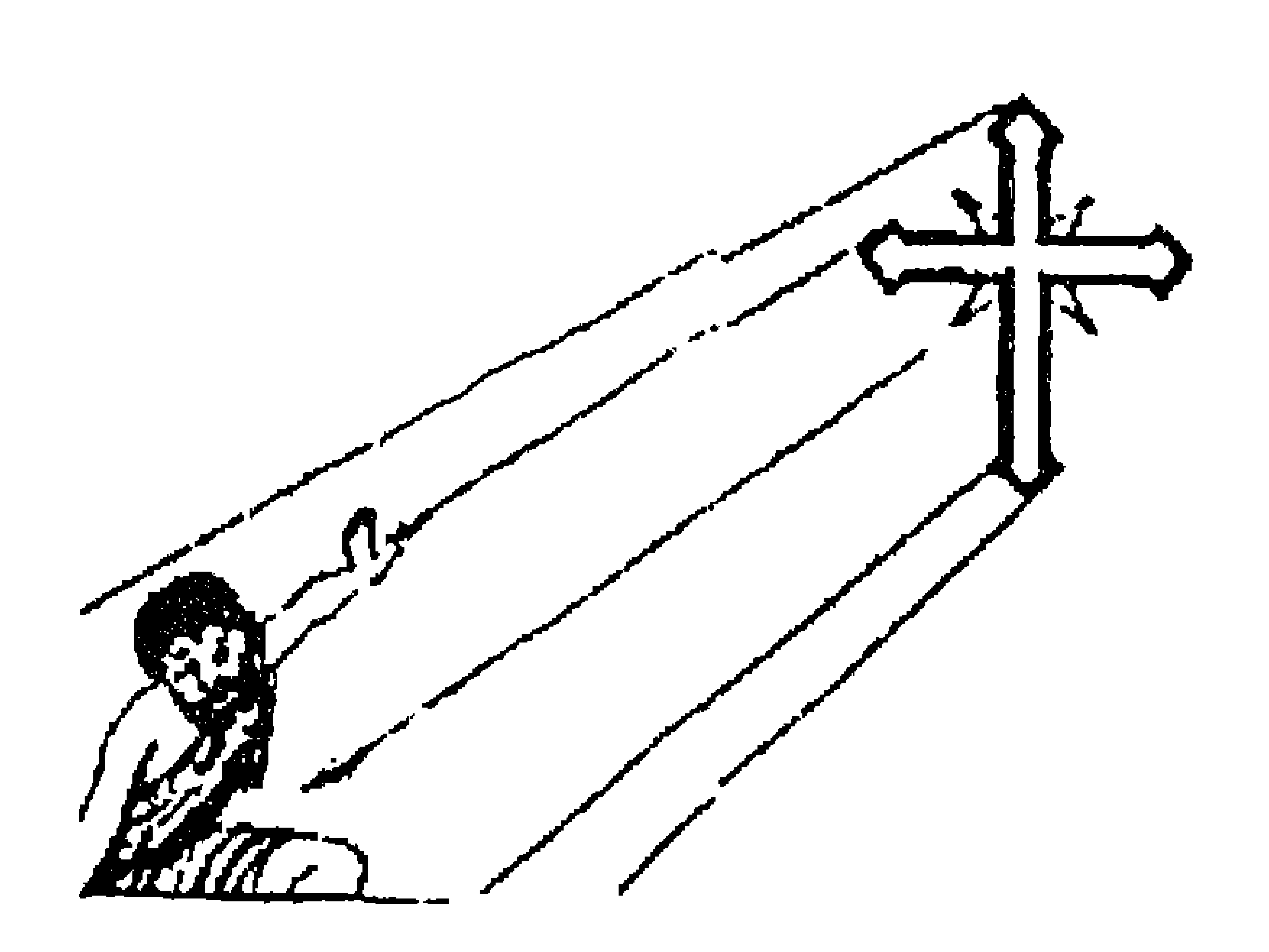
---

(١) اش ١ : ١٨ .　　(٢) لو ٢٢ : ٦١ ، ٦٢ .　　(٣) اع ١ : ١٨ .

لـى ... سيخرجنى إلى النور . سأنظر بره » (١) .

لست أدرى هنا ، هل استيقظ ضمير بنى اسرائيل ، بعد سقوطهم حين قالوا للرب « يا أبى ... أليف صباى ... لا تغضب علىَّ إلى الأبد ... » أم أنهم أرادوا مخادعة الله بأفواههم حتى تزول آثار الخطية وبعد ذلك ينخرطوا منغمسين فى الشرور ؟ على أية حال فلنعتبر نحن : « اليوم أن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم » (٢) .

* * *



(١) ميخا ٧ : ٨ . (٢) عب ٣ : ٧ ، ٨ .

١٥- جاحدون ... واله طيب

✥ هل رأيت ما فعلت العاصية
اسرائيل ؟ (ار٣ ، ٦)

عند تصميم مدينة جديدة على موقع ما ، فإن الجبال والهضاب تخصص عادة للمساكن ، أما السهول والسفوح فإنها تخصص للزراعة والتشجير ، لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل ، (١) .

لقد كان اسرائيل تائهًا فى قفار برية سيناء ... وتعطف الرب عليهم وأدخلهم مدن للسكن كما يصف المزمور :

، تاهوا فى البرية فى قفر بلا طريق . لم يجدوا مدينة سكن جياع عطاش أيضًا أعيت أنفسهم فيهم . فصرخوا إلى الرب فى ضيقهم فأنقذهم من شدائدهم ، وهداهم طريقاً مستقيماً ليذهبوا إلى مدينة سكن . فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبنى آدم . لأنه أشبع نفساً مشتهية وملأ نفساً جائعة خيراً ، (٢) .

مدن السكن هذه التى سكن فيها اسرائيل ، وصفها موسى فى تسبحته مع بنى اسرائيل قائلاً :

، تجئ بهم وتغرسهم فى جبل ميراثك . المكان الذى صنعته يارب لسكنك المقدس الذى هيأته يداك يارب ، (٣) . وبناءً على هذه الآيات تكون الجبال التى سكنها اسرائيل هى جبال الله ، والهضاب هى هضاب الله وحتى الشجر كانت هى غروس الله (٤) . وبالاجمال قال لهم الرب ، لى

(١) متى ٥ : ١٤ . (٢) مز ١٠٧ : ٤ - ٩ . (٣) خر ١٥ : ١٧ ..
(٤) تث ٢٠ : ١٩ .

الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندى » (١) .

فلقد كان من المفروض أن يمجدوا الله ويعترفوا له بالجميل كلما وقعت أعيدهم على أى بقعة من بقاع سكنهم ، شاكرين وحامدين لأفضاله ، ولكنهم على العكس ... ملأوا الأرض بالأوثان والأصنام وتماثيل آلهة الأمم التى لم تكن إلا شياطين ، ودنسوا أرض الله ونجسوها ... الأمر الذى اعتبره الله خيانة وزنى عنه ... لقد خان اسرائيل الرب ، وأقاموا أنصاباً لآلهة غريبة على الجبال والتلال ، والهضاب ، والسهول ، والأوطئة وأخذوا من حجارة الأرض وصوروا مساخيط آلهة الأمم ونحتوا فى أخشاب الشجر تصاويرهم النجسة !!!

لقد أراد الله أن يصور هذه الخطيئة بصورة بشعة يشمئز منها الانسان فصور عصيان اسرائيل عنه كامرأة تخون زوجها مع عشاق آخرين ، بل وتمارس البغاء مع كل عابر وتدفع له هى الأجرة ، دون أن يدفع هو لها شيئاً غير إذلالها وهوانها !

وبالرغم من كل هذا هو مستعد أن يقبلها إليه إن هى استقامت .

❖ فى البرية كان اللاويون يحملون خيمة الاجتماع مع الله ، وينقلونها معهم فى كل المواضع ... ولكن لأن قلوبهم كانت مع آلهة من أصنام أخرى قال لهم الرب : « هل قدمتم لى ذبائح وتقدمات فى البرية أربعين سنة يا بيت اسرائيل . بل حملتم خيمة ملكومكم وتمثال أصنامكم نجم الهكم الذى صنعتم لأنفسكم » (٢) .

❖ وسفر القضاة يشهد فى مواضع كثيرة كيف عبد بنو اسرائيل آلهة

---

(١) لا ٢٥ : ٢٣ .   (٢) عا ٥ : ٢٥ .

غريبة على الفور بعد دخولهم أرض كنعان (١) ، ولم يستقيموا أبداً فى عبادة الرب .

❖ وبعد انقسام المملكة رسخ يربعام بن ناباط عبادة عجلين على مرتفعات دان وبيت أيل (٢) وظل هذا الرجس ، وتفاقم فى عهود الملوك الذين أتوا بعد يربعام وانسحب هذا الرجس على مملكة يهوذا وأورشليم (٣) . بل أن البيت الذى بناه سليمان ، ظهر فيه رجسة الخراب (٤) وبات اللّه ، وكأنه غريب فى أرضه ، ومقصى عن شعبه .

إبعدل ينتزعهم الله عن أرضه ... ويخرب ما كانوا يدعونه بهيكل الله حيث أنه أضحى غاصاً بالأصنام ...

❖ يوجه اللّه تساؤله لارميا : هل رأيت ما فعلت العاصية اسرائيل ؟ وماذا يارب فعلت ؟ « انطلقت إلى كل جبل عال وإلى كل شجرة خضراء وزنت هناك » (٥) . ويوجه الله تأنيباً لاسرائيل « ارفعى عينيك إلى الهضاب وأنظرى أين لم تضاجعى . فى الطرقات جلست لهم كأعرابى فى البرية ونجست الأرض بزناك وشرك » (٦) .

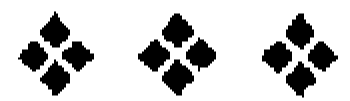
وقبائل العرب فى البرية يذكرنا بالاسماعليين الذى تاجروا فى يوسف ابن يعقوب الذى هو رمز العفة ، وكأن الله يذكرهم بهذه الصورة ، إنهم على شاكلة الاسماعيليين يتاجرون فى العفة !!

وماذا يارب عن أورشليم ويهوذا ؟ يقول الرب « مضت وزنت هى أيضاً. وكان من هوان زنها أنها نجست الأرض وزنت مع الحجر ومع الشجر» (٧).

---

(١) قض ٢ : ١٣ ، ١٠ : ٦ . (٢) امل ١٢ : ٢٨ . (٣) ٢أى ٣٦ : ١٦ .
(٤) متى ٢٤ : ١٥ . (٥) ار٣ : ٦ . (٦) ار٣ : ٢ .
(٧) ار٣ : ٢ .

ويركز هوشع النبى هذه الحالة فى الآية : « افرايم موثق بالأصنام » (١) فلقد صارت الأصدام بالنسبة لبنى اسرائيل كوثاقات من سلاسل لا تنفك عنه !



والآن فلننظر إلى أنفسنا ...

لقد أعطانا الله عقولاً مفكرة لنفكر فيه ... ولكننا ملأنا عقولنا بأفكار منحطة غير لائقة .

ولقد أعطانا الله قلبًا جياشًا بالعواطف ... ولكننا ملأنا هذا القلب بالعواطف النجسة نحو صنمية العالم .

كذلك أعطانا الله ارادة كى نتخذ بها قرارات مصيرية فى حياتنا تأتى بنا إلى الله ... ولكننا ركزنا كل نشاط ارادتنا حول تفاهات الأرض ، مغيبين الله من حياتنا .

أعطانا الله مواهب وعافية وإمكانيات وأوقات (٢٤ ساعة كل يوم) ، وأماكن ... ولكننا استخدمنا كل هذه وملأنا كل ما حولنا بأصنام العالم الباطلة ... وجذبنا الخالق من حياتنا !

❖ الله فى نفس هذا الاصحاح وفى مواضع عديدة أخرى من كتاب اللّه المقدس يعطينا فرصة لنتوب ونرجع إليه ونعدل مسارات حياتنا وأفكارنا نحوه ... بل هو مستعد أن يقوم بنفسه باتمام هذا العمل فينا حيث يقول :

– أنا أشفى إرتدادهم . أحبهم فضلاً لأن غضبى قد ارتد عنه (٢) .

---

(١) هو ٤ : ١٧ .　　(٢) هو ١٤ : ٤ .

- فالله الآن يأمر جميع الناس فى كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل (١) .

- لكن أرجعى إلىّ يقول الرب (٢) .

- ارجعى أيتها العاصية اسرائيل يقول الرب . لا أوقع غضبى بكم لأنى رؤوف يقول الرب . لا أحقد إلى الأبد . أعرفى فقط إثمك أنك إلى الرب الهك أذنبت وفرقت طرقك للغرباء (٣) .

- إرجعوا أيها البنون العصاة يقول الرب . لأنى سُدتُ عليكم (٤) .

* * *



(١) اع ١٧ : ٣٠ . (٢) ار ٣ : ١ . (٣) ار ٣ : ١٢ .
(٤) ار ٣ : ١٤ .

١٦- وإلا ... سأحرمك من الميراث

✤ وأنا قلت : كيف أضعك بين
البنين . وأعطيك أرضًا شهية
ميراث أمجاد الأمم ؟
(ار ٣ : ١٩)

الآباء الذين كونوا ثروة طائلة ، حينما يعانون من جحود أحد الأبناء ، وعصيانه ، وشروده ، وعقوقه ، وتبذيره ، فإنهم عادة ما يلجأون إلى التهديد بحرمانه من الميراث كي يتعقل ويتفطن فيما يؤول إليه مصيره لو نفذ أباه هذا الوعيد فعلاً ... فكل أخوته سينعمون بميراث أبيهم إلا هو ...

لكل ابنٍ حقوق عند أبيه ، ينالها كاملة إن هو راعى بدوره حقوق أبيه عليه ، أن كنتُ أنا أبًا فأين كرامتى ، (١) . الله مستعد أن يعطينا كل حقوقنا كأبناء له ، ولكن عندما يجحد الابن أباه ويعصاه ، يتساءل الله : كيف يضع الابن العاق على قدم المساواة مع الابن المطيع ؟ عقوق الابن يقطع علاقته بأبيه تلقائيًا ... الله مستعد أن يضاعف البركات والنعم لكل نفس أمينة معه . أما أن تخابثت النفس وحصلت على بركات ونعم وغنى من أبيها السماوى ثم استغلت هذا الغنى كله فى تفاقم خطاياها وكسر وصايا هذا الآب السماوى .

بمعنى ، إذا كان الله أعطانى الصحة والعافية ، والمال والمقتنيات وأوقات فراغ رائعة ... وعلم وكتب مقدسة وكنيسة ، فأبدد هذا كله فيما يخدم خطايا الزنى والنجاسة وتفاهات العالم ... فكيف سيأتمنى الله على الميراث الأبدى المحفوظ لى فى السموات (٢) ؟

(١) ملا ١ : ٦ .   (٢) ابط ١ : ٤ .

والآن بعدما جحد الابن أباه وعصاه ، وأخذ من غناه وبذره بعيش مسرف على المبيقات والزوانى (١) هل له قبول فى بيت الآب مرة أخرى ؟

الله ينادى فى نفس الاصحاح :

« أرجعوا أيها البنون العصاة فأشفى عصيانكم » (٢) . وكيف يارب ستشفى عصياننا ؟

يقول الرب أيضًا : « أرجعوا أيها البنون العصاة يقول الرب لأنى سُدتُ عليكم فآخذكم » (٣) .

عودة سيادة الله على الحياة هو الذى يشفى عصياننا ... وهذا قد لا يتأتى إلا بعد مرور النفس فى مذلة خطاياها ، كما أوضح ربنا فى مثل الابن الضال « فلما أنفق كل شئ حدث جوع شديد ... فابتدأ يحتاج ... فمضى والتصق بواحد من أهل تلك الكورة فأرسله إلى حقوله ليرعى خنازير ... وكان يشتهى أن يملأ بطنه من الخرنوب الذى كانت الخنازير تأكله فلم يعطه أحد » (٤) .

فعندما يصل الابن العاق ، من الخبرة العملية ، أن الخطية غير مجدية ، وليست بلا جدوى فقط بل ومؤذية ومهلكة ، ويدفع الانسان فى مقابلها ثمنًا باهظًا قد يكلفه مستقبله وأبديته ، مع التفكر فى أمجاد بيت الآب الذى تركه ... يعود ويقبل سيادة الله على حياته مرة أخرى ، والله من جهته بكل حكمة وحنان يشفى العصيان كى تعود المياه إلى مجاريها .

---

(١) لو١٥ : ١٣ ، ٣٠ . (٢) ار ٣ : ٢٢ . (٣) ار ٣ : ١٤ .
(٤) لو١٥ : ١٤ .

❖ يقول : ، كيف ... أعطيك أرضاً شهية ميراث أمجاد الأمم ، حيث يصف سفر الرؤيا هذا الميراث على هذا النحو : ، وتمشى شعوب المخلصين بنورها ، وملوك الأرض يجيئون بمجدهم وكرامتهم إليها ، .

يارب لا تحرم أحد من أبنائك من ذلك الميراث الأبدى ،

* * *

١٧- سر عمل النعمة

✥ اغسلى من الشر قلبك
يا أورشليم لكى تخلصى
إلى متى تبيت فى وسطك
أفكارك الباطلة ؟
(ار ٤ : ١٤)

عندما احتدم الجدل بين القديس أوغسطينوس . وبيلاجيوس حول موضوع عمل النعمة ... لاحظ القديس أوغسطينوس ملاحظة رائعة استنتجها عن تعمقه فى فهم الأسفار المقدسة فى الانجيل وأورد فى كتاباته أمثلة عديدة ، هذه الملاحظة هى :

أولاً : يضع الله وصية معينة للانسان كالتوبة ، والقداسة ... الخ .

ثانياً : يكتشف الانسان أنه بطبيعته الفاسدة غير قادر على تنفيذ الوصية رغم كده وجهاده فى تنفيذها بكل جدية !

ثالثاً : يلجأ الانسان متوسلاً إلى الله أن يعطيه القدره على تنفيذ الوصية هذه التى عجز عن تنفيذها ، بصلوات حارة ...

رابعاً : يعطيه الله أن ينفذ ما أوصى به بسهولة من خلال عمل النعمة ، استجابة لصلاته .

ولنأخذ التوبة كمثال .

فوصية الله هى « توبوا لأنه قد اقترب منكم ملكوت الله » (١) .

---

(١) مت ٤ : ١٧ .

ولكن البشر « تمسكوا بالمكر . أبوا أن يرجعوا ... ليس أحد يتوب عن شره » (١) .

هنا يتقدم ارميا النبى إلى الله طالباً أن يُحدث هو توبة حقيقية مصلياً « أرددنا يارب إليك فنرتد ... توبنى فأتوب لأنك أنت الرب الهى » (٢) .

هنا يستجيب الله معطياً الانسان نعمة التوبة « أنا أشفى ارتدادهم . أحبهم فضلاً ... أشفى عصيانكم » (٣) .

❖ والاغتسال من الذنوب والخطايا ، الذى هو موضوع التساؤل عاليه ، هو نموذج آخر لفكرة القديس أوغسطينوس .

أولاً : الله يطلب من الانسان أن يتطهر : « اغتسلوا تنقوا أعزلوا شر أفعالكم من أمام عينى . كفوا عن فعل الشر » (٤) .

ثانياً : يجاهد الانسان بكل قوته كىَ يغتسل ويتطهر ولكن بدون جدوى « ولو اغتسلت فى الثلج ونظفت يدى بالاشنان . فإنك فى النقع تغمسنى حتى تكرهنى ثيابى » (٥) . وأيضًا « فإنكِ وأن إغتسلت بنطرون وأكثرت لنفسك الأشنان . فقد نقش أثمك أمامى يقول السيد الرب » (٦) .

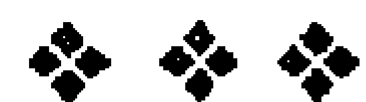
ثالثاً : يطلب الانسان التطهير والاغتسال من الذنوب كنعمة من الله فى الصلاة إذ يتضرع : « أغسلنى كثيراً من اثمى ومن خطيتى طهرنى ... طهرنى بالزوفا فأطهر . اغسلنى فأبيض أكثر من الثلج » (٧) .

رابعًا : يعطى الله الاغتسال من الذنوب ، والتطهير بعمل النعمة

---

(١) ار ٨ : ٦ .	(٢) مراثى ٤ : ٢١ ، ار ٣١ : ١٨ .
(٣) هو ١٤ : ٤ ، ار ٣ : ٢٢ .	(٤) اش ١ : ١٦ .	(٥) اى ٩ : ٣٠ .
(٦) ار ٢ : ٢٢	(٧) مز ٥١ : ٧ .

وكاستجابة للصلاة : « يسوع المسيح الشاهد الأمين البكر من الأموات ورئيس ملوك الأرض . الذى أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه » (١) . « لا بأعمال فى بر عملناها نحن ، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى » (٢) .



أورشليم رمز لقلب الانسان ... أنها مدينة الملك العظيم (٣) ، حيث تصعد تسابيح وتماجيد الرب من هناك (٤) ... هى موضع سكنى الله لتقديس الانسان كله (٥) ، وتقديس كل الأرض (٦) . قال يسوع : « الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى . والذى يحبنى يحبه أبى ، وأنا أحبه وأظهر له ذاتى ... ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً » (٧) . « الله فى قصورها يعرف ملجأ » (٨) . « هو فى وسطها فلن تتزعزع » (٩) . وهناك « توفى النذور » (١٠) .

مكان سكنى الله هذا ، امتلأ بالشرور ، لذلك لا يمكن أن يلبث الله هناك ... المكان المفروض أن تصعد منه التسابيح لله ، أصبح يعج بالأفكار الباطلة ، وانتفت منه كل قدسية الهية ... ويالها من كارثة !!!

يجسم حزقيال النبى زوال مجد تلك المدينة بصورة مؤثرة فيقول : « وخرج مجد الرب من على عتبة البيت (١١) ... ثم رفعت الكروبيم أجنحتها ، والبكرات معها ، ومجد اله اسرائيل عليها من فوق . وصعد مجد

(١) رؤ ١ : ٥ . (٢) تى ٣ : ٥ . (٣) مز ٤٨ : ٢ .
(٤) مز ١٠٢ : ٢١ . (٥) يو ١٤ : ٢١ . (٦) مز ١٣٥ : ٢١ .
(٧) يو ١٤ : ٢٣ . (٨) مز ٤٨ : ٣ . (٩) مز ٤٦ : ٥ .
(١٠) مز ١١٦ : ١٨ . (١١) حز ١٠ : ١٨ .

الرب من على وسط المدينة ، (١) .

وهكذا كل قلب يستمرئ الشرور ، مبغضاً للأفكار الالهية ومتقبلاً لكل فكر باطل آتياً من العالم ، لا يمكن أن يلبث الله هناك ... والأمر يحتاج إلى غسل القلب من كل أفكاره الباطلة وإلا فإنه سيهلك ... وتضيع منه فرصة الخلاص ...

، أغسلى من الشر قلبك يا أورشليم لكى تخلصى إلى متى تبيت فى وسطك أفكارك الباطلة ؟ ، .

❖ يشعر الانسان بالانتعاش حين يغتسل ويستحم ، حيث يتخلص من وسخ الجسد ، ومن كل القاذورات والنتانات التى علقت به ... وقد نعجب من انسان لا يريد أن يتخلص من هذه كلها !

هكذا ينتعش الانسان أكثر وأكثر بما لا يقاس حين يغتسل قلبه من الشرور ومن كل الأفكار الباطلة بدم المسيح النورانى .

، كل من كُتب للحياة فى أورشليم . إذ غسل السيد قذر بنات صهيون ونقى دم أورشليم من وسطها بروح القضاء وبروح الاحراق ، (٢) .

---

(١) حز ١١ : ٢٣ .   (٢) اش ٤ : ٤ .

١٨- راية ... تحت ظلها نعيش

✤ حتى متى أرى راية ، وأسمع
دوى البوق ؟ (ار ٤ : ٢١)

أول عمل قام به رائد الفضاء أرمسترونج حينما وطأت قدماه القمر فى ١٩٦٦/٦/٢ ، هو تثبيت راية الولايات المتحدة الأمريكية فوق القمر ... وهذا يعنى فى عرف القانون الدولى أن القمر أصبح ملكية أمريكية ... فالراية تعنى التملك والتبعية ، وعلى كل دولة أن تحمى كل شبر من أراضيها يخفق فوقها راية علمها ...

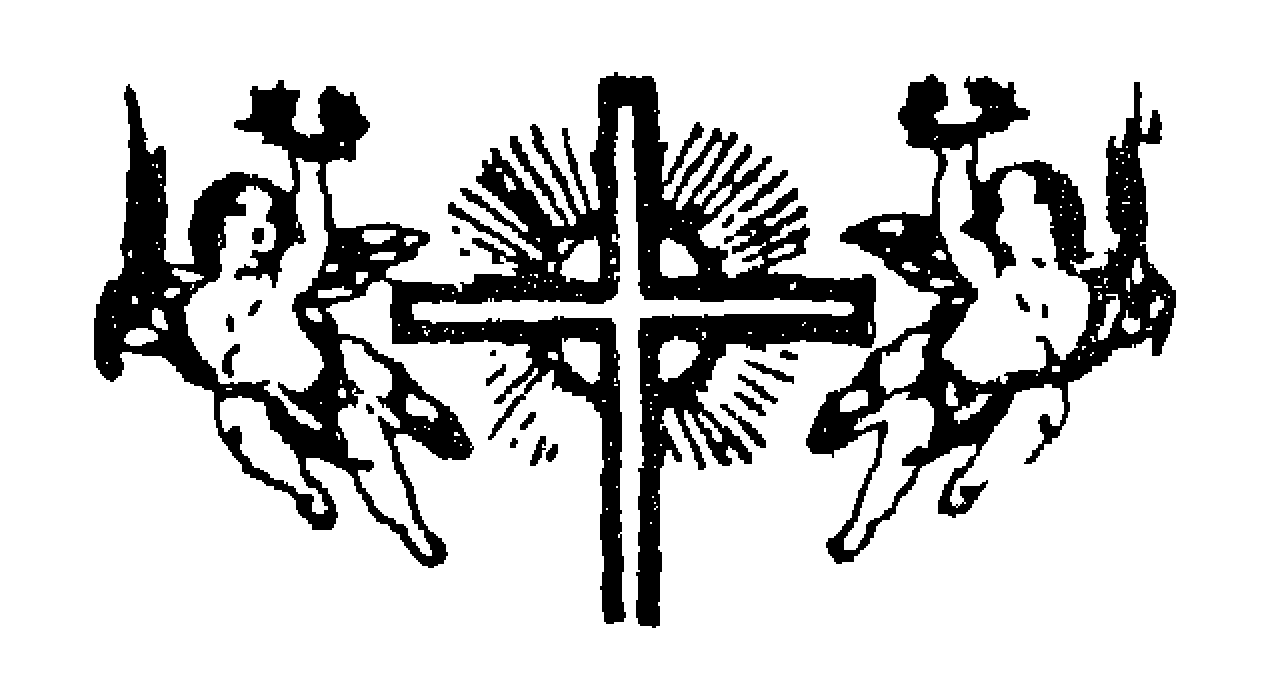
أدين أحد الألمان قبل الحرب العالمية الثانية بأنه يتجسس على دولة ألمانيا لحساب مخابرات انجلترا وفرنسا ، وحكم عليه بالاعدام رميًا بالرصاص وقبل تنفيذ الحكم أتى القنصل الانجليزى والقنصل الفرنسى ووضعا رايتا انجلترا وفرنسا على ذلك المواطن الألمانى قائلين أنه أضحى محميًا بعلم الدولتين ، ومعنى اطلاق الرصاص عليه ، هو اعلان الحرب على الدولتين معًا ، وهكذا أبطل تنفيذ الحكم ونجى الرجل حين استظل براية الدولة الأخرى ...

ومن الملاحظ ، أنه بمجرد احتلال دولة لدولة أخرى فإن راية الدولة الغالبة تعلو كل المبانى الرسمية فى الدولة المحتلة ... وهذا معنى التساؤل عاليه ، فلقد انتصر ملك آشور على أورشليم ، وبدأت رايات آشور تخفق على مرتفعات أورشليم مع دوى أصوات أبواق الحرب ...

فحين كانت أورشليم قرية أمينة ، كانت تعيش تحت راية الله مباشرة مفتخرة باستمرار « بيهوه نسى » (١) أى أن الرب هو رايتى ، الذى « تحت

(١) خر ١٧ : ١٥ .

ظله اشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقى ... علمه فوقى محبة ، (١) .
ولكن حينما ملت الله متطلعة إلى آلهة أخرى غريبة ، مستبيحة لنفسها ارتكاب كل الشرور ، نزع الله راية حمايته من فوقها ، وباتت تستظل تحت راية الشياطين الذين لم يريحوها لحظة واحدة ، وها هى تتسائل : « حتى متى أرى راية (الأعداء ترفرف فوقى) واسمع دوى البوق ؟ » فهل نعود لنستظل تحت راية محبة الله ؟



(١) نش ٢ : ٣ ، ٤ .

١٩- سر خاص عن المرأة

✤ وأنت أيتها الخربة ، ماذا تعملين ؟

(ار ٤ : ٣٠)

✤ ومـاذا تعملـون فـى آخـرتهـا ؟

(ار ٥ : ٣١)

كمثل عجوز شمطاء تحاول أن تتصابى بوضع المساحيق والمغالاة فى التزين ، لأنها ترفض حقيقة تقدمها فى السن ، وأمراض الشيخوخة ، ولكنها تصير إلى أردأ ، وتصبح موضع سخرية من كل من هم حولها ، وخصوصاً أولئك الذين تتزين لهم ، مفكرة أنهم يعشقون جمالها !! هكذا أورشليم الخربة بشرورها ، وهى تريد أن تتجمل للغزاة الذين خربوها ...

ويكمل الروح القدس التساؤل : إذا لبست قرمزاً - إذا تزينت بزينة من ذهب - إذا كحلت بالاثمد عينيك ، فباطلاً تحسنين ذاتك ... فقد رذلك العاشقون . يطلبون نفسك (١) .

ويكمل الروح القدس التساؤل الثانى : الانبياء يتنبأون بالكذب ، والكهنة تحكم على أيديهم - وشعبى هكذا أحب ...

فعندما تتحول مدينة الله إلى مدينة زائفة ... وهذا ممكن أن ينطبق : ١ - على مستوى قلب الانسان . ٢ - وعلى مستوى الكنيسة . ٣- وعلى مستوى الشعب المسيحى فى العالم ... سرعان ما يهاجمها الغزاة ليخربوها ... وهى بدلاً من أن تتوب ، تحاول أن تتجمل لأولئك الغزاة ... مستخدمة المنطق الشيطانى وحكمة هذا العالم . ولنتأمل فيما قاله الروح

(١) ار ٤ : ٣١ . (٢) ار ٥ : ٣١ .

عن وسائلها الخائبة فى تجميل ذاتها :

أولاً : لبس القرمز : رمز الخطايا المتكاثرة – أى أن الانسان يكثر من ارتكاب أشنع الخطايا ، لأن اشعياء النبى أراد أن يشير إلى عظم خطاياهم قال : « إن كانت خطاياكم كالقرمز ... » (١) والقديس يوحنا رأى الكنيسة الزائفة فى الرؤيا هكذا : « رأيت امرأة جالسة على وحش قرمزى » (٢) . فحين تبتعد نفس عن اللّه ، تكثر من ارتكاب الذنوب كى تكون محبوبة من العالم ومن الشياطين . كمثل أبشالوم حين تمرد على أبيه ، بدأ يضاجع نساء أبيه على سطح القصر الملكى وأمام أعين كل الشعب ، كى يتقوى قلب الشعب وراءه ويملكونه عوضًا عن أبيه ... ولكن نهايته كانت الموت (٣) .

ثانيًا : زينة الذهب : وهو عكس ما نادى به الرسول بطرس : « ولا تكن زينتكن زينة خارجية من ضفر الشعر ، والتحلى بالذهب ، ولبس الثياب الفاخرة ، بل زينة الروح الوديع الهادئ ، إنسان القلب الخفى فى العديمة الفساد الذى هو قدام اللّه كثير الثمن » (٤) . فالذهب هو إشتداد قساوة القلب والمظهرية الزائفة والفساد الداخلى ... فهل هذه زينة أم هلاك ؟

ثالثًا : تكحيل العين بالاثمد : والروح يذكرنا بهذا مباشرة بالمرأة ايزابل زوجة آخاب الملك حين أرادت أن تغوى ياهو بن نمشى الذى ثار على آخاب وقتله ، فتكحلت بالاثمد وتطلعت من الكوة لتغريه ، واثقة أنه سوف لا يصمد أمام أنوثتها الخبيثة ، وبذلك يكون هو أيضًا طيع لها ... ولكن ياهو نادى من فوق فرسه « من هو لنا » فتطلعا خصيان كانا وراء

---

(١) اش ١ : ١٨ . (٢) رؤ ١٧ : ٣ . (٣) ٢صم ١٦ : ٢٢ .
(٤) ابط ٣ : ٣ .

الملكة ايزابل فأمرهما ياهو أن يلقوا الملعونـة ايزابل من الكوة ، فطرحوها من الطابق الثالث وداسوا عليها بسنابك الخيل (١) ... وهكذا فنت ...

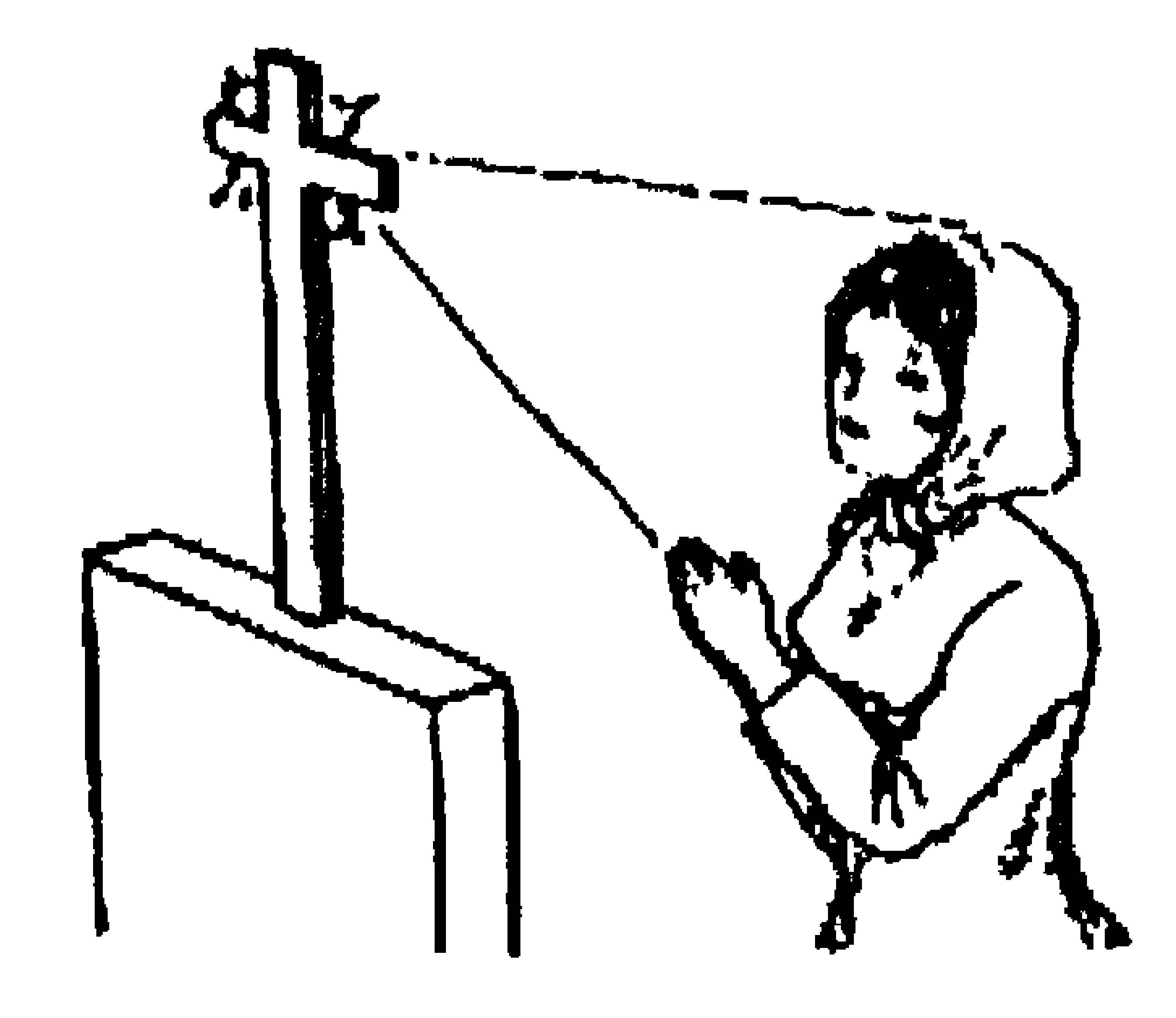
وإن كان التساؤل الأول ملئ بالرموز ، إلا أن التساؤل الثانى يُفصل مدى الخراب الروحى الفعلى .

أولاً : الأنبيـاء يتنبأون بالكذب : الكل يخـاف أن يعلن الحق الالـهى بلا تزييف .

ثانيًـا : الكهنة تحكم علـى أيديهم : فلم يعـد الكهنة يحكمـون بحسب شريعة الله بل بكل ما يزيد من دخولهم المادية .

ثالثًـا : وشعـبى هكذا أحب : أى أحبوا الضلال والتضليل حتى من المصـادر الالهيـة المسئولة ... وأصبح الانحـراف والاعـوجاج الدينى هو المطلوب مـن رجـال الدين من الشـعب على كل المسـتـويات وفى كل المجـالات ...

يارب ارحم ،



(١) ٢مل ٩ : ٣٠ - ٣٧ .

٢٠- ضمانٌ لدوام الإطمئنان

✥ هل تجدون انسانًا ، أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق ، فأصفح عنها ؟ (ار ٥ : ١)

وجود بار واحد ، انسان يتقى الله تقوى حقيقية ، فى وسط أسرة أو مدينة أو كنيسة أو أى مجتمع إنسانى ، قد يرد غضب الله عن هذا المجتمع من أجل تواجد ذلك البار الواحد ...

أما حينما لا يتواجد هذا البار وسط مجتمع شرير ، تصبح كل الجماعة مجموعة من الخطاة بين يدى اله غاضب !

- « وطلبت من بينهم رجلاً يبنى جداراً ويقف فى الثغر أمامى عن الأرض لكيلا أخربها ، فلم أجد » (١) !

- « فرأى (الرب) أنه ليس إنسان ، وتحير من أنه ليس شفيع » (٢) .

- « فنظرت ولم يكن معين ، وتحيرت إذ لم يكن عاضد » (٣) .

وجود إنسان بار فى الوسط هو بركة .. على الكل أن يتمسك به ، لأنه هو الضمان لدوام الاطمئنان .

✥ لم يجد الله انساناً (رغم أن شوارع أورشليم كانت مزدحمة وغاصة بالناس) الله يبحث عن الانسان الذى خلقه هو حسن وحسن جداً (٤) ... ولكن ارتكاب الذنوب يغير طبيعة الناس فيفقدون إنسانيتهم التى خلقهم الله عليها ... فالمتجبر القاسى تنازل عن إنسانيته ليصبح وحشًا مفترسًا والشهوانى ترك إنسانيته ليصبح كالبهيم الساعى لإشباع غرائزه ، والمغرور

---

(١) حز ٢٢ : ٣٠ . (٢) اش ٥٩ : ١٦ . (٣) اش ٦٣ : ٥ .

(٤) تك ١ : ٢٦ .

المتكبر يسعى كالجوارح الكاسرة ... وكل من يكره ويؤذى غيره أخذ طبيعة الحشرات والسوس والميكروبات والفيروسات والديدان ... شوارع أورشليم أضحت خالية من الناس ، ولكنها غاصة ببشر فقدوا طبيعتهم الإنسانية ، حتى أن الله لم يجد إنساناً واحداً وسطهم .

❖ كذلك لم يجد الله واحداً يعمل بالعدل ... كلهم ظلمة مفترون !

ولم يجد واحداً فقط يطلب الحق ... فالكل يسعى فى دروب الباطل والغش والكذب ! كل الشعب يسحق وجه البار ، ويخزى الصديق فى المواجهة ... لقد فتش الرب فى سدوم وعمورة عن عشرة أبرار فقط كى يعفو عنها من حكم الخسف والانقلاب (١) أيام أب الآباء ابراهيم (٢) ، ولم يجد ، فأمطرها ناراً وكبريتاً (٣) ، ولكن فى التساؤل عاليه ، يطلب إنساناً واحداً فى شوارع أورشليم كى يعفو عنها من حكم السبى ولم يجد ، ولم يشترط فى ذلك الانسان الواحد أن يكون باراً ، بل فقط يعمل بالعدل ، أو حتى يطلب الحق ولم يجد أيضاً ... لذلك هو يشهد الجميع : طوفوا ... أنظروا ... أعرفوا ... فتشوا ...

❖ هذا التساؤل ينقل أفكارنا على الفور إلى المسيح ، البار الوحيد الذى لم تر الأرض باراً غيره إذ « الكل قد زاغوا معاً ، فسدوا . ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد » (٤) . إنه إبن الله الوحيد الذى به سر الله (٥) ، ولم يكن أحداً غيره ممن مشوا على الأرض نال رضى الله ومسرته مثله ... لذلك صار هو مشتهى كل الأمم (٦) حيث « نعمة الله ، والعطية بالنعمة التى بالانسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين » (٧) . « وعبدى

---

(١) يه ٧ . (٢) تك ١٨ : ٣٢ . (٣) تك ١٩ : ٢٤ .
(٤) مز ١٤ : ٣ . (٥) متى ٣ : ١٧ . (٦) حج ٢ : ٧ .
(٧) رو ٥ : ١٥ .

البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها » (١) .

إن مجئ المسيح له المجد على الأرض ، ووجوده معنا كل الأيام وإلى انقضاء الدهر (٢) ، هو الضمان الوحيد لكل انسان يريد أن يفلت من غضب اللّه العادل ... « لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة » (٣) .

ترى هل جعلت المسيح سيداً وحيداً على حياتك . منضماً إلى جماعته المخلصة له ، كي تنجو من الغضب الآتى ... أم مازلت تصلب المسيح البار كل يوم بخطاياك وذنوبك ... وماذا ستفعل حينما يبدأ اللّه يصب جام غضبه على حياتك الملعونة ؟

* * *



(١) اش ٥٣ : ١١ . (٢) متى ٢٨ : ٢٠ . (٣) اش ١ : ٩ .

٢١- لا افنيكم

✤ كيف أصفح عن هذه ؟

✤ اما أعاقب على هذا ؟

✤ أو ما تنتقم نفسى من امة كهذه ؟

(ار٥: ٧، ٩، ٢٩) ، (أر٩: ٧)

تمهيد رائع لبركات العهد الجديد التى نالتها البشرية بمجئ ربنا يسوع المسيح... يكرره العهد القديم مراراً وتكراراً، ذلك أن الله سيحيى المستحقين الموت ويعطيهم حياة أبدية، وسيغفر للخطاة ويرحمهم ، وسيعطى التبرير للمذنبين ، والخلاص للهالكين ، والمجد للمذلين المهانين ...

إنه يصور كل خطايا البشرية بأقصى بشاعتها ، ثم يُشّخص العقوبة المستحقة طبقاً للعدالة الالهية والشرائع التى بين أيديهم ... وأخيراً يعلق كل آمال النجاة على المسيح كلمة الرب .

« وأيضاً فى تلك الأيام يقول الرب لا أُفنيكم » (١) .

لقد صور فى هذا الاصحاح (الخامس من سفر ارميا) خطاياهم البشعة ومظاهر الفساد الذى عم شعب اسرائيل نلخصهم فى الآتى :

١- الظلم . ٢- لا يطلبون الحق بل الكذب . ٣- يحلفون كذباً حتى بالرب . ٤- أبوا التوبة . ٥- استخفوا بانذارات الرب . ٦- شيوع الفساد سواءً بين عظماء الشعب أم المساكين . ٧- قطعوا كل الروابط التى تربطهم بالله ، ورفضوا حمل نيره الهين . ٨- حلفوا بما ليس آلهة . ٩- تركوا شهوة الزنى تضطرم فيهم . ١٠- خانوا الرب .

---

(١) ار٥ : ١٨ .

١١- جحدوا الله . ١٢- خرج منهم من يدعى النبوة كذباً ، كى يستمروا فى شرورهم باطمئنان .

❖ فطبقاً للشريعة ، وبحسب عدل الله ، تستحق هذه الذنوب عقوبات رادعة : ١- يضربهم أسد الوعر . ٢- وذئب المساء يدهش أطفالهم . ٣- يكمن النمر حول مدنهم . ٤- يصعد الأعداء على أسوارها . ٥- يثور عليهم ناهبون فينهبون الحصاد والخبز والغنم والبقر والجفنة والتينة والبنين والبنات . ٦- يهلكون المدن بالسيف . ٧- يستعمرون من غزاة أقوياء لهم لسان غريب . ٨- يصير بنو اسرائيل كجثة ميتة نتنة الرائحة فى قبر مفتوح . ٩- الأنبياء الحقيقيون يأتون إليهم بكلام قاس.

تصوروا معى قاض فى محكمة ، أُستكملت أمامه كل عناصر جريمة متهم ، وكل المحلفين وضعوا أمامه حثيات حكم الأعدام على هذا المتهم إلا أنه رغم هذا ينطق بحكم البراءة ، لا لشئ إلا لأن حياة المتهم غالية جداً فى نظر القاضى ... أغلى وأهم من موته .

هذا هو جوهر الانجيل ، البشارة المفرحة الموجهة لكل إنسان ... وهذا مضمون الكرازة المسيحية لكل الأرض عبر كل الأجيال .

إن الله أحب حياة الانسان ، فبرره من كل خطاياه ، ويؤهله لكى يحيا معه حياة أبدية فى السماويات ... من يقبل فليقبل هذه البشارة الالهية المفرحة لنفسه ...

« أى أن الله كان فى المسيح مصالحًا العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم » (١) . و « أما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس ... بر الله

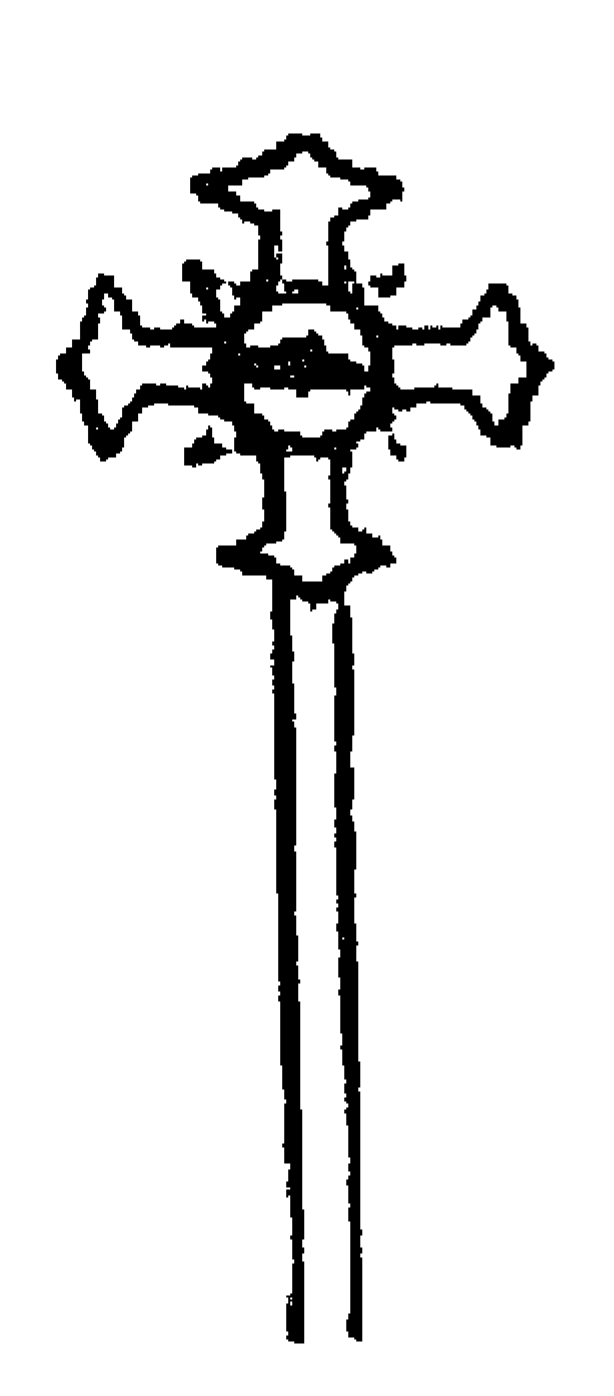
---

(١) ٢كو ٥ : ١٩ .

بالايمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون ... متبررين مجاناً بنعمته ... » (١) .

إن كنا لأول مرة نكتشف هذه البشارة المفرحة التى يبشرنا بها الانجيل ... فلنجثو الآن ونركع أمام الله خالقنا ، شاكرين له ونبدأ علاقة سلام بيننا وبينه : « أنه من إحسانات الرب أننا لم نفن . لأن مراحمه لا تزول . هى جديدة كل صباح » (٢) .

❋ ❋ ❋



(١) رو٣ : ٢١ - ٢٤ .   (٢) مراث ٣ : ٢٢ .

٢٢- إلى من لا يدرون

✤ لماذا صنع الرب إلهنا بنا كل هذه ؟ (ار٥ : ١٩)

✤ لماذا أصابتنى هذه ؟ (ار١٣ : ٢٢)

✤ لماذا تكلم الرب علينا بكل هذا الشر العظيم ؟ فما هو ذنبنا ؟ وما هى خطيتنا التى اخطأناها إلى الرب إلهنا ؟ (ار١٦ : ١٠)

تتشابه هذه التساؤلات الثلاثة التى فى نبوة ارميا فى كونها تستفسر عن الأسباب التى أدت إلى انتزاع السلام من الانسان ودخوله فى كوارث صعبة ملأت حياته بالقلاقل والاضطرابات التى تهدد الحياة ذاتها ... لأن الانسان لا يريد أن يواجه الحقيقة بأنه مارس الخطيئة والشر ، وبحسب القانون الالهى « لا سلام قال الرب للأشرار » (١) . هو يعانى ...

جميل للانسان ، حينما يرى أن دسم الحياة يتسرب من قلبه ، ويبدأ يدخل فى دومات المنغصات والمصائب أن يتسائل هذه التساؤلات : لماذا صنع الرب الهنا بنا كل هذه ؟ لماذا أصابتنى هذه ؟ ما هى خطيئتى التى أخطأت بها إلى الرب الهى ؟ واثقاً فى قول الرب « ليتك أصغيت لوصاياى فكان كالنهر سلامك وبرك كلجج البحر » (٢) . فمثل هذه التساؤلات تعيد الانسان إلى صوابه ، ويستفيق إلى رشده ، ويستطيع أن يكتشف النقطة التى انحرف منها عن طريق الله ، ويعود ثانية إلى هناك ومع العودة ، يكون له سلام مع الله .

ولكن نفس هذه التساؤلات الثلاثة تختلف عن بعضها البعض فيمن

---

(١) اش ٤٨ : ٢٢ . (٢) اش ٤٨ : ١٨ .

يوجهها وفى رد الرب عليها بما يلائم كل حالة ...

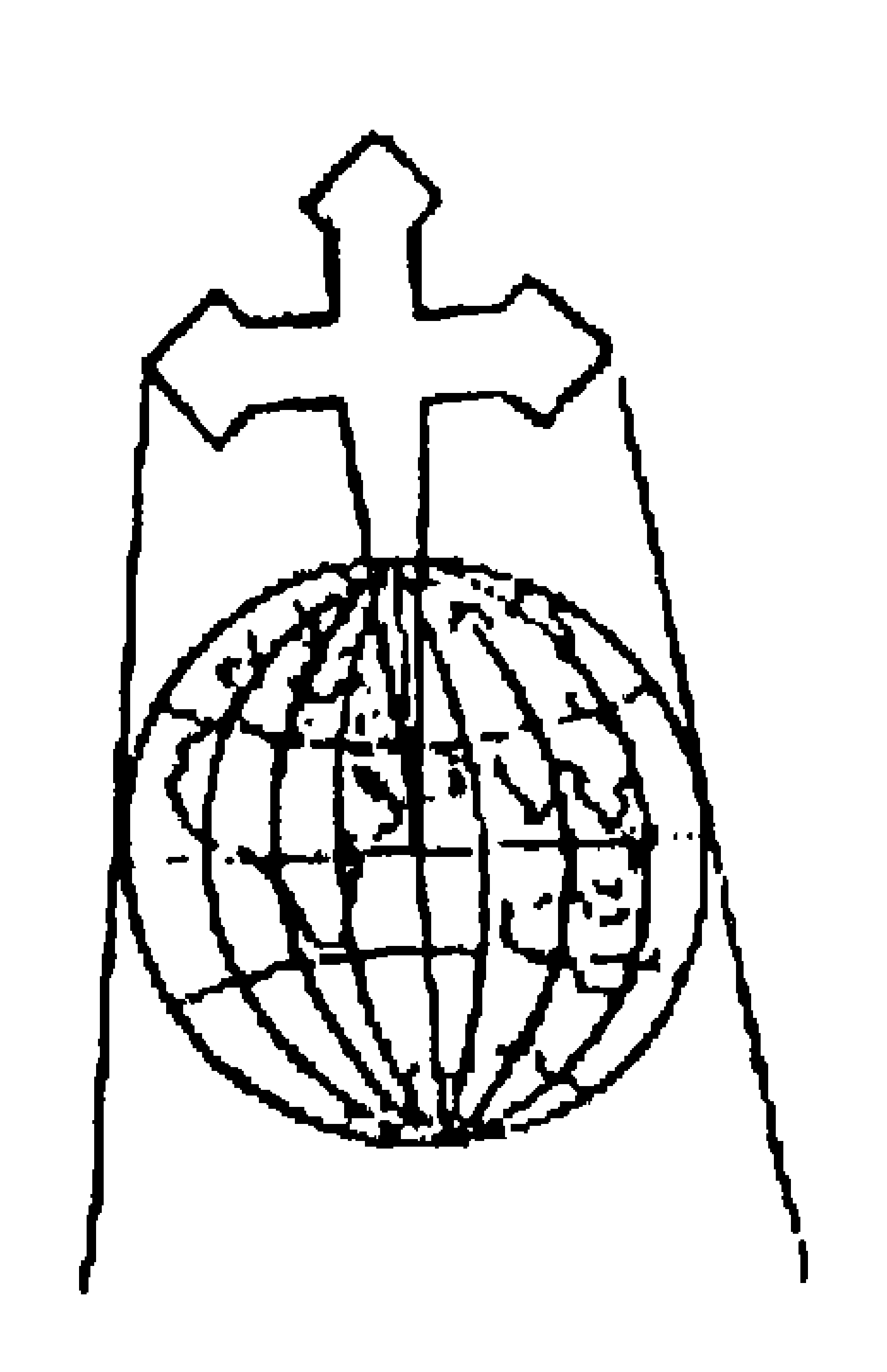
التساؤل الأول موجه من الجماعة كلها ، بينها وبين نفسها ، تذمراً على الله ... والتساؤل الثانى صادر عن فرد واحد يراجع نفسه ... أما التساؤل الثالث فهو موجه من الشعب الخائف من أقوال ارميا النبى عن ما هو مزمع أن يصيبهم ...

ومن الواضح أن التساؤل الأول هو نوع من الهستريا الجماعية التى تنسب إلى الله ظلماً ... كمثل التى حدثت وسط بنى اسرائيل قبيل عبورهم البحر الأحمر حين رأوا فرعون يسعى خلفهم والبحر أمامهم (١) . وحين أعوزهم الخبز فى البرية (٢) ، وحين عطشوا (٣) ، وفى ثورة قورح وداثان وأبيرام (٤) . وحينما سجس الجواسيس العائدون كل الجماعة ، وصدوهم عن دخول أرض الموعد (٥) . وأيضًا حين فتن أبشالوم على داود أبيه (٦) ... ونلاحظ أن فى كل هذه الحالات يستغل الشيطان ما يسمى بالرأى العام وينفث سمومه فى روح الجماعة فتحدث هستريا جماعية كتلك التى حدثت فى أفسس حيث يصفها كاتب سفر أعمال الرسل : « وكان البعض يصرخون بشئ والبعض بشئ آخر لأن المحفل كان مضطربًا ، وأكثرهم لا يدرون لأى شئ كانوا قد اجتمعوا » (٧) . فلنحرص إذن فى كنائسنا أن لا يكون فى وسطنا إنسان يريد أن يجتذب الجماعة إلى انفعال خاص مكوناً رأياً عاماً فى الكنيسة مستخدماً أسلوب الإشاعات والنميمة والإعلام ... لأن مثل هذا الانسان هو بوق الشيطان .

(١) خر ١٤ : ١١ . (٢) خر ١٦ : ٣ . (٣) خر ١٧ : ٣ .
(٤) عدد ١٦ : ٣ . (٥) عدد ١٤ : ١٠ . (٦) ٢صم ١٥ : ١٢ .
(٧) اع ١٩ : ٣٢ .

التساؤل الثانى وقفة صدق مع النفس بعيداً عن هدير التأثيرات الخارجية ... وهذا يوصل الانسان إلى اكتشاف ذاته بحق .

أما التساؤل الثالث ، فهو من جماعة مخلصة لله تبحث عن الخطية التى تسربت فى وسطها ... كى يرجع الرب عن السخط والغضب الذى تكلم به الأنبياء الحقيقيون إليهم ، حين يكفّون ويتوبون عن تلك الخطية ، كما فى صلاة دانيال النبى : « أخطأنا وأثمنا وعملنا الشر وتمردنا وحدنا عن وصاياك وعن أحكامك . وما سمعنا من عبيدك الأنبياء الذين باسمك كلموا ملوكنا ورؤساءنا وآباءنا وكل شعب الأرض لك يا سيد البر . أما لنا فخزى الوجوه كما هو اليوم » (١) .



(١) دا ٩ : ٥ .

٢٣- عندما لا يرتدع الانسان من هيبة الله

✤ أإياى لا تخشون ؟ يقول الرب
أو لا ترتعدون من وجهى ؟
(ار ٥ : ٢٢)

عاصرت أحد المحافظين حين تولى مهام منصبه ... أراد أن يحارب الفساد المستشري فى المصالح الحكومية التابعة لمحافظته ، وبالأخص قطاع الخدمات التى تقدم للطبقات الكادحة ... فكان يلبس زى مواطن عادى من الطبقات الكادحة (جلباباً وكوفية ...) ويزور المستشفيات طالبًا خدمات صحية ، أو مدارس كأنه ولى أمر تلميذ، أو سائق أجرة فى الموقف ... الخ. فكان يلمس بنفسه مدى الاهمال الجسيم فى تطبيق اللوائح والقوانين ... وبعد جولته يعود إلى مكتبه ليعطى مكافآت لمن وجد أنهم مخلصون فى عملهم ، ويوقع الجزاءات على من وجد أنهم متهاونون ... ولم تمض شهوراً حتى استقامت خدمات الجمهور بصورة مثالية فى المحافظة ... لأن كل مسئول فى موقعه افترض فى كل مواطن يطلب حقه ، أنه هو المحافظ فكان يسرع ليلبى ... فمع السلطة هيبة تردع كل متهاون ... ولكن لو ضاعت هذه الهيبة ... فحتى لو مر المحافظ فى موكبه الرسمى يحف به راكبوا الدراجات البخارية وتسبقه عربة الشرطة بصوت سريتنها المميز ... ثم بقى المسئولون فى مواقعهم دون حراك ولا اهتمام ، يمارسون الفساد والرشوة علانية بلا خشى ... فهنا ظاهرة تدعو للاستغراب .

لقد وصل الأمر بشر اسرائيل وساكنى أورشليم أنه حتى الهيبة الالهية والسلطان الالهى لم يعد يردعهم عن ارتكاب الشرور رغم تحذيرات الشريعة: « وإن لم تحرص لتعمل بجميع كلمات هذا الناموس المكتوبة فى هذا السفر لتهاب هذا الاسم الجليل المرهوب الرب الهك ، يجعل الرب

ضرباتك وضربات نسلك عجيبة ، ضربات عظيمة راسخة » (١) . وإننى أعجب من الانسان الذى فقدت الهيبة الالهية سلطانها عليه ، فإنه يصبح أشنع من الشياطين أنفسهم الذين « يؤمنون ويقشعرون » (٢) . لأنه ماذا يبقى للانسان آنئذ من رادع يردعه عن ارتكاب الشرور ؟

❖ إن كان ثمة سلطة على الأرض يهابها الانسان ويخشاها ويرتعد منها فإن سلطان المسيح هو أكثر بما لا يقاس ، فهو « رئيس ملوك الأرض » (٣) . فهو « ملك الملوك ورب الأرباب » (٤) . حقاً أنه « اله الآلهة ورب الملوك » (٥) . « سلطانه سلطان أبدى وملكوته إلى دور فدور » (٦) . « أعلا من كل ملوك الأرض » (٧) . « لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض » (٨) . « فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً : « دفع إلىَّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض » (٩) . هذا ما تنبأ به دانيال النبى : « وإذا معَ سحب السماء مثل ابن انسان ... أعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض » (١٠) . « لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكى يسود على الأحياء والأموات » (١١) . « الذى هو رأس كل سيادة وسلطان » (كو ٢ : ١٠) .

❖ الأشرار ، الذين شبههم اشعياء النبى بالبحر المضطرب الذى لا يستطيع أن يهدأ وتقذف مياهه حمأة وطيناً (١٢) ، يستطيع الله أن يلجم

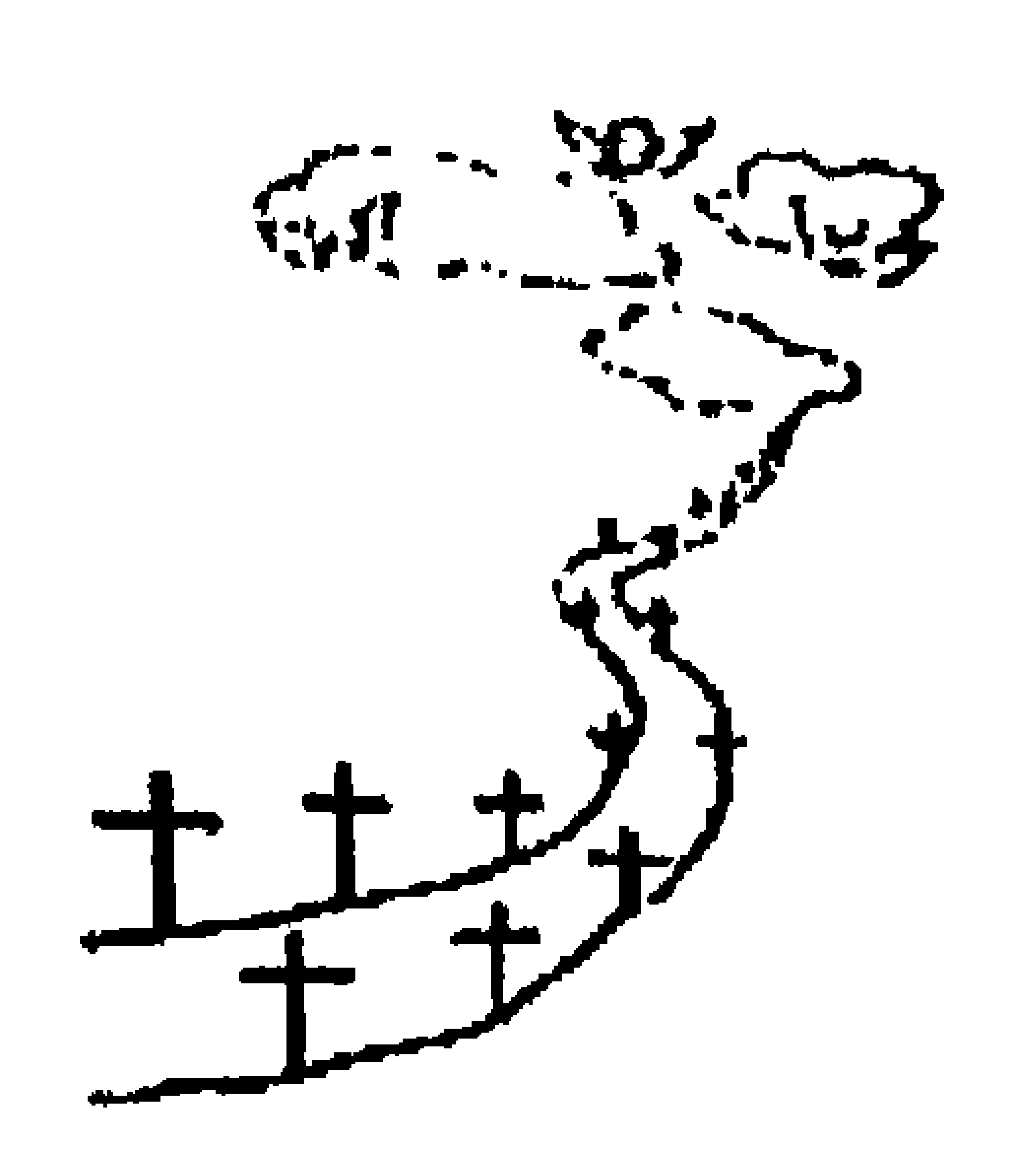
---

(١) تث ٢٨ : ٥٨ . (٢) يع ٢ : ١٩ . (٣) رؤ ١ : ٥ .
(٤) اتى ٦ : ١٥ . (٥) دا ٢ : ٤٧ . (٦) دا ٥ : ٣٤ .
(٧) مز ٨٩ : ٢٧ . (٨) فى ٢ : ١٠ . (٩) مت ٢٨ : ١٨ .
(١٠) دا ٧ : ١٤ . (١١) رو ١٤ : ٩ .

أمواجه بمجرد رمال (١) ، أما الرمال التى هى رمز لنسل البركة الذى لابراهيم أب الآباء (٢) ، قد تحقق فى المسيح الذى تباركت به كل قبائل الأرض ، والذى هو نسل البركة لابراهيم فهو القادر أن يعيد خشية الله وسط البشر المنحلين ... أيضًا الله الذى أعطى المطر المبكر (شريعة موسى) هو الذى يعطى المطر المتأخر (شريعة العهد الجديد) فى وقته ويحفظ أسابيع الحصاد الروحى (٣) .

المطر المبكر ينمى البذار ، أما المطر المتأخر فهو ينضج الثمار ... فإن لم تتجاوب النفس مع مفاعيل المطر المبكر تمرداً وعصياناً ومكراً ، فكيف ستثمر حين يأتى المطر المتأخر ؟

أقول مباشرة ... إن كانت النفس وهى غير حريصة على تنفيذ وصايا الله بل تستخف وتزدرى بكل ما هو الهى ، ترى ، كيف ستثمر حين تأتى إلى عهد النعمة الذى بربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح ؟



(١) ار ٥ : ٢٢ .	(٢) تك ٢٢ : ١٧ .	(٣) ار ٥ : ٢٤ .

٢٤- آذان غلفاء

✤ من أكلمهم وأنذرهم فيسمعوا ؟

(ار٦ : ١٠)

يبدأ الرب توبيخه لأورشليم قائلاً : « تأدبى يا أورشليم لئلا تجفوك نفسى ... » (١) . أورشليم لم تعد تتعامل مع الله بأدب ... فأبسط قواعد الأدب هى الاصغاء لمن يريد التحدث إليك ... أما أورشليم فهى ترفض الاستماع لما يتكلم الرب به بأى وسيلة من الوسائل ، « ها أن كلمة الرب صارت لهم عاراً لا يسرون بها » (٢) .

الله من حنانه فى هذا التساؤل ، كأنه يبحث : من خلال من يمكننى أن أتكلم حتى يسمعوا له ؟ هل من خلال أنبياء أم من خلال كهنة ، ولكن « الأنبياء يتنبأون بالكذب والكهنة تحكم على أيديهم وشعبى هكذا أحب » (٣) . وحين يرسل الله نبيًا صادقاً كارميا بكلام الله وانذراته ، لا يقبلون كلامه فقط ، بل ويضطهدونه ويعذبونه !!

أعتقد أن هذا التساؤل يشير خفياً إلى ارسال المسيح الرب ، كما جاء على لسان ربنا يسوع المسيح له المجد فى مثل الكرامين الأردياء ، إذ يقول رب الكرم : « ماذا أفعل . أرسل ابنى الحبيب . لعلهم إذا رأوه يهابونه » (٤) فـ « الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى إبنه ... » (٥) . وعلى هذا يستطرد كاتب الرسالة إلى العبرانيين : « لذلك يجب أن نتنبه أكثر إلى ما سمعنا لئلا نفوته . لأنه إن

---

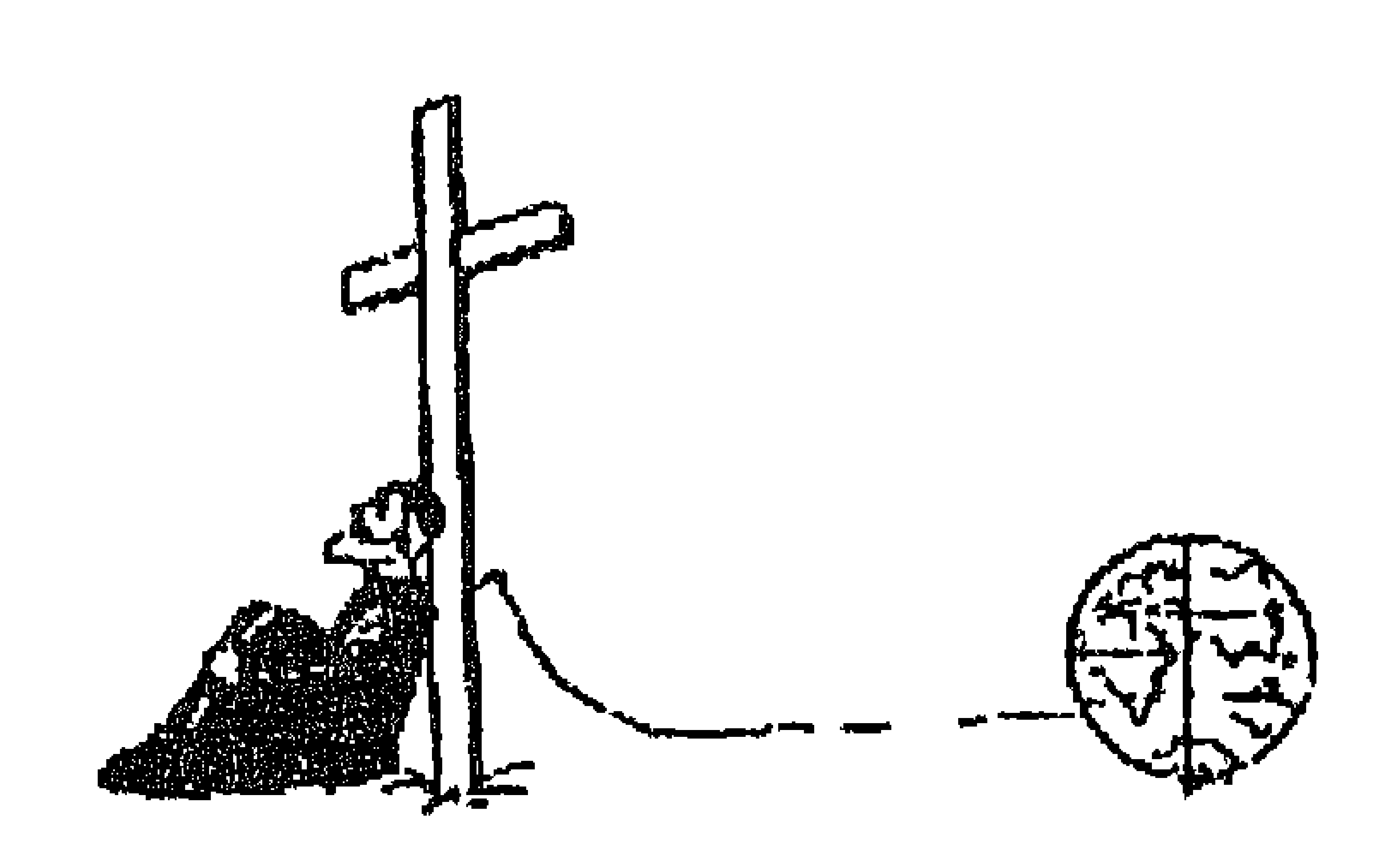
(١) ار ٦ : ٨ . (٢) ار ٦ : ١٠ . (٣) ار ٥ : ٣١ .

(٤) لو ٢٠ : ١٣ . (٥) عب ١ : ١ .

كانت الكلمة التى تكلم بها ملائكة قد صارت ثابتة . وكل تعد ومعصية نال مجازاة عادلة . فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره قد ابتدأ الرب بالتكلم به ثم تثبت لنا من الذين سمعوا ، (١) .

وحتى لو كانت هناك غُلفة على الآذان أو حتى على القلب فبالمسيح أيضاً ، ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد ، (٢) . ، فاختتنوا للرب وانزعوا غرل قلوبكم .... ، (٣) .

❊ ❊ ❊



(١) عب ٢ : ١ . (٢) كو ٢ : ١١ . (٣) ار ٤ : ٤ .

٢٥- لنا خزى الوجوه

✤ **هل خزوا لأنهم عملوا رجسا؟**

(ار٦ :١٥، ٨ :١٢)

الخزى عكس الافتخار ... فالانسان يفتخر بالمزايا والفضائل ، ويخزى بالمبيقات والرذائل . الخزى انفعال محبط وأفكار ندامة وعواطف غيظ من الذات ، كخزى السارق إذا وجد ، (١) مثلاً .

لقد وضع الرب إنفعال الخزى فى الانسان كى يردعه مسبقاً عن ارتكاب الخطايا ... ولكى لا يعود يخطئ إن هو أخطأ وذلك بسبب شعور الخزى الذى ينتابه من الخطأ ... ولكننا هنا بصدد حالة غير طبيعية ، أناس يرتكبون الشرور بلا خزى ، بل بابتهاج وافتخار !!

ولقد تكررت هذه الآية بنصها فى شاهدين منفصلين من نبوة ارميا حيث يرد الوحى فى كل مرة ، « بل لم يخزوا خزياً ، ولم يعرفوا الخجل . لذلك يسقطون بين الساقطين . فى وقت معاقبتهم يعثرون قال الرب » فالذى لا يردعه الخزى والخجل لابد وأن يسقط ويتعثر .

رأيت جهالاً معجبين جداً بطريقة تفكيرهم ! ، وأشراراً خبثاء مفتونين جداً بتقواهم وخدمتهم لله ! ... فصليت من أجلهم : يارب أكشف لهم حقيقة أنفسهم ...

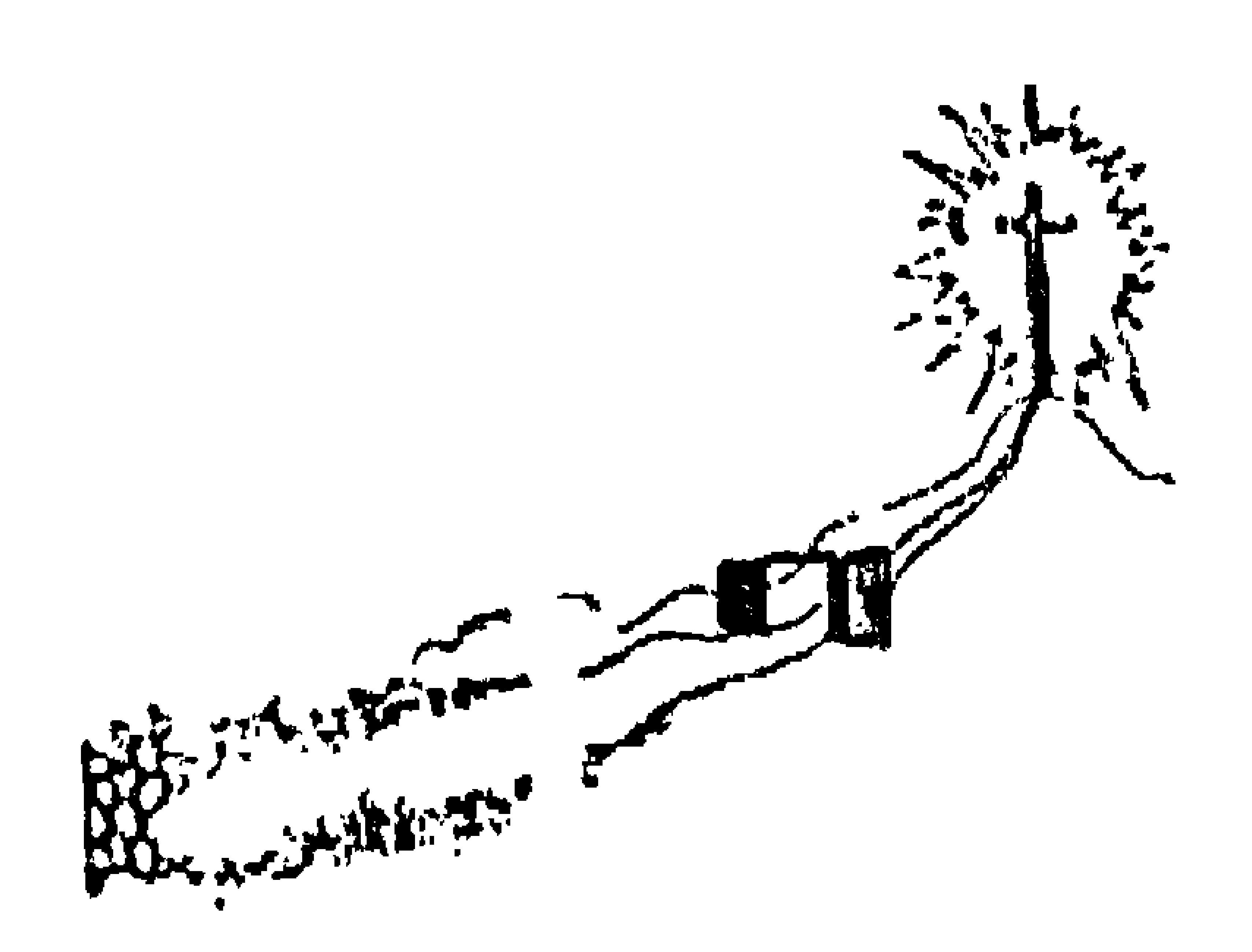
❖ من أهم أعمال الخلاص الذى قام به المسيح له المجد ، أنه حمل خزى كل خطايانا كما قال المزمور : « اليوم كله خجلى أمامى وخزى وجهى قد غطانى من صوت المعير والشاتم » (٢) ... لذلك فهو يخاطب

---

(١) ار٢ : ٢٦ . (٢) مز ٤٤ : ١٥ .

كل إنسان فداه : « لأنى من أجلك أحتملت العار . غطى الخجل وجهى » (١) . فكل ما تحمله المسيح من الآلام المخزية كان عوضاً عن الإنسان الذى إرتكب الرجس وهو فى حالة زهو وإستعلاء ... لذلك قبل المسيح عوضاً عنه ، الجلد ، واللطم على الوجه ، والبصاق على وجهه ، والاستهزاء والشماتة وانغاض الرأس ... الخ ... الخ لعل الانسان يدرك بشاعة ما يفعله فيخزى ويخجل أمام الله ، الذى قبله فى المسيح ،

❋ ❋ ❋



(١) مز ٦٩ : ٧ .

٢٦- الطقوس . وكيف تكون فعّالة

✤ لماذا يأتى لى اللبان من شبا؟
وقصب الذريرة من أرض بعيدة ؟
(ار٦: ٢٠)

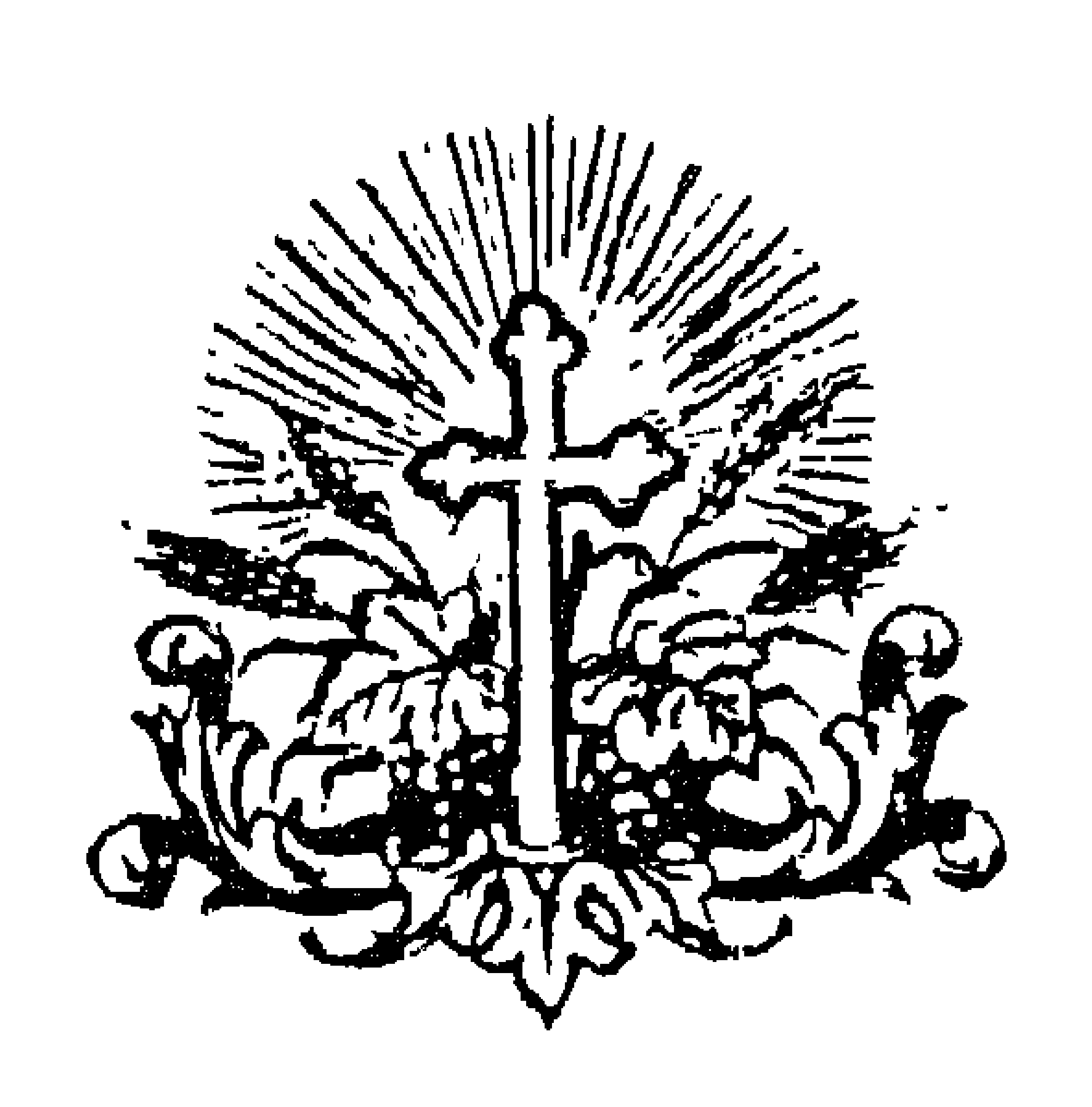
رغم أن العبادات الطقسية والتقليدية لها فوائد جمة فى نقل فكر الانسان بسهولة من الأمور التى ترى إلى الأمور التى لا ترى ، قفوا على الطرق . وأنظروا وأسألوا عن السبل القديمة ، أين هو الطريق الصالح وسيروا فيه فتجدوا راحة لنفوسكم ، (١) ، ولكنها بنفس المقدار قد تضر العبادة ضرراً بالغاً إن هى توقفت عند المنظورات دون الإنتقال إلى اللامنظور (٢) ، فإنها آنذاك لا تختلف عن العبادات الوثنية الجسدانية ...

لقد كانوا يظنون أنهم لو قدموا ثوراً ضخماً كذبيحة لله بدلاً عن جدى ، فإن الله يتقبل. ناسين أن الله لا يأكل لحم ثيران ولا يشرب دم التيوس (٣)، بل هو يريد من الانسان الرحمة (٤) والحمد والثناء لجلاله ، فهذا مستطاب عند الله أكثر من ثور بقر ذى قرون وأظلاف (٥) .

وفى العهد الجديد لو كانت كل أوانى المذبح من الذهب الخالص المرصع بالأحجار الكريمة أم من الفضة ، أم من مجرد معدن عادى ، فإن كل هذا لا يهم ، لأن جوهر الذبيحة هو اتحاد المسيح بشعبه من خلال سر القربان ... المهم هو مفاعيل سر الأفخارستيا فى المتناولين من جسد الرب ودمه ، لا فى المغالاة فى قيمة الأوانى التى يجرى بها سر الشكر ...

(١) ار٦ : ١٦ . (٢) ٢كو٤ : ١٨ . (٣) مز ٥٠ : ١٣ .
(٤) هو٦ : ٦ . (٥) مز ٦٩ : ٣١ .

وفى التساؤل عاليه نموذج آخر ، فرائحة البخور العطرة تذكرنا بصلوات القديسين المرفوعة أمام العرش الالهى ، فصعد دخان البخور مع صلوات القديسين ، (١) . حتى يشتاق كل من يصلى قائلاً للرب ، لترتفع صلاتى كالبخور قدامك ، (٢) . ، لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمى عظيم بين الأمم ، وفى كل مكان يقرب لاسمى بخور وتقدمة طاهرة ...، (٣) . ولكن ما فائدة طلق بخور غالى الثمن كبخور شبا الذى ثمنه يوازى الذهب (٤) دون صلاة قلبية صاعدة بانسحاق لله ... إن الطقوس حرف قاتل ميت ، ما لم تكن ذات حياة بالروح (٥) .



(١) رؤ ٨ : ٤ . (٢) مز ١٤١ : ٢ . (٣) ملا ١ : ١١ .
(٤) مز ٧٢ : ١٥ . (٥) ٢كو ٣ : ٦ .

٢٧- عندما تصبح العبادات خطية !

✤ أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذبًا ،
وتبخرون للبعل وتسيرون وراء آلهة أخرى
لم تعرفوها ، ثم تأتون وتقفون أمامى فى
هذا البيت الذى دعى باسمى عليه
وتقولون قد أنقذنا ؟
هل صار هذا البيت الذى دعى باسمى
عليه مغارة لصوص فى أعينكم ؟
(ار ٧ : ٩ - ١١)

كنت أعجب جداً حين قرأت لأول مرة أية المزامير : « وصلاته فلتكن خطية » (١) . لأنه كيف للصلاة التى هى وسيلة التضرع إلى الله لغفران الخطية ، هى نفسها تحسب خطيةً ؟ وعلمت أنها تنطبق بالأكثر على يهوذا الاسخريوطى (٢) الذى دخل ضمن زمرة التلاميذ الأطهار ، محتفظاً بالشيطان فى قلبه (٣) لذلك لم يتورع أن يكون سارقًا من الصندوق الذى كان عنده » (٤) . أحب اللعنة فأتته ولم يسر بالبركة فتباعدت عنه » (٥) .

لقد كان نموذج يهوذا اللص سائداً ما قبل ارميا النبى ، وأثناء نبوته وما بعده جيلاً بعد جيل وحتى وقتنا الحاضر نجد نماذج كثيرة ليهوذا فى كنيسة الله ... فالذى يريد الغفران بلا توبة هو سارق ولص ، والذين لا يدخلون من الباب بل يطلعون من موضع آخر هم سراق ولصوص (٦) ، والذين

(١) مز ١٠٩ : ٧ .　(٢) اع ١ : ٢٠ .　(٣) يو ١٣ : ٢٧ .
(٤) يو ١٢ : ٦ .　(٥) مز ١٠٩ : ١٧ .　(٦) يو ١٠ : ١ .

يريدون أن يأخذوا مجد الله لحسابهم الخاص هم سراق ولصوص ، ... الخ ... الخ .

❖ تبارك الهنا وربنا يسوع المسيح الذى حسب التدبير ، فتح باب الفردوس للص اليمين وهو معلق على عود الصليب قائلاً له : « اليوم تكون معى فى الفردوس » (١) . وهكذا أظهر المسيح أنه قادر أن يشفى الانسان من أقصى مراحل ذروة عصيانه ، حين يتمسك به رباً على حياته الحاضرة والمستقبلة ... فهل نذهب إلى المسيح قائلين : اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك ؟



(١) لو٢٣ : ٤٣ .

٢٨- لنا شفيع عند الآب . يسوع

✣ أما ترى ماذا يعملون فى مدن يهوذا
وفى شوارع أورشليم ؟ (ار ٧ : ١٧)

يمتاز سفر ارميا أنه يواجه النفس بكل خطاياها ، لاسيما المتهربة عن مجال رؤيتها ... فقد فاخرتْ مملكة يهوذا أن هيكل الرب الذى بناه سليمان ودشنه ، قائم وسطهم ، فكانوا يقولون لبعضهم بعضاً : « هيكل الرب هيكل الرب هيكل الرب هو » (١) . وكأن هذا المبنى التاريخى شو ضمان خلاصهم مهما ارتكبوا من الموبقات بعد ذلك ، حتى داخل هذا الهيكل ؟

فبعد أن حولوا بيت الله إلى مغارة لصوص ، « سكبوا سكائب لألهة أخرى ، وإنهمك كل أفراد الأسرة - الأب والأم والأبناء فى عمل كعك لملكة السموات (٢) فى شوارع أورشليم وفى مدن يهوذا !

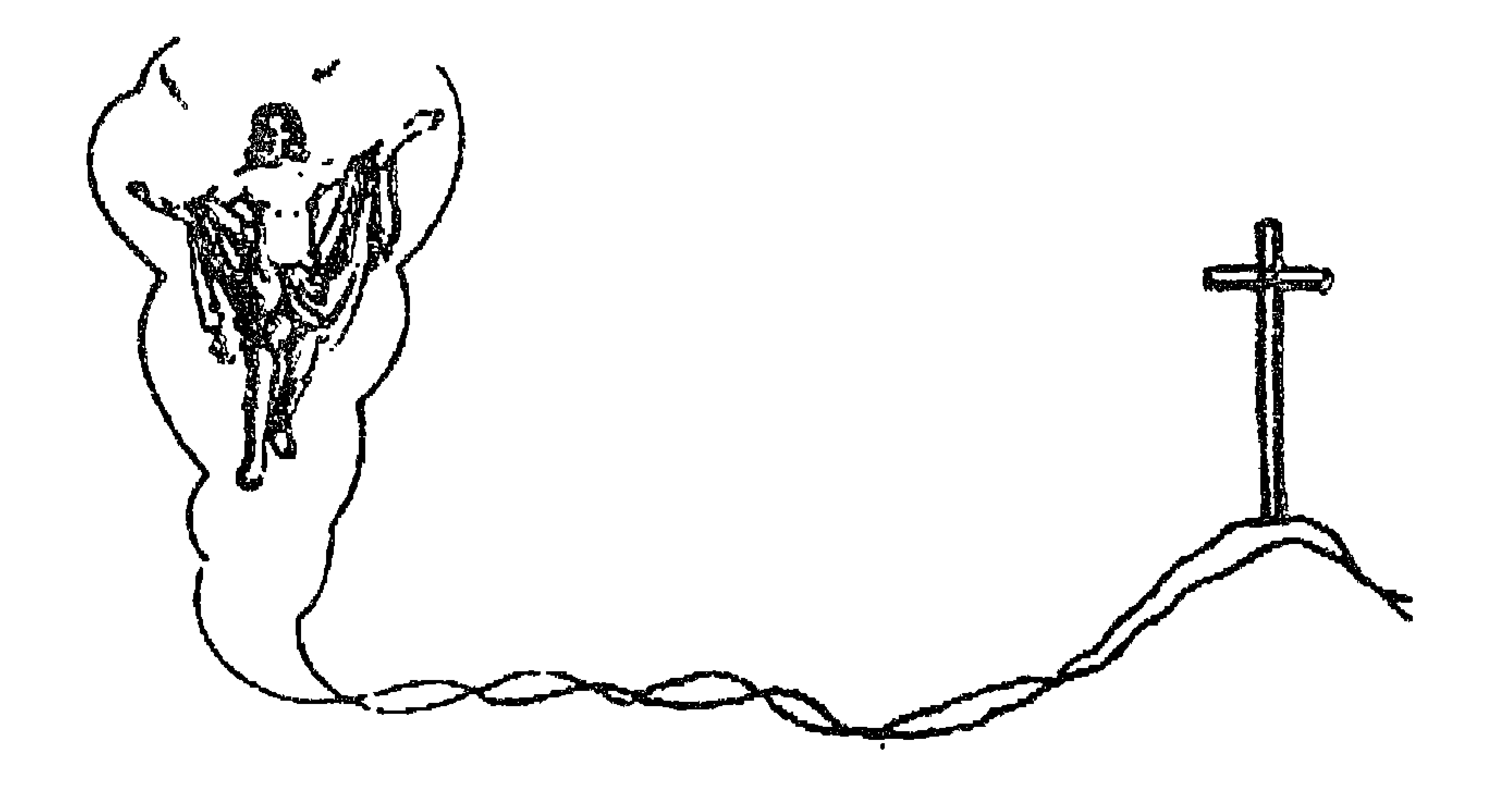
❖ المرأة السامرية رغم فسادها وعطشها الداخلى ، كانت تفاخر أمام المسيح له المجد بأن الآباء سجدوا فى هذا الجبل ، وأن أب الآباء ، يعقوب بنى لهم هذا البئر، وكأنها ضليعة فى التاريخ الدينى ومتمسكة بالتراث (٣) ! فالخاطئ يستطيع أن يثرثر فى الأمور الدينية بسفسفاط كاذبة بعيدة كل البعد عن جوهر الدين وعن حياته العملية ... مقياس التدين الحقيقى هو السلوك الأمين مع الله . لذلك استحقت مملكة يهوذا أن يقول الرب عنهم لارميا : « وأنت فلا تصلِ لأجل هذا الشعب ، ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة ، ولا تلح علىّ لأنى لا أسمعك » (٤) . هذه الحالة المحزنة التى وصل

(١) ار ٧ : ٤ .　　(٢) ار ٧ : ١٨ .　　(٣) يو ٤ : ١٢ ، ٢٠ .
(٤) ار ٧ : ١٦ .

إليها الشعب ، حتى أن الله يرفض الاستماع إلى الأتقياء والأنبياء والشفعاء الذين يصلون من أجلهم ... قد عالجها المسيح له المجد فى العهد الجديد .

❖ فنحن حين نقرأ ما فعله رب المجد مع المرأة السامرية ، حيث احتمل مناوراتها الكلامية ، وواجهها مع خطاياها ، ثم علمها عن العبادة التى بالروح والحق (١) ... حولها من امرأة زانية إلى مبشرة بالمسيح لمدينتها .

* * *



(١) يو ٤ .

٢٩- ذروة البجاحة

✤ ألعل الرب ليس فى صهيون أو ملكها ليس فيها ؟ لماذا أغاظونى بمنحوتاتهم بأباطيل غريبة ؟ (ار ٨ : ١٩)

✤ أفاياى يغيظون يقول الرب ؟ أليس انفسهم لأجل خزى وجوههم ؟(ار ٧ : ١٩)

عندما يخطئ انسان فى حق أخيه الانسان عن سهو أو عن جهل أو عن ضعف دون قصد الاساءة ... فقد يكون هناك فرصة للمصالحة والمغفرة ... أما الذى يسئ إلى أخيه عن معرفة وبقصد سئ فهذا شر أكثر ... ومن يتعمد أن يسئ إلى أخيه فى وجهه ويقصد إغاظته ، فهذا ذروة الشر .

الآن ، بنو اسرائيل يتعمدون إغاظة - ليس بشر مثلهم - بل إغاظة الله نفسه الذى بيده نسمة حياتهم... فماذا بقى إذن إنها حقاً ذروة البجاحة !!!

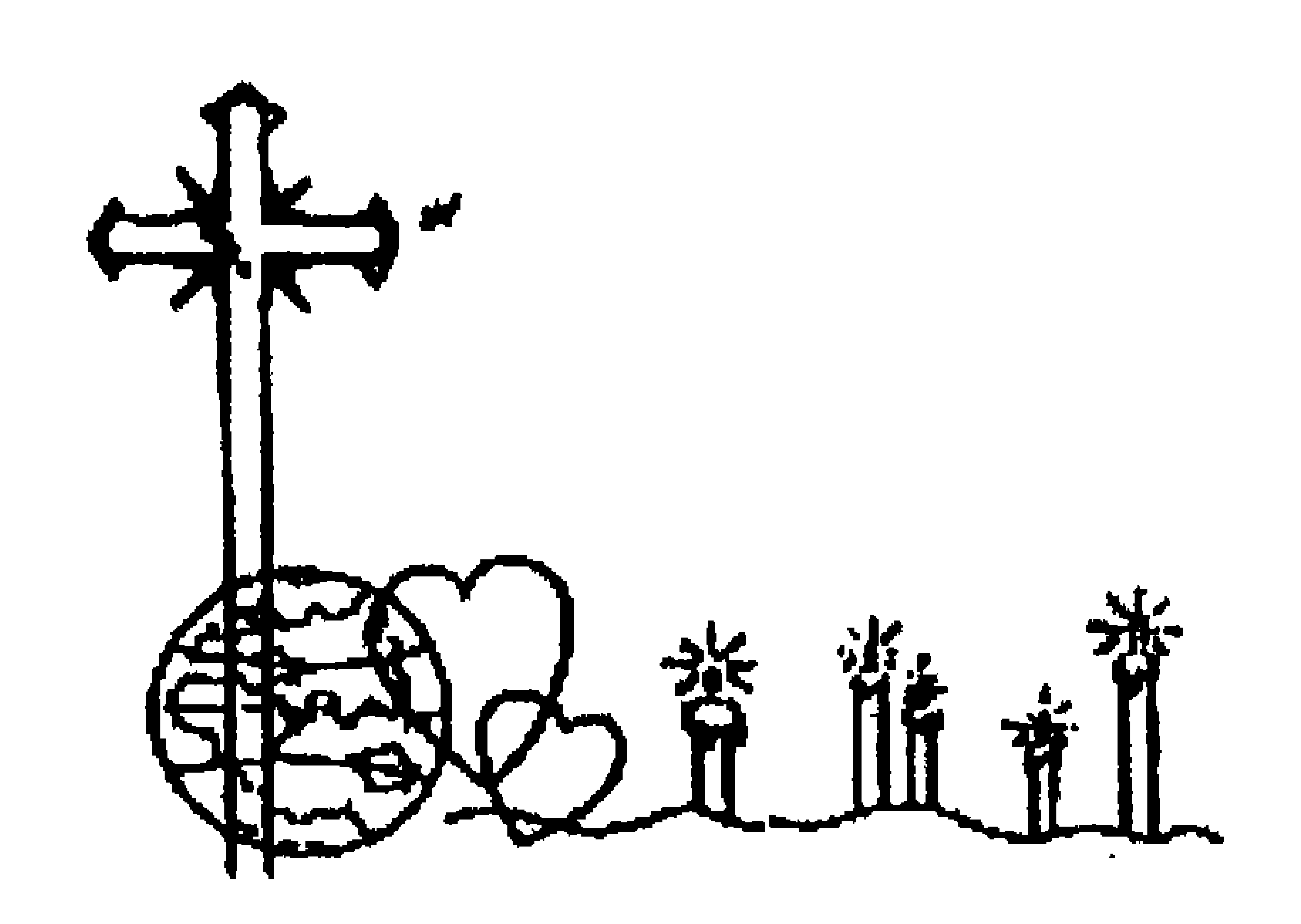
❖ إن أبسط مبادئ الحكمة البشرية هى أن لا يحاول الانسان معاداة ذوى السلطة والنفوذ « لأن غضب الملك رسل الموت والانسان الحكيم يستعطفه » (١) . ولقد أوصى ربنا يسوع المسيح : « كن مراضياً لخصمك سريعاً مادمت معه فى الطريق لئلا يسلمك الخصم إلى القاضى ويسلمك القاضى إلى الشرطى فتلقى فى السجن . الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير » (٢) . فكم تكون الغباوة حين يغيظ إنسان ملك الملوك ؟ عن عمد ! .

---

(١) ام ١٦ : ١٥ . (٢) مت ٥ : ٢٥ .

❖ ربنا يسوع المسيح ، إحتمل فى قوة ذروة هذه البجاحة من البشر إذ يقول : « لأنى من أجلك احتملت العار غطى الخجل وجهى » (١) . ويوصى بولس الرسول أن نفتدى بالمسيح فى هذا حين قال : « فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل إضعاف الضعفاء لا نرضى أنفسنا (بالانتقام) لأن المسيح أيضاً لم يرضى نفسه بل كما هو مكتوب تعيرات معيريك وقعت علىّ » (٢) .

❋ ❋ ❋



(١) مز ٦٩ : ٧ . (٢) رو ١٥ : ١ – ٣ .

٣٠- منهج للاصلاح الكنسى

❖ أليس بلسان فى جلعاد ؟ أم ليس هناك طبيبًا ؟ فلماذا لم تعصب بنت شعبى ؟ (ار٨ : ٢٢)

كمثل إنكسار قلب أب على ابنته الصغيرة التى عجز الطب والدواء عن إنقاذها من المرض العضال وباتت مشرفة على الموت بين يديه هكذا هذه الآيات تصور الشجن والألم الذى يعتصر قلب الله وهو يرى مرض الخطية والشر مستشرياً فى شعبه ...

❖ وجدير بنا أن نحاول تفهم قصد الروح القدس فى الوحى الالهى بأن هناك حاجة إلى طبيب وإلى بيلسان جلعاد كى تستعيد بنت شعبى صحتها وعافيتها .

فالطبيب رمز ليسوع المسيح القائل عن نفسه « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى » (١) .

أما جلعاد فهو المكان الذى عنده انتهت كل مشاكل غربة يعقوب أب بيت أسباط اسرائيل ، وكانت مشاكل قاتلة ومدمرة .

١- فعند جلعاد ، استقل يعقوب عن خاله لابان المستغل ، الذى تاجر حتى ببناته ليتربح كما قالت إبنتاه ليئة وراحيل « ألم نُحسب منه أجنبيتين . لأنه باعنا وقد أكل أيضًا بثمننا » (٢) . وكان لابان يضمر شراً فى ملاحقته ليعقوب ... ولكن الرب وبخه وحذره ... وهكذا نجى يعقوب من شر مميت ...

---

(١) متى ٩ : ١٢ .　　(٢) تك ٣١ : ١٥ .

٢- وعند جلعاد إنتهت الخصومة بين يعقوب وأخيه عيسو ، الذى أضمر له الآخر شراً حين أخذ أربعمائة رجل بأسلحتهم لملاقاة أخيه ... ولكن يعقوب استطاع أن يحوّل ، بالهدايا ، الخصومة الشديدة إلى حنان أخوى ، فركض عيسو للقاءه وعانقه ووقع على عنقه وقبله وبكيا ، (١) .

٣- وعند جلعاد فى مخاضة يبوق ، صارع يعقوب فى صلاة طول الليل مع الله ، وأخذ بركة منه واسماً جديداً (٢) .

٤- وفى جلعاد أيضاً جمع يعقوب من أهل بيته كل التماثيل والأصنام التى للآلهة الغريبة وطمرها تحت البطمة (٣) ، ودفنها عنهم هناك إلى الأبد.

٥- أيضاً فى جلعاد ، رأى يعقوب جيش ملائكة الله ، فى محانيم ، وأما يعقوب فمضى فى طريقه ولاقاه ملائكة الله وقال يعقوب إذ رآهم هذا جيش الله ، (٤) .

٦- ومن هناك انطلق يعقوب مباشرة إلى بيت ايل (أى بيت الله) حيث بنى المذبح واستقر مع الله (٥) ...

فبيلسان جلعاد يعنى روحياً الانفصال عن العالم المستغل الذى يمثله لابان وهذا رتبه الله ليعقوب !! اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ، (٦) . وبيلسان جلعاد يعنى المصالحة الأخوية حين يغير الله القلوب ، مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط الصلح الكامل ، (٧) . وبيلسان جلعاد الذى يشفى بنت شعبى ، هو الصلوات العميقة الفعالة

---

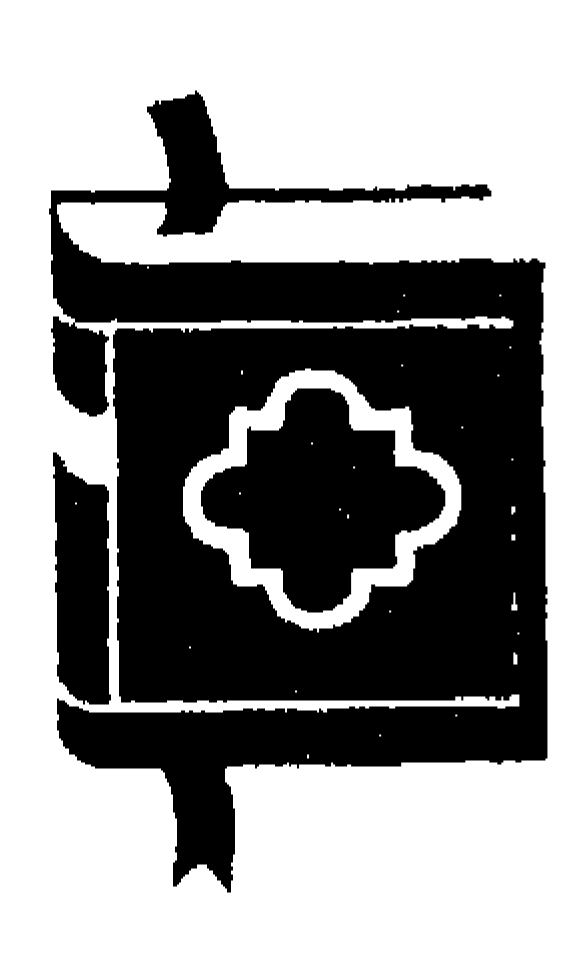
(١) تك ٣٣ : ٤ . (٢) تك ٣٢ : ٢٤ . (٣) تك ٣٥ : ٧ .

(٤) تك ٣٢ : ١ . (٥) تك ٣٥ : ٧ . (٦) ٢كو ٦ : ١٧

(٧) اف ٤ : ٣ .

، مصلين فى الروح القدس كل حين ، (١) . **وبيلسان جلعاد** هو التخلص من كل الآلهة الغريبة ، أيها الأولاد أحفظوا أنفسكم من الأصنام ، (٢) . **وبيلسان جلعاد** هو اختبار حفظ الملائكة وخدمتهم للعتيدين أن يرثوا الخلاص ، أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص ، (٣) . وأخيراً **بيلسان جلعاد** هو تثبيت الوجه للانطلاق إلى بيت الله حيث ينتهى هناك كفاح غربتنا المرير عائدين إلى وطننا السماوى .

❖ الانفصال عن العالم ، والمصالحة الأخوية ، والصلوات العميقة ، والتخلص من الآلهة الغريبة ، وخدمة الملائكة ، والتطلع إلى السماويات كل هذه عصّابة شافية لبنت شعبى إن أخذتها تحت إشراف الطبيب الحقيقى يسوع وبذلك تعود لها صحتها وعافيتها ، **فهل تتبع الكنيسة نفس الخطوات كمنهج للاصلاح ؟** آمين .



(١) يه ٢٠ . (٢) ١يو ٥ : ٢١ . (٣) عب ١ : ١٤ .

٣١- إنقاذ ما يمكن إنقاذه

❖ لأنى ماذا أعمل من أجل بنت شعبى ؟ (ار ٩ : ٧)

يبدأ هذا الاصحاح بتمنى للنبى ارميا أن تتحول رأسه إلى خزان ماء وعيناه ينبوعا دموع كى يبكى نهاراً وليلاً بلا انقطاع على الذين سيحق فيهم بعدل عقوبة الاعدام من بنت شعبى ! فلقد سبق فرأى قرار الله بشأنهم « هانذا أنقيهم وأمتحنهم » (١) . كحل نهائى لانقاذ ما يمكن إنقاذه من بنت شعبى « لأنى ماذا أعمل من أجل بنت شعبى كما يقول التساؤل . ولقد رأى ارميا أن المقتولين هم الكثرة والغالبية لأن فساداً قد عم وسط الشعب فهم : ١- جميعهم زناة (أية ٢) . ٢- جماعة خائنون (أية ٢) . ٣- سليطوا اللسان (أية ٣) . ٤- كذابون وغشاشون (أية ٣ ، ٥ ، ٨) . ٥- يتشددون للباطل لا للحق (أية ٣) . ٦- ماكرون (أية ٦) . ٧- مخاتلون (أية ٦ ، ٨) . فكل واحد يصادق الآخر أو يلتصق بأخيه لا عن محبة ووفاء ، بل ليعرف ضعفاته ويشهر به ، ويؤذيه ايذاءً بالغًا . ٨- لا يعرفون الله (أية ٣) . ٩- يخرجون من شر إلى شر (أية ٣) ...

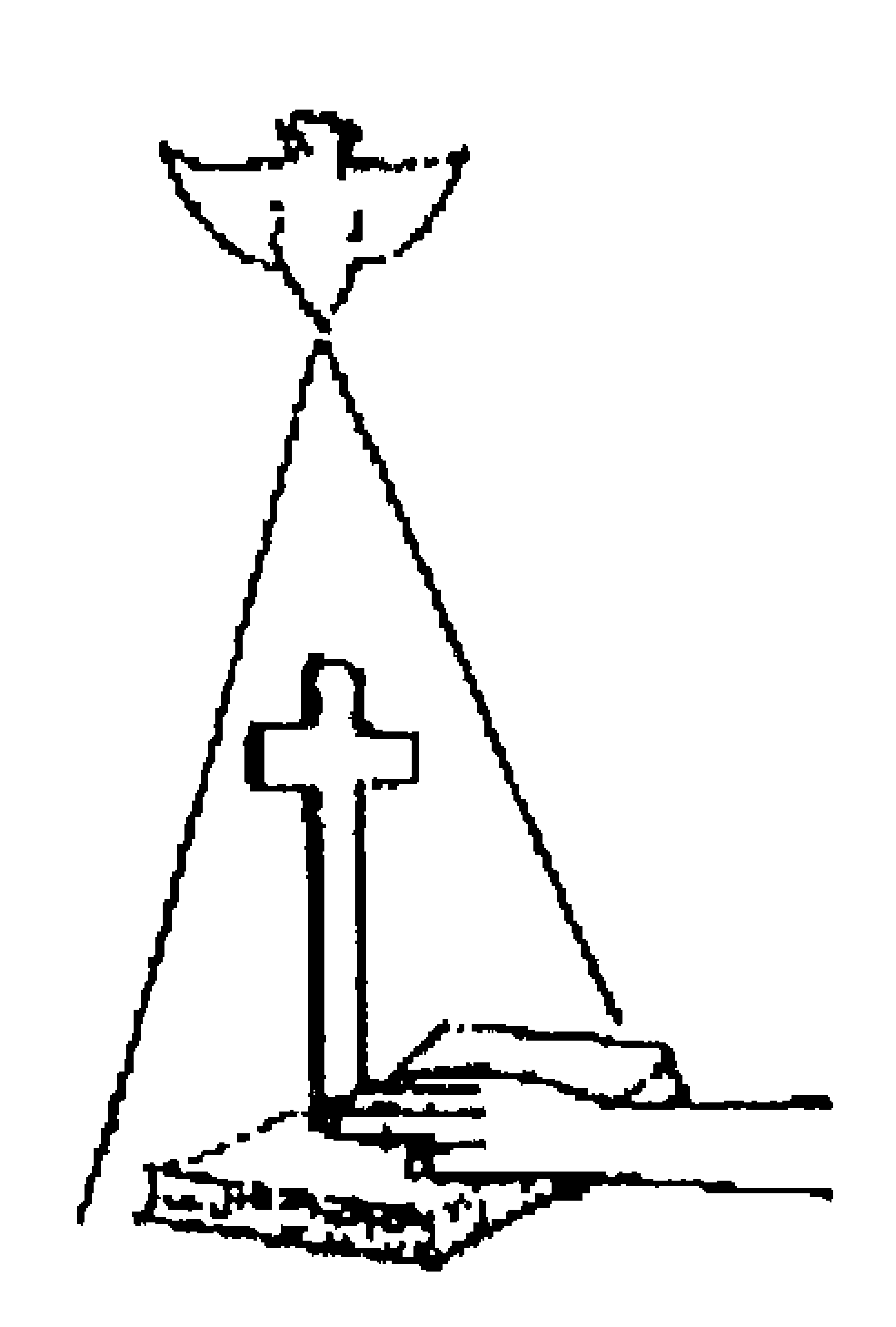
❖ ووسط هذا الجموح الشديد ، وكعادة الوحى دائمًا ، يضع رجاءً فى الخلاص « ليفتخر المفتخر بأنه يفهم ويعرفنى أنى أنا الرب الصانع رحمة وقضاءً وعدلاً فى الأرض لأنى بهذه أسر يقول الرب » (٢) . ولقد وضع الرب رحمته قبل قضاءه وعدله لأن الرب « رحيم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة . لا يحاكم إلى الأبد ولا يحقد إلى الدهر ... لأنه مثل ارتفاع السموات فوق الأرض ، قويت رحمته على خائفيه . كبعد المشرق

(١) ار ٩ : ٧ . (٢) ار ٩ : ٢٤ .

من المغرب أبعد عنا معاصينا ، (١) .

أما الفهم ومعرفة اللهِ الحقيقى ، فهذا لا يكون إلا عن طريق يسوع المسيح له المجد القائل ، لا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يُعلن له ، (٢) و ، أيها الآب البار أن العالم لم يعرفك . أما أنا فعرفتك . وهؤلاء عرفوا ، (٣) .

* * *



(١) مز ١٠٣ : ٨ - ١٣ . (٢) مت ١١ : ٢٧ . (٣) يو ١٧ : ٢٥ .

٣٢- المنقذ

✤ من هو الانسان الحكيم الذى يفهم هذه ؟ والذى كلمه فم الرب فيخبر بها ؟ (ار ٩ : ١٢)

هذا التساؤل يشير مباشرة إلى المسيح المنقذ ، كما هو مكتوب سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجور عن يعقوب ، (١) . حيث هو ، المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم ، (٢) . فـ ، بالمسيح يسوع قوة الله وحكمة الله ... الذى صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداءً ، (٣) .

لقد وهب الله المسيح للعالم ، كدعوة عليا (٤) للخلاص والانقاذ ... كى يحرص كل انسان أن يدرك ذاك الذى من أجله أدركه المسيح (٥) ... دعوة الله فى المسيح تفوق دعوة نوح (٦) . وتفوق دعوة ابراهيم (٧) . وأعلا من موسى (٨) . وأصدق من دعوة يشوع (٩) ، ودعوة كهنوتية أفضل من هارون وملكصادق (١٠) ، ودعوة ملوكية أسمى من داود (١١) .

فحين تكلم ارميا النبى بنبوته ، لم يكن العهد القديم بكل وعوده ومواعيده وشرائعه وآباءه وكهنته وملوكه وهياكله وطقوسه قادراً أن يلجم الشر الذى استشرى وسط الشعب ، والذى استحقت بنت شعبى القتل بسببه ، حتى يتطلع الجميع إلى المسيح المنقذ .

، فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها . إذ

---

(١) رو ١١ : ٢٦ . (٢) كو ٢ : ٣ . (٣) اكو ١ : ٢٤ ، ٣٠ .
(٤) فى ٣ : ١٤ . (٥) فى ٣ : ١٢ . (٦) ابط ٣ : ١٨ – ٢٢ .
(٧) رو ٤ : ٢٣ – ٢٥ . (٨) عب ٣ : ٣ . (٩) عب ٤ : ٨ ، ٩ .
(١٠) عب ٧ : ٢٥ . (١١) اع ٢ : ٢٥ – ٣٤ .

الناموس (العهد القديم) لم يكمل شيئًا . ولكن يصير ادخال رجاء أفضل به (أى العهد الجديد بالمسيح) نقترب إلى الله ... على قدر ذلك قد صار يسوع ضامناً لعهد أفضل ... فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم » (١) .

المسيح هو فرصة الانقاذ الأخيرة للبشرية الخاطئة ، فهل ننتهزها ؟

* * *



(١) عب ٧ : ١٨ – ٢٥ .

٣٢- التحرر من عبودية الفساد

✤ لماذا بادت الأرض واحترقت كبرية بلا عابر؟ (ار٩: ١٢)

✤ كيف أهلكنا؟ (ار٩: ١٩)

عندما يبدأ الانسان فى ايقاع الضرر بنفسه ... فهو إما مسلوب العقل حتى أنه لا يفهم ما يفيده عن ما يؤذيه ... وإما مسلوب الارادة حتى أنه غير قادر على تلافى ما يضره ، أو قد يكون مسلوب العقل والارادة معاً ... وهذا ما يؤكده الكتاب المقدس عن حالة الانسان الذى يرتكب الذنوب والخطايا وهعو يعلم تماماً أنها مهلكة ومدمرة لحياته ... وللأسفل هذه هى حالة الانسان الطبيعية !! .

« الانسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة . ولا يقدر أن يعرفه » (١) « وأما ما يفهمونه بالطبيعة كالحيوانات غير الناطقة ففى ذلك يفسدون » (٢) « لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع . فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله » (٣) إنها حالة من الجهالة سارية فى دم كل انسان ، وحالة عبودية للفساد « ولكنى أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى . ويحى أنا الانسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت » (٤) .

ولكى نفلت من هذا الدمار والهلاك المسيطر بالطبيعة علينا ، نادى لنا ربنا يسوع المسيح بالميلاد الجديد (٥) والخليقة الجديدة فيه (٦) « إذا إن كان

---

(١) ١ كو ٢ : ١٤ . (٢) يه ١٠ . (٣) رو ٨ : ٧ و ٨ .

(٤) رو ٧ : ٢٤ . (٥) يو ٣ : ٣ . (٦) ٢ كو ٥ : ١٧ .

أجد فى المسيح فهو خليقة جديدة . الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً ، ويلخص الرسول بولس هذه البشارة المفرحة بالنعمة قائلاً : «إذ أخضعت الخليقة للبطل . ليس طوعًا بل من أجل الذى أخضعها . على الرجاء . لأن الخليقة نفسها أيضًا ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله » (١) أنظروا كيف حمانا المسيح من نفسنا .



(١) رو ٨ : ٢٠ ، ٢١ .

٣٤- مستحق هو الخروف المذبوح

✥ ما لحبيبتى فى بيتى قد عملت فظائع كثيرة واللحم المقدس قد عبر عنك ؟
(ار ١١ : ١٥)

✥ من سمع كهذه ؟ ما يقشعر منه جداً ، عملت عذراء اسرائيل (ار ١٨ : ١٣)

النفس البشرية ابنة حبيبه غالية جداً على الله ... ولكنها غير صائنة لذاتها ، فهى لم تكتف بأن أضاعت بكوريتها ، بل وكانت تأتى بعشاقها الأنجاس (الشياطين) إلى بيت أبيها ، وعمل معهم ليست مجرد خطايا ، بل ما يقشعر منه ، فظائع كثيرة ... والأدهى أنها غير نادمة « إذا صنعت الشر حينئذ تبتهجين » (١) .

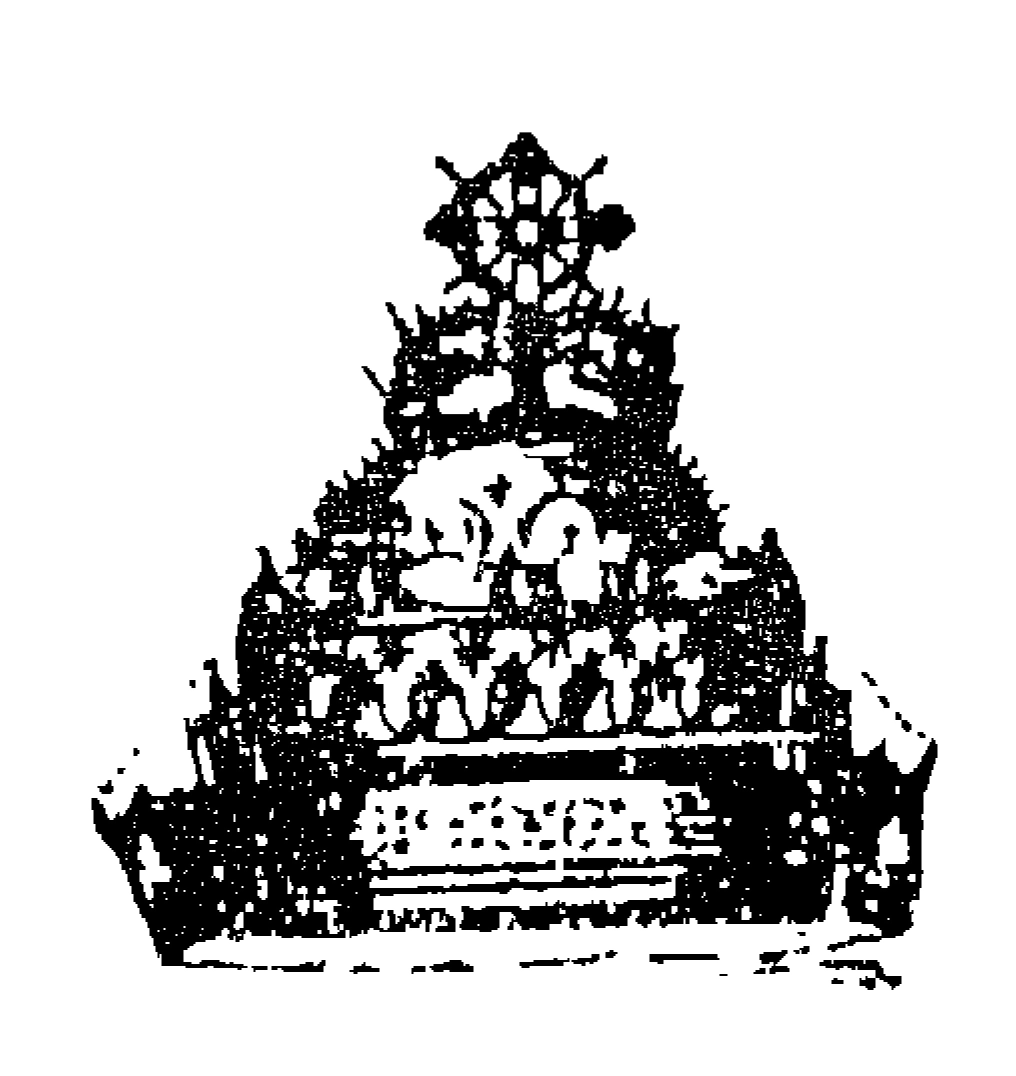
❖ تعبير « اللحم المقدس قد عبر عنك » ، أى النقاوة والعذراوية والعفة قد فارقوا جسمها وصار بدنها شهوانياً دنساً ونجساً ... وبالنسبة لله اللحم المقدس ، أى لحوم الذبائح والنذور التى تكفر عن الذنوب ، ففظائعها وصلت إلى الحد الذى معه لا يوجد ذبيحة مقدسة تقدر أن تكفر عنها !! كمثل بيت عالى الكاهن وفظائع بنيه فى بيت الله (١ صم ٣ : ١٤) .

❖ وهنا على الفور يتنبأ أرميا النبى عن ذبيحة المسيح الكفارية القادرة أن تعيد الطهارة لهذه البنت الشنيعة إذ يقول : « وأنا كخروف داجن يساق إلى الذبح » (٢) ولقد سبق اشعياء النبى بالتنبوء عن هذه الذبيحة المقدسة العجيبة قائلاً : « ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح » (٣)

---

(١) ار ١١ : ١٥ .   (٢) ار ١١ : ١٩ .   (٣) اش ٥٣ : ٧ .

لقد بشر فيلبس الخصى الحبشى عن يسوع (١) من منطلق هذه الآية ، فتعمد وذهب فى طريقه فرحًا ... وهكذا يضئ لنا الوحى الحقيقة ، بأنه لا توجد خطايا مهما كانت فظيعة ، تستعصى فى تكفيرها على طبيعة حمل الله (٢) . فاستحق أن يردد كل السمائيين تسبحته قائلين « مستحق هو الخروف المذبوح » (٣) . الذى يعيد لكنيسته لحمها المقدس .



(١) أع ٨ : ٢٦ - ٤٠ . (٢) يو ١ : ٢٩ ، ١ بط ١ : ١٩ . (٣) رؤ ٥ : ٦ .

٣٥- سيف الله المنتصر

❖ كيف تبارى الخيل ؟ ... ماذا تفعل فى كبرياء الأردن ؟
(ار١٢: ٥)

كانت جيوش الحرب فى القديم تتكون من فرقتين أساسيتين ، راكبوا الخيل (وهم القادة عادة) ثم المشاة وكانوا يتسلحون بالسيوف والحراب . ورماة السهام والحجارة والمجانق لهدم الحصون واقتحام البوابات المغلقة ... ويعتمد قوة الجيش غالباً على اللياقة البدنية للجلد المشاة ، وسرعة الكر والفر للقادة ركاب الخيل ...

❖ فى هذا الاصحاح يدور حواراً جميلاً بين الله وارميا النبى ... فارميا لم يزل فى مستهل نبوته ، يشكو لله عن غلاظة الشعب الذين يحاربهم بسيف أقوال الله (١) ويرد عليه الله بأن هذا الشعب هم مجرد فرقة المشاة ، فإن كنت تجرى مكدوداً مع هؤلاء المشاة فأتعبوك ، فماذا تفعل حين تواجه فرقة الخيالة ، حين تبارى خيل الرؤساء والقادة والكهنة المدعين والرعاة الفاسدين والأنبياء الكذبة ... أيضاً أنت يا ارميا لم تتنبأ حتى الآن إلا على أرض اسرائيل التى تعتبر بالنسبة لغيرها ، رغم السبى ، أنها أرض سلامة ، فماذا تفعل حين تتنبأ عن خراب آدوم (٢) وبابل (٣) ، حيث كبرياء المياه القوية السريعة الجريان ؟

❖ إن الذى يحمل كلمة الله فى فمه ، فهو كمن يحارب العالم: « وكان لما فرغ ارميا من التكلم بكل ما أوصاه الرب أن يكلم الشعب به ، أن الكهنة

---

(١) رؤ ٢ : ١٦ .   (٢) ار ٤٩ : ١٩ .   (٣) ار ٥٠ : ٤٤ .

والأنبياء وكل الشعب أمسكوه قائلين موتاً تموت ، (١) . ، بل أمر الملك أن يقبضوا على باروخ الكاتب وارميا النبى . ولكن الرب خبأهما ، (٢) . ، فغضب الرؤساء على ارميا وضربوه وجعلوه فى بيت السجن ، (٣) . ، فأخذوا ارميا وألقوه فى جب ملكيا ابن الملك الذى فى دار السجن . ودلوا ارميا بحبال . ولم يكن فى الجب ماءً بل وحل ، فغاص ارميا فى الوحل ، (٤) . ولكن رغم هذا باد هؤلاء العتاة ، وحفظ الرب ارميا سالماً منتصراً إلى النهاية .



(١) ار ٢٦ : ٨ . (٢) ار ٣٦ : ٢٦ . (٣) ار ٣٧ : ١٥ .
(٤) ار ٣٨ : ٦ .

٣٦- الرؤساء السكارى

❖ اما نعرف معرفة أن كل زق
يمتلئ خمراً ؟ (ار١٣: ١٢)

من الاصحاح الثالث عشر من سفر ارميا ، بدأ ارميا يتنبأ عن الملوك الجالسين على كرسى داود والكهنة والأنبياء ؛ (١) . قل للملك وللملكة إتضعا وإجلسا لأنه قد هبط عن رأسيكما تاج مجدكما ، (٢) . أى أن ارميا بدأ يبارى الخيل ويبدأ يواجه كبرياء الأردن ...

❖ ولقد مهد الرب أفكار ارميا ، لماذا يرذل الرب الملك والكاهن والنبى رغم أن سلطانهم مستمد من الله ، بأن شبههم بالمنطقة التى يتمنطق بها إنسان للمجد والبهاء ، ولكن تلك المنطقة البيضاء الجميلة ذاتها حينما طمرها النبى فى شق الصخر (٣) فى طين مياه نهر الفرات ، فسدت المنطقة ولم تعد تصلح لشئ ... هكذا الملوك والكهنة والأنبياء عندما أرادوا أن يستمدوا مجدهم من ملك آشور وليس من الله ، زال عنهم مجدهم الالهى وأضحوا لا يصلحون لشئ .

- لقد قربنا الله إليه كما يقرب الانسان منطقته - وأرادنا الله أن نكون له - وأرادنا أن نعلى اسمه ونعظمه - وأراد أن يفتخر بنا - بل ويتمجد هو بنا (٤) ... ولكن أفكارنا كانت فى العالم وبين أصنام العالم لذلك نفسد من مجدنا ولا نصلح لشئ إلهى ...

❖ قد يظن الرؤساء أنهم فى منأى عن الاضطرابات والفلاقل التى

(١) ار ١٣ : ١٣ . (٢) ار ١٣ : ١٨ . (٣) ار ١٣ . ٤ .
(٤) ار ١٣ : ١١ .

تصيب عـامـة الشـعب ، ولكن ها هو الله يصـفـهم بالزق الممـتلئ سكراً ، والسكران لا يعقل بل يتصرف كالمجنون لايذاء نفسه بنفسه . . ، فيحطم كل انسان صاحبه ، (١) . . ، اشربوا وأسكروا وتقيأوا وأسقطوا ولا تقوموا من أجل السـيف الذى أرسله أنا بينكم ، (١) . . ، وأسكر رؤساءها وحكماءها وولاتها وحكامها وأبطالها فينامون نوماً أبدياً ولا يستيقظون يقول الملك رب الجنود اسمه ، (٢) .



(١) ار ٢٥ : ٢٧ . (٢) ار ٥١ : ٥٧ .

٣٧- رعـاة بـلا رعيـة

✤ أين القطيع الذى أعطى لك
غنم مجدك ؟ (ار١٣ : ٢٠)

سمعت عن أحد الكهنة ، كان يخدم كنيسة فى قرية نائية معظم شعبها مسيحيين أرثوذكس . وتعود شعب القرية أن يجتمع فى قداس الأحد ... حتى دخلت القرية إحدى الطوائف المسيحية الأخرى التى استطاعت أن تجتذب شعب القرية بأكمله ... هنا أحس الكاهن بالمهانة حين انفض الشعب من حوله ، وبات يصلى ويبكى منتحبًا ... ولكونه إنسان بار وتقى، تدخل الله بما يشبه المعجزة ، وعاد الشعب نادماً إلى كنيسته الأم . ففى « كثرة الشعب زينة الملك ، وفى عدم القوم هلاك الأمير » (١) . وقد قيل عن عظمة الملك سليمان « وكان (شعب) يهوذا واسرائيل كثيرين كالرمل الذى على البحر فى الكثرة » (٢) .

❖ تسرب القطيع من الحظيرة وتناقص عدده ، خزى للراعى وعلامة اهماله الجسيم ... أما يعقوب أب الآباء ، فلحرصه على غنمه ، ومباركة الرب له قيل عنه « فاتسع الرجل جداً ، وكان له غنم كثير » (٣) .

الكنيسة فى قوتها الأولى كانت تمتد وتنتشر فى أرجاء المسكونة (٤) ... أما حينما تضعف الكنيسة يزداد الارتداد عنها (٥) ، لأن خطايا العالم تفشت فى داخلها (٦) !

❖ ربنا يسوع المسيح فى صلاته الوداعية قال: « حين كنت معهم فى

---

(١) أم ١٤ : ٢٨ . (٢) ١مل ٤ : ٢٠ . (٣) تك ٣٠ : ٤٣

(٤) اع ٢ : ٤٧ ، ٤ : ٣٣ . (٥) اتى ٤ : ١ (٦) ٢تى ٣ : ١-٥

العالم كنت أحفظهم فى اسمك . الذين أعطيتنى حفظتهم ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب ، (١) . قال هذا كى يعطى صورة للعمل الرعوى الدؤوب ...

❖ يالها من لعنة يصبها الله على الرعاة والرؤساء والملوك والكهنة حين ينفر شعبهم منهم ، والرعية التى كان يتمجد ويفتخر بها تتباعد عنه !

✝ ✝ ✝



(١) يو ١٧ : ١٢ .

٣٨- مخاض ميلاد الخلاص

❖ ماذا تقولين حين يعاقبك ؟ وقد علمتهم على نفسك قواداً للرياسة . أما تأخذك الأوجاع كامرأة ماخض ؟

(ار١٣ : ٢١)

هناك بيت شعر يصور حالة الغدر بأبشع صورها يقول :

أُعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى

واعتقد أن معانى هذا البيت تنطبق على معنى التساؤل عاليه ... فقد دخلت اسرائيل فى أحلاف مع ممالك صغيرة مجاورة ، وعلمتهم فنون الحروب ، وتقوية الجيوش ، وأسرار الازدهار الاقتصادى ... ، الخ ، وكانت تأمل أن قوة من تحالفت معهم هى قوة لها هى .

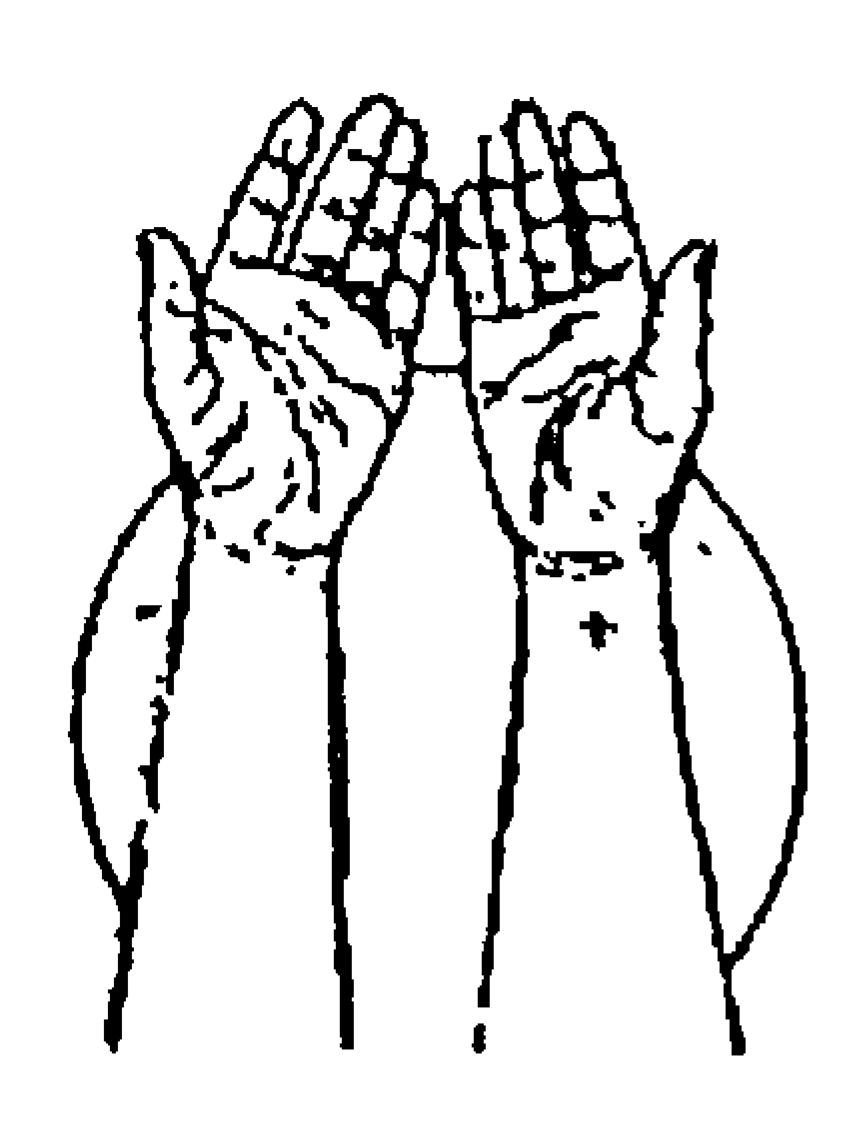
على أية حال إنها فكرة سياسية دنيوية ، ولكنها ليست فكرة الهية لأنها تهمش الله تماماً عن حماية شعبه .

❖ لقد استحقت اسرائيل العقاب من الله على هذا التفكير الدنيوى وماذا كان العقاب ؟ أن نفس هذه الممالك الصغيرة تحتل اسرائيل ويصير قوادها الذين علمتهم اسرائيل فنون الحرب ، هم أنفسهم حكاماً على اسرائيل ... ويالها من عقوبة رادعة .

❖ وعلينا أن نتفهم قصد الوحى من وصف الأوجاع بأنها كالأوجاع التى تنتاب امرأة ماخض ، فبالحقيقة هى أوجاع شديدة ، ولكنها تنتهى بأفراح غامرة حيث يولد الخلاص . حسب قول المسيح له المجد : « المرأة وهى تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت . ولكن متى ولدت الطفل لا تعود

تذكر الشدة لسبب الفرح لأنه قد ولد إنسان فى العالم ، (١) . أنهم فى السبى سيتكبدون حزناً ، ولكن بعد ذلك سيتحول حزنهم إلى فرح بمجئ الملك المسيح منهم ، الذى هو مخلص العالم .

* * *



(١) يو١٦ : ٢١ .

٣٩- طبيعتنا الأصيلة

✤ هل يغير الكوشي جلده ،
أو النمر رقطه ؟ (ار١٢: ٢٣)

الكوشي (أي الانسان أسود الجلد) جميل بجلده الأسود الطبيعي هذا ، أما إن حاول أن يجعل جلده أبيضًا ، فسيصير مسخًا مقززاً ... سمعت عن مغنى أمريكى أسود البشرة يدعى مايكل جاكسون نال شهرة واسعة حين غنى فى إفتتاح دورة الألعاب الأولمبية فى لوس أنجلوس سنة ١٩٨٨ ، وكان رائعًا ببشرته الداكنة هذه آنذاك ... ولكنه فكر أن يلتجئ إلى أطباء مهرة يبيضون لون بشرته ولقد نجحوا بالفعل ، ولكن شكله بعدها أصبح منفراً ... وتحولت حياته إلى الأسوأ .

وكذلك النمر ، هو جميل بفروته الرقطاء ذات الألوان البيضاء والبرتقالى، فإذا حاولنا صباغة فروته ، فإنه يفقد شكله وجماله المألوف كنمر ... فكل تغيير ضد الطبيعة لا ينجح ولا يستمر ، وتقاومه الطبيعة .

ونحن نلاحظ أن تكملة آية التساؤل : « فأنتم أيضاً لا تقدرون أن تصنعوا خيراً أيها المتعلمون الشر » فالشر دخيل على الطبيعة البشرية ، دخل إلى العالم بحسد ابليس (١) ... لأن الله لم يخلق شراً (٢) ، ولكن الشيطان تولى تعليم الشر للانسان ، حتى أضحى الانسان لا يقدر أن يصنع خيراً .

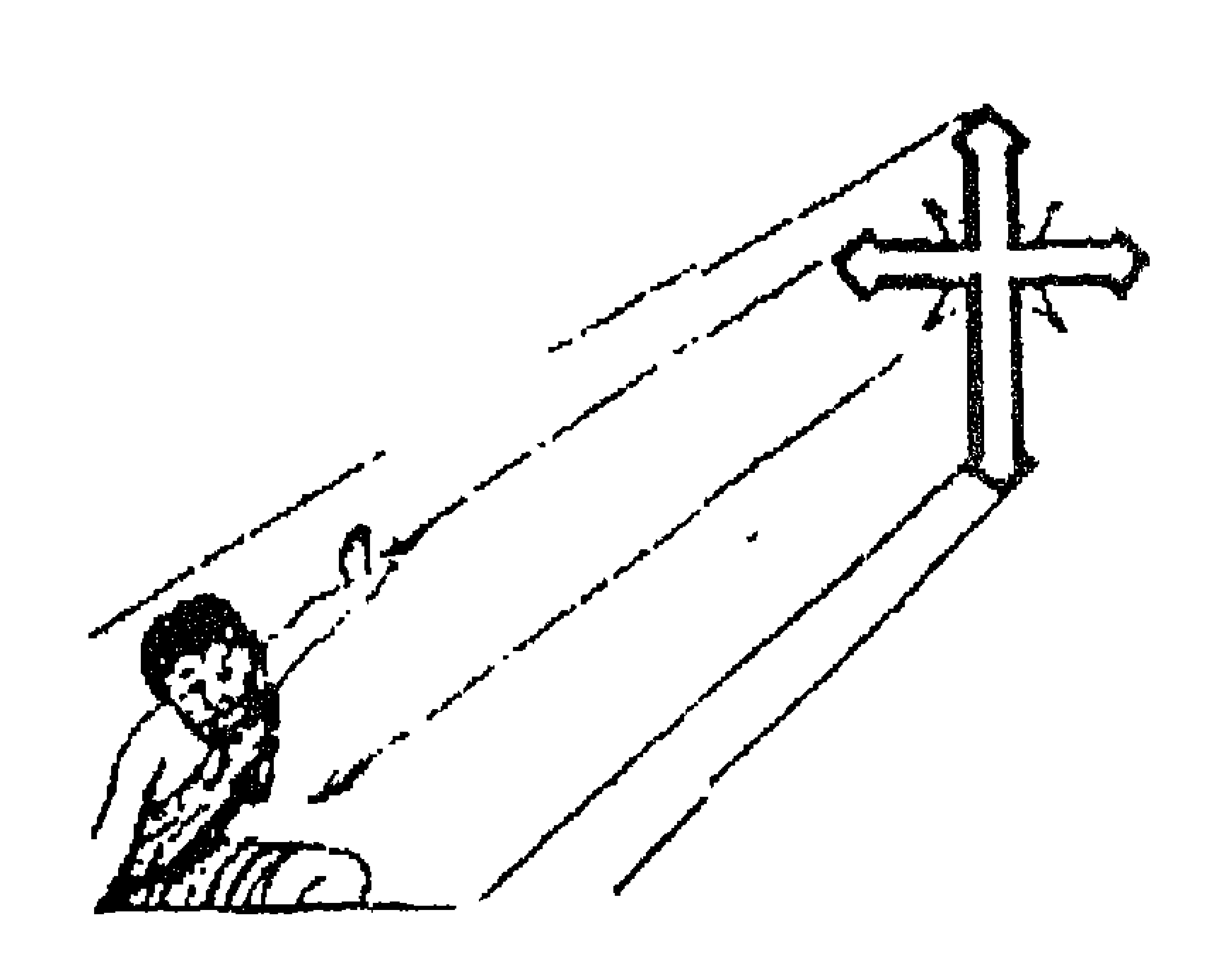
والحل المسيحى لما لحق طبيعة الانسان من تلوث هو الولادة الجديدة (٣) ، الميلاد الفوقانى الذى من الماء والروح ، أى المعمودية ... لأن مايكل جاكسون الذى ضربنا به المثل ، عندما يلد أبناء ، فسوف

---

(١) حك ١ :١٣ . (٢) حك ٢ : ٢٤ . (٣) يو ٣ : ٣ .

يكونون داكنى البشرة بحسب الطبيعة الأصلية ، أما مايكل جاكسون نفسه فسيعيش بهيئته المسخوطة التى أختارها ليموت بها ...

يا أحبائى أن طبيعة الشر دخيلة عليكم ، لأن الله حينما خلق آدم وحواء رأى الله أنه حسن وحسن جداً (١) ... فهل بعد أن تحررنا من طبيعة الشر بالميلاد الجديد (٢) ، نعود ونتلوث به ؟



(١) تك ١ : ٣١ . (٢) ابط ١ : ٣ ، ٤ .

٤٠- التمادى فى الخطا

✤ حتى متى بعد ؟ (ار١٣ : ٢٧)

عندما يريد الشيطان أن يُسقط إنساناً ، فإنه يبدأ معه باغراء بسيط مغلف بما يقتنع به الانسان من قيم ومبادئ ، وبعد أن يلتهم الانسان طعم الخطية على هذا المنوال يجد نفسه وكأنه قد انحدر فى هاوية من الخطايا لا قرار لها ... فيرتكب أبشع الخطايا التى كان يتقزز من مجرد سماع اسمها !!

فلقد بدأت حواء فى عصيان الله من كلام الحية المعسول (١) ... وانتهى آدم بالتبجيح والقاء لوم عصيانه على الله (٢) !

✤ لقد أمسك هيرودس يوحنا المعمدان وأوثقه وطرحه فى السجن من أجل هيروديا (٣) ، وكانت هذه بداية خطية القتل ولم يجسر على الفعل : « لأن هيرودس كان يهاب يوحنا عالماً أنه رجل بار وقديس وكان يحفظه ، وإذ سمعه فعل كثيراً وسمعه بسرور » (٤) . حتى طلبت الراقصة التى فُتن بها رأس يوحنا فى احتفال كبير ، فلأجل أنه قد أقسم لها أن يعطيها ما تطلب ، وحتى لا يبدو صغيراً فى نظر المتكئين فى الحفل (٥) ... ارتكب خطية قتل يوحنا المعمدان ومعه قتل ضمير نفسه الذى كان يحضه على الاستقامة .

✤ القاعدة الروحية الذهبية فى هذا المجال ، احذر من السقطة الأولى ، أما أن تصادف وسقطت فقم بسرعة قبل أن يتبلد ضميرك ، وبدلاً من أن

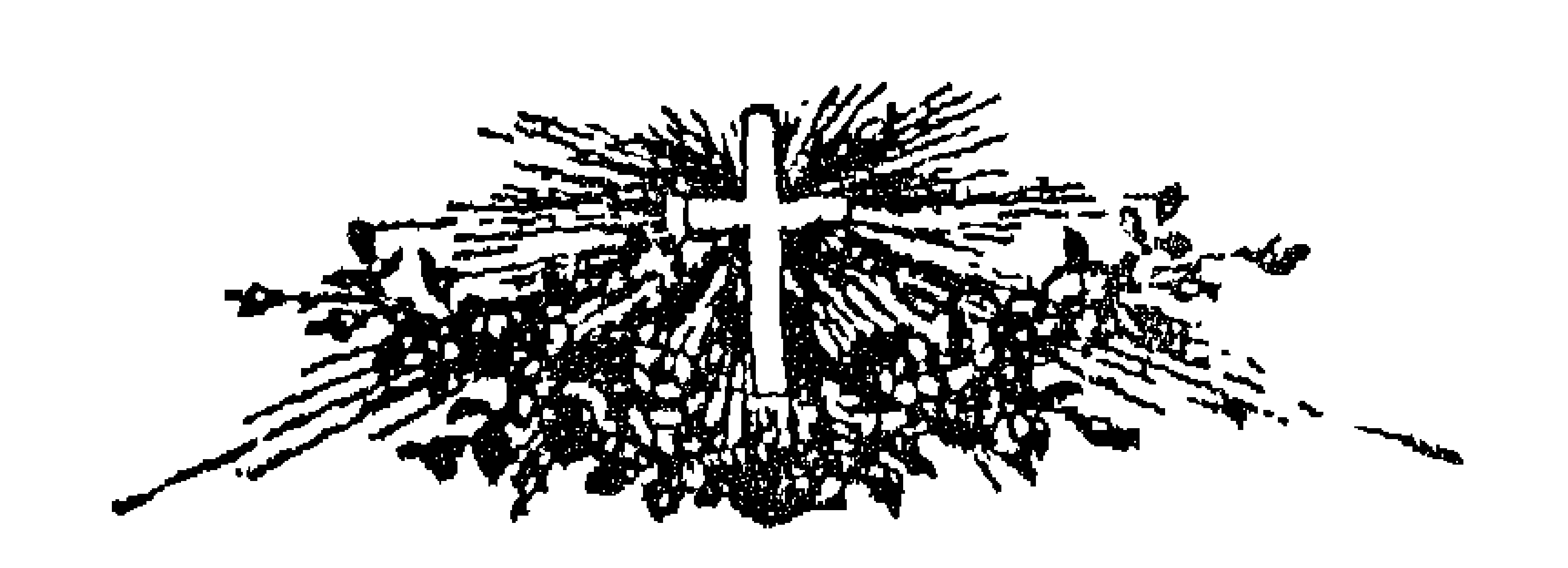
(١) تك ٣ : ٦ .   (٢) تك ٣ : ١٢ .   (٣) متى ١٤ : ٣ .

(٤) مر ٦ : ٢٠ .   (٥) متى ١٤ : ٩ - ١١ .

تكون أحزنت روح اللّه القدوس (١) ، تطفئه فيك (٢) ، ويلتزع منك (٣) .

فى التساؤل عاليه شبه الرب اسرائيل بفتاة مستهترة عرضت نفسها لمواقف إغتصاب ، فاغتصبت فعلاً ... وبدلاً من إستخلاص العبر والعودة إلى مسار الحياة المستقيمة إستمرأت الزنى ، وسلكت فى دروبه إلى أبعد غاية . هنا يعاتبها اللّه مباشرة : ويل لك يا أورشليم ، لا تطهرين ، حتى متى بعد ؟

ويا لها من حالة مزرية ، حينما يرفض الانسان حتى فعل التطهير !!!



(١) اف ٤ : ٣٠ . (٢) اتس ٥ : ١٩ . (٣) فى ٣ : ١٨ .

٤١- اشواق ارميا واشواق المسيح

✤ من يشفق عليك يا أورشليم ؟
ومن يعزيك ؟
ومن يميل ليسأل عن سلامتك ؟
(ار١٥ : ٥)

الرد على كل هذه التساؤلات ، هو ربنا يسوع المسيح نفسه ، فهو المشفق على أورشليم وهو معزيها ، وهو الذى يميل ليسأل عن سلامتها ... ولكن رغم كل هذا ، لم تعرف أورشليم زمان افتقادها ...

« وحين تمت الأيام لارتفاعه ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم » (١) . «وكانوا فى الطريق صاعدين إلى أورشليم » (٢) . « وأخذ الاثنى عشر وقال لهم ها نحن صاعدون إلى أورشليم » (٣) . « لا يمكن أن يهلك نبى خارجاً عن أورشليم ، يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا » (٤) . « ولما قال هذا تقدم صاعداً إلى أورشليم » (٥) . « وفيما هو يقترب نظر المدينة وبكى عليها قائلاً أنك لو علمت أنت أيضاً حتى فى يومك هذا ما هو لسلامك . ولكن الآن قد أخفى عن عينيك » (٦) .

فرغم أن يسوع له المجد كان يعرف أن مأساة صلبه كانت ستجرى فى أورشليم إلا أنه يتحدث عنها بشجن وحنين سائلاً عن سلامتها ومعزياً ومشفقاً « اسألوا سلامة أورشليم . ليسترح محبوك . ليكن سلام فى أبراجك

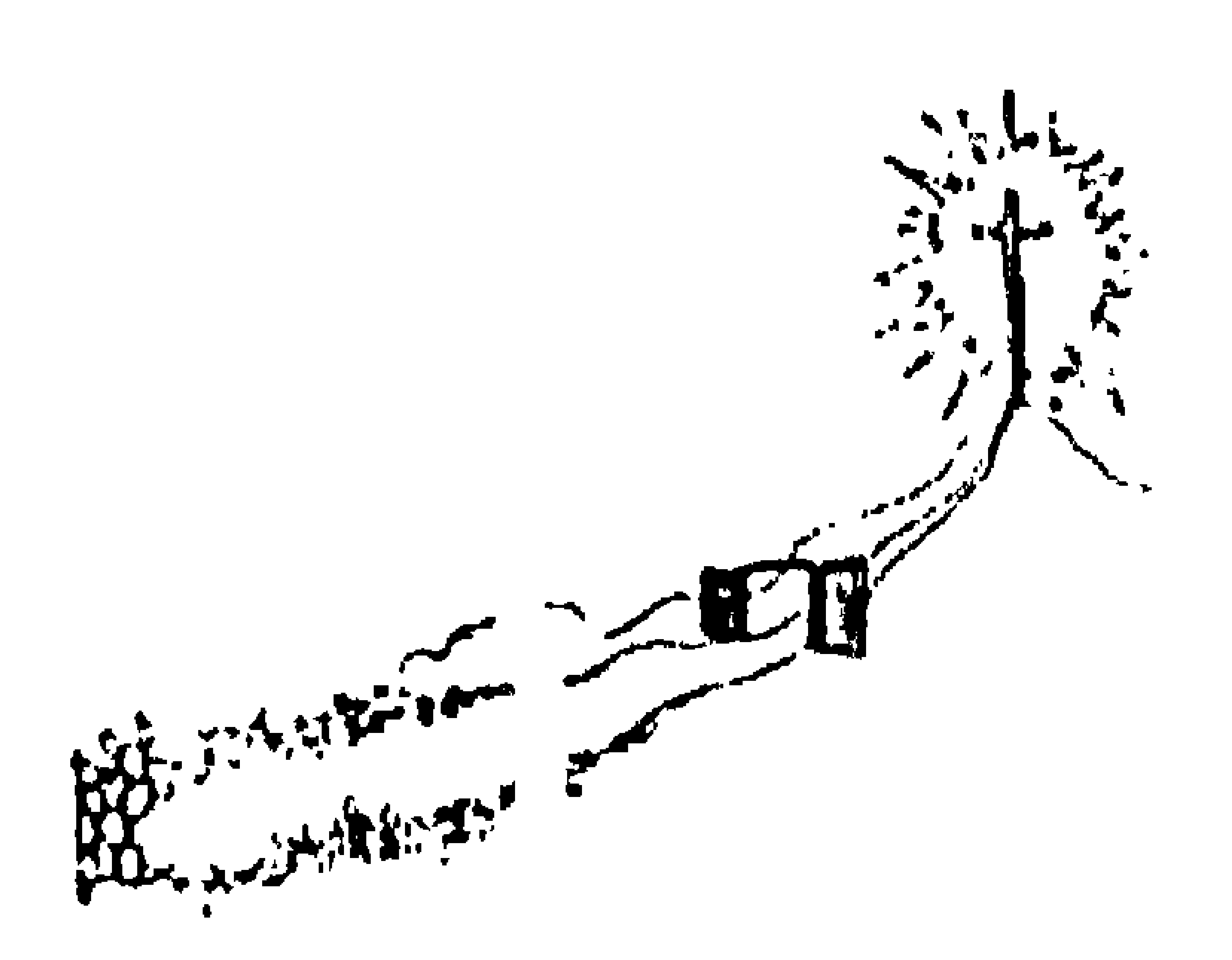
---

(١) لو٩ : ٥١ . (٢) مر١٠ : ٣٢ . (٣) لو١٨ : ٣١ .
(٤) لو١٣ : ٣٢ - ٣٤ . (٥) لو١٩ : ٢٨ . (٦) لو١٩ : ٤١ ، ٤٢ .

راحة فى قصورك . من أجل اخوتى وأصحابى لاقولن سلام بك . من أجل بيت الرب الهنا ألتمس لك خيراً » (١) .

❖ لقد تلاقت أشواق ارميا النبى وهو يرى سبى أورشليم الوشيك مع أشواق الرب يسوع وهو يرى خرابها الوشيك (٢) إذ قال : « إن لم تسمعوا ذلك فإن نفسى تبكى فى أماكن مستترة من أجل الكبرياء وتبكى عينى بكاءً وتذرف الدموع لأنه قد سبى قطيع الرب » (٣) ... أما ترى دموع يسوع وهو يبكى على خراب قلبك ؟

✝ ✝ ✝



(١) مز١٢٢ : ٦ – ٩ .   (٢) لو١٩ : ٤٣ ، ٤٤ .   (٣) ار١٣ : ١٧ .

٤٢- الأوانى الفخارية

✤ **أما أستطيع أن أصنع بكم كهذا الفخارى يا بيت اسرائيل ؟**

(ار ١٨ : ٦)

جميل ومناسب أن يُشَبه الانسان بإناء الفخار ، فكلاهما جُبل من طين الأرض « وجبل الرب الاله آدم تراباً من الأرض (١) ... » فمنذ تحدث الله إلى حنانيا الرسول عن شاول وقال له : « لأن هذا لى إناءً مختاراً (٢) ... » كان يلذ للرسول بولس أن يستعمل هذا التشبيه بكثرة فى رسائله « لنا هذا الكنز فى أوانٍ خزفية (٣) ... » وقال عن اسرائيل أنهم « آنية غضب مهيأة للهلاك » (٤) . واستعار نفس هذا التساؤل من ارميا النبى قائلاً : « أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناءً للكرامة وآخر للهوان » (٥) .

ولقد أتفق بأن النساء هن الإناء الضعيف (٦) ، وعلى المسيحى أن يقتنى اناءه (أى يتزوج) بقداسة (٧) ... والشهوات هى أكثر ما يلوث الإناء البشرى « فإن طهر أحد نفسه من هذه يكون إناءً للكرامة مقدساً نافعاً للسيد ... » (٨) . أما الذين يقاومون المسيح ، فقد أخذ المسيح سلطاناً عليهم « مثل إناء خزف تكسرهم » (٩) .

إن ما رآه ارميا فى بيت الفخارى ، هو صورة رمزية توضح الغاية التى

---

(١) تك ٢ : ٧ . (٢) اع ٩ : ١٥ . (٣) ٢كو ٤ : ٧ .
(٤) رو ٩ : ٢٢ . (٥) رو ٩ : ٢١ . (٦) ابط ٣ : ٧ .
(٧) اتس ٤ : ٤ . (٨) ٢تى ٢ : ٢١ . (٩) مز ٢ : ٩ .

من أجلها أتى المسيح ... فالخليقة حين فسدت بعصيان الله ، جاء المسيح ليخلقها خلقة جديدة : « إذا أن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة . الأشياء العتيقة قد مضت . هوذا الكل قد صار جديداً » (١) . « إذ خلعتم الانسان العتيق مع أعماله ، ولبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه » (٢) . ينال الانسان روحاً جديداً (٣) ، وقلباً جديداً (٤) ، وذهناً جديداً (٥) ، وحياة جديدة (٦) ، وسلوكيات جديدة (٧) ، وبالاجمال « رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا » (٨)

سلم ذاتك لله من جديد ، معترفاً أنك قد أفسدت عمله ، واسأله باتضاع أن يصنعك من جديد ... آمين .



(١) ٢كو ٥ : ١٧ . (٢) كو ٣ : ١٠ . (٣) رو ٧ : ٦ .
(٤) مز ٥١ : ١٠ . (٥) اف ٤ : ٢٤ . (٦) رو ٧ : ٦ .
(٧) اف ٢ : ١٠ . (٨) رؤ ٢١ : ١ .

٤٣- الانتحار بالخطية

✥ هل يخلو صخر حقلى من ثلج لبنان ؟
أو هل تنشف المياه المنفجرة الباردة
الجارية ؟ (ار ١٨ : ١٤)

عندما نادى يونان على نينوى بالدمار من أجل خطاياهم ، اسرعوا بالتوبة من كبيرهم إلى صغيرهم ... فرجع الرب عن الشر الذى كان ينوى أن يلحقه بهم (١) ...

وهنا ارميا ينادى على أورشليم من قبل الله أن الشر سيلحق بهم من أجل خطاياهم « هانذا مصدر عليكم شراً ، وقاصد عليكم قصداً ، فارجعوا كل واحد عن طريقه الردئ ... » (٢) . ويالها من فرصة .

ولكن ماذا فعلوا ؟ لقد قالوا لارميا بما معناه لا تتعب نفسك « فقالوا باطل ، ولكن لماذا ؟ » لأننا نسعى وراء أفكارنا وكل واحد يعمل حسب عناد قلبه الردئ » (٣) . وبدلاً من أن تكون المناداة بالتوبة فرصة لتحاشى البلاء والكارثة ، يتمعنون أكثر فأكثر فى الشر « ما يقشعر منه جداً عملت عذراء اسرائيل » (٤) . وكأنهم ينتحرون روحياً بواسطة خطاياهم !

لذلك ، فى التساؤل عاليه ، يصور لهم الرب مدى ما يجلبونه على أنفسهم من دمار بفعل الشر ... فلبنان المتاخمة لهم بلد جميل ذا بهاء وروعة (٥) بجباله الثلجية العالية ، وينابيع مياهه العذبة ، ماذا يتبقى له حين يصيبه التصحر ، وتلفح الحرارة الشديدة غاباته ، وتصفر كل

(١) يونان ٣ : ١٠ . (٢) ار ١٨ : ١١ . (٣) ار ١٨ : ١٢ .
(٤) ار ١٨ : ١٣ . (٥) اش ٣٥ : ٢ ، ٦٠ : ١٣ .

مزروعاته وعشبه وتتحول إلى هشيم ... فهل تريدون أن تكون مملكة يهوذا بما فيها أورشليم على هذا المنوال ؟

حينما ترى الأمم خطورة دمارهم ، فالكل يبحث عن وسيلة توقف هذا الدمار ... أما أنتم فتصرون على دمار أنفسكم بأنفسكم ...

❖ نلاحظ أن الله أضاف ياء الملكية حين قال : « صخر حقلى » كى يلقى إليهم بطوق نجاة ، بأن لكم معزة خاصة عندى لأنكم لى ...

فهل نصر نحن على الانتحار بخطايانا ، تاركين قلب المسيح ينكسر علينا ؟



٤٤- طمأنينة كاذبة

✤ **من ينزل علينا ومن يدخل إلى منازلنا ؟ (ار ٢١ : ١٣)**

يقولون أن النعامة حينما تواجه أخطاراً تدفن رأسها فى الرمال وهى تظن أنها أصبحت فى مأمن من الخطر لأنها لا تراه ، لأن الله قد أنساها الحكمة ولم يقسم لها فهماً ، (١) ...

فى هذا الاصحاح يتنبأ ارميا للملك صدقيا وكل بيت داود ، ويبدو أنهم قد بنوا لأنفسم قصراً تحت الأرض كمخبأ وقت مداهمة الأعداء ، كى يكونوا فى مأمن ! تماماً مثلما فعل هتلر فى ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية إذ كان يعيش ويقود الحرب من مخبأ صمم بحيث لا تؤثر فيه القنابل لو سقطت عليه مباشرة ... وأيضاً مثلما فعل صدام حسين العراق أثناء حرب الخليج حيث يقال أنه كان يقود أم المعارك من قصر تحت الأرض ، صمم بحيث لا يؤثر فيه قنابل ذرية لو ألقيت عليه !

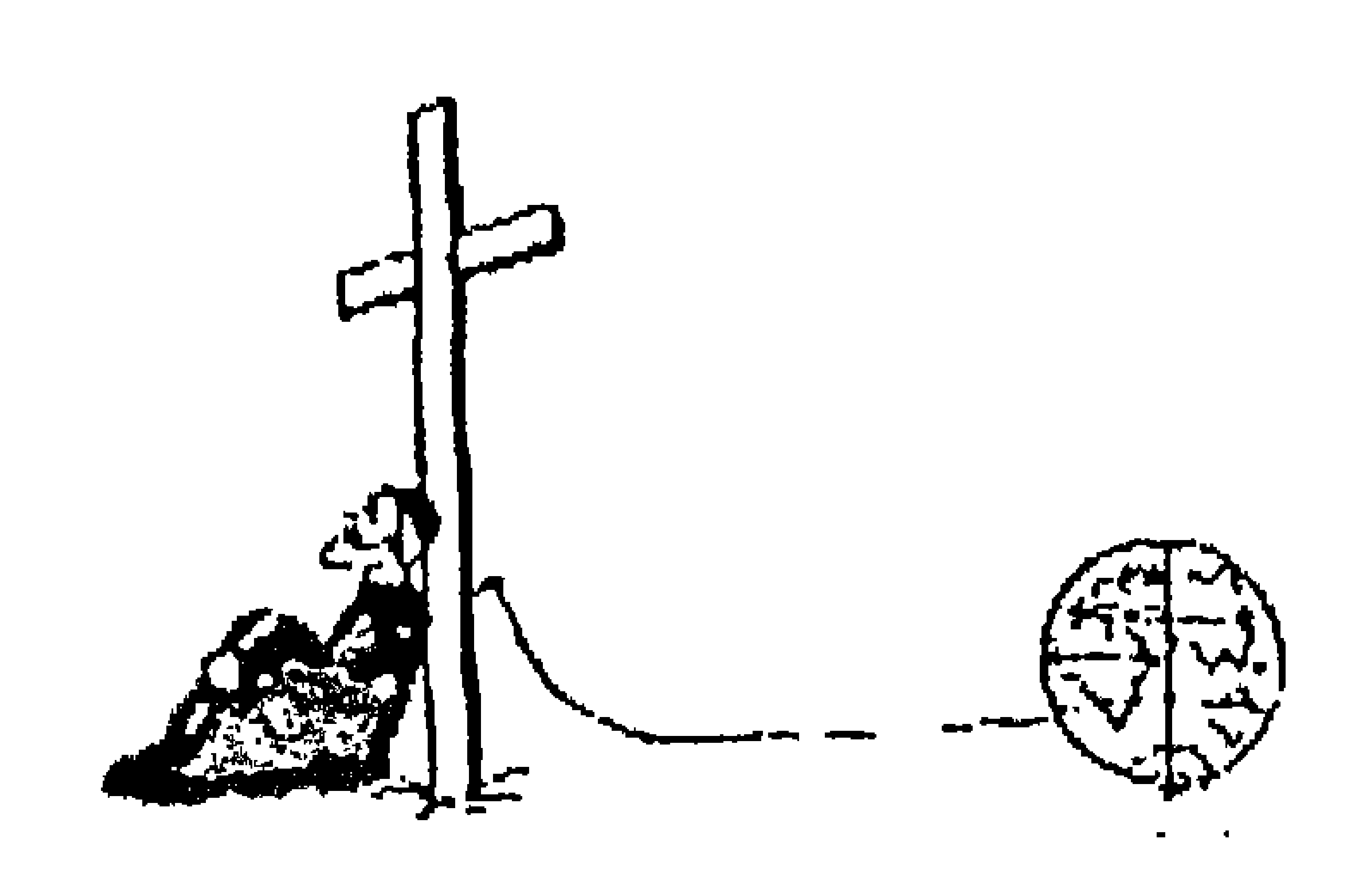
لقد ظن صدقيا أنه فى مأمن من كل الويلات التى يتنبأ بها ارميا لو صدقت ، ولكنه يتصرف تماماً كالنعامة . أنه لا يريد أن يطيع بما أشار به ارميا النبى ، أقضوا فى الصباح عدلاً ، وانقذوا المغصوب من يد الظالم ، (٢) . فصدقيا الملك مرتاح لاجراء الجور والظلم والتعسف والطغيان على الشعب كى يثبت قوة شكيمته ، بل وحتى على ارميا النبى نفسه ، وظن أنه فى مأمن ومطمئن لمخبائه السرى الذى سيحميه من غضبة الشعب ومن هجمة المغيرين ... ولكنه نسى أن هذا المخبأ سوف لا يحميه من غضبة الله وناره الحارقة التى لا يستطيع أحد أن يطفئها ...

---

(١) أى ٣٩ : ١٧ .   (٢) ار ٢١ : ١٢ .

إن تهميش الله عن مجريات حياة الانسان اليومية ، وكذلك التركيز على لطف الله وتغييب صرامته (١) ، وطيبته ورحمته دون عدله (٢) ، ونعمته وغفرانه دون أحكامه وديلونته (٣) . كل هذا يعطى صورة مبتورة عن الله وليست الصورة الكاملة ، وبالتالى يعيش الانسان فى طمأنينة كاذبة ...

* * *



(١) رو ١١ : ٢٢ . (٢) مز ١٠١ : ١ . (٣) يو ٨ : ١١ .

٤٥- التقوى لا تورث

✤ **هل تملك لأنك أنت تحاذى الأرز ؟**

أليس ذلك معرفتى يقول الرب ؟

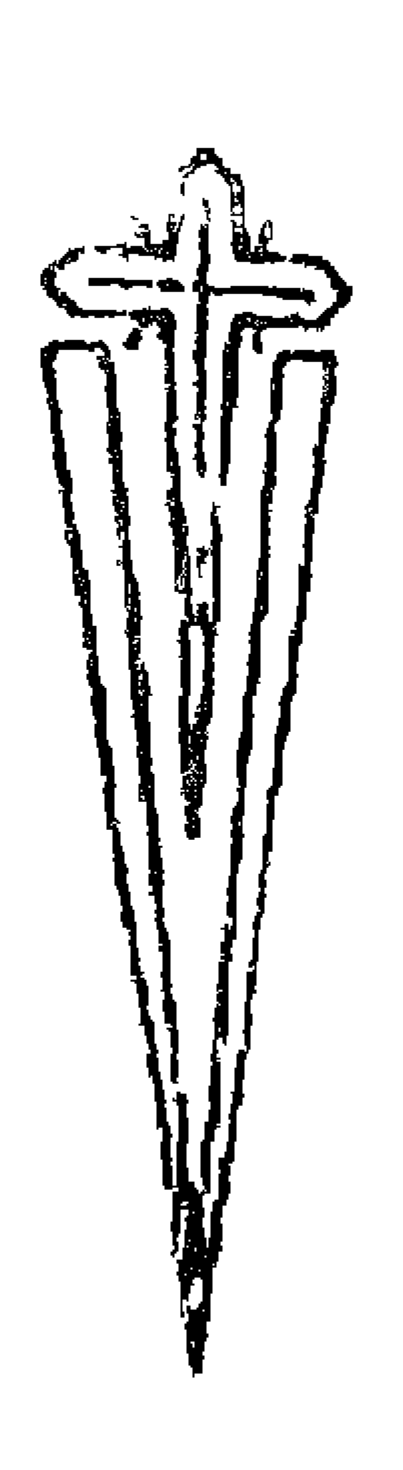
(ار ٢٢ : ١٥ ، ١٦)

وسط موكب ملوك اسرائيل الذين حكموا ما قبل فترة السبى ، وقد كان يغلب على فترات حكمهم سمات الحيود عن الله ، واستباحة المظالم والشر ، سمح الله بأن يأتى ملك بار على طراز داود هو يوشيا ، وعمل (يوشيا) المستقيم فى عينى الرب وسار فى جميع طريق داود أبيه ولم يحد يميناً ولا شمالاً ، (١) . لقد تملك ما قبل السبى مباشرة كمثل (حلاوة الروح كما يقولون) لأن إبنه يهوياقيم عاد ليسلك فى الشر (٢) ... وقد تم السبى فى عهده . لقد كانوا يظنون أن الدم الملكى هو دم الهى خاص ... ومهما فعل الملك فهو معصوم من الخطأ ... وها هو الله يضحض هذه المقولة فكل المواعيد الالهية المعطاة للملوك هى مشروطة بتقوى الملك وليس لكونه من نسل داود ... كذلك كل المواعيد الالهية المعطاة للكهنة ولرؤساء الكهنة مشروطة بتقوى الكاهن ... أما أن سلك الكاهن فى الشر يعد أثيماً كباقى الأثمة ... أيضاً ليس كل أبناء ابراهيم بالجسد يتمتعون بمواعيد الله لابراهيم ، بل فقط الذين هم من ايمان ابراهيم (٣) .

من ثم جاء هذا التساؤل للملك يهوياقيم توبيخاً له فلقد ظن أنه ملك تقى بالمولد ، وارثاً التقوى عن أبيه ، لأن الأرز فى الكتاب المقدس يرمز إلى تقوى الله ، الصديق كالنخلة يزهو كالأرز فى لبنان ينمو . مغروسين فى بيت الرب فى ديار الهنا يزهرون أيضاً يثمرون فى الشيبة. يكونون دسماً

(١) ٢مل ٢٢ : ٢ . (٢) ٢ مل ٢٣ : ٣٧ . (٣) رو ٤ : ١٦ .

وخضراً ، (١) . لذلك يقول الرب للملك يهوياقيم ، هل ... أنت تحاذى الأرز ؟ ، ثم يتحدث عن ثمار تقوى أبيه والذى سيحرم منها هو : ، أما أكل أبوك وشرب وأجرى حقًا وعدلاً حينئذ كان له خير ؟ ، ثم يختم الرب توبيخه بأنه يعرف قلوب الملوك قائلاً : ، أليس ذلك معرفتى يقول الرب ؟ ، . فلا نعتمد إذن على رسامة أو وضع يد وحدها ، لأن كل هذا ينفع أن سلكنا نحن بالتقوى .



(١) مر ٩٢ : ١٤ .

٤٦- كرسى داود

✤ هل هذا الرجل كنياهو وعاء خزف مهان مكسور ؟ أو إناء ليست فيه مسرة ؟ لماذا طرح هو ونسله وألقوا إلى أرض لم يعرفوها ؟

(ار٢٢ : ٢٨)

لقد وعد الرب داود الملك ، كرسيك يكون ثابتًا إلى الأبد ، (١) . وتشبث داود بهذا الوعد مصليًا لله : ، فالآن أرتض وبارك بيت عبدك ليكون إلى الأبد أمامك . لأنك أنت يا سيدى الرب قد تكلمت فليبارك بيت عبدك ببركتك إلى الأبد ، (٢) .

ولكننا هنا بصدد أخطر نبوة قالها ارميا النبى عن كنياهو آخر ملوك بيت داود إذ قال ، لا ينجح من نسله أحد جالساً على كرسى داود وحاكماً بعد فى يهوذا ، (٣) .

لم يكن ارميا نفسه يصدق النبوة التى تنبأ بها الله عن كنياهو على فمه لأنها تتعارض ظاهرياً مع وعود الله لداود حين كان ملكًا ، لذلك يتسائل السؤال عاليه ، ولكنه يؤكد فى نفس الوقت أن هذه نبوة الله قائلاً : ، يا أرض يا أرض يا أرض اسمعى كلمة الرب ، (٤) . فنسل داود حسب الجسد قد يتعوجون وينحرفون ويظلمون بل ويعاندون الله ... أما الذى ، تعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات . يسوع المسيح

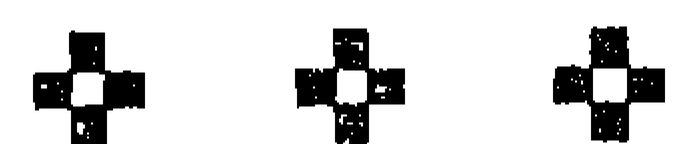
(١) ٢صم ٧ : ١٦ .   (٢) ٢صم ٧ : ٢٩ .   (٣) ار٢٢ : ٣٠ .

(٤) ار٢٢ : ٢٩ .

ربنا ، (١) . فهو الذى ، يملك على بيت يعقوب إلى الأبد . ولا يكون لملكه نهاية ، (٢) . ، ويعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه ، (٣) .

فبعد مجئ المسيح له المجد تواصل وعد الله لداود ، فهو ليس ملكًا فقط لاسرائيل بل للأرض كلها إذ هو ، ملك الملوك ورب الأرباب ، (٤) .

❖ من معالم مدينة ليفربول فى انجلترا كاتدرائية ضخمة على شكل تاج وتسمى كاتدرائية يسوع الملك ، وهى فكرة رائعة حقًا ، ومبنى جميل بالفعل يعبر عن الحس الهندسى الروحانى لأن المسيح ليس هو مسيح الآلام والصلب فقط ولكنه أيضًا ، رئيس ملوك الأرض ، (٥) . فهل نحن من رعيته ؟



(١) رو ١ : ٤ . (٢) لو ١ : ٣٣ . (٣) لو ١ : ٣٢ .
(٤) رؤ ١٩ : ١٦ . (٥) رؤ ١ : ٥ .

٤٧- كرامة المنبر

❖ من وقف فى مجلس الرب ؟ ورأى وسمع كلمته ؟ من أصغى لكلمته وسمع؟
(ار٢٣ : ١٨)

فى الكنائس الأثرية ، وحتى فى الأديرة القديمة كان هناك مكان مرتفع فى الكنيسة بسبع درجات يسمى « الأنبل » ويقال أن أحداً ما كان يصعد إلى الأنبل ليعظ الشعب غير الكاهن الخادم وهو بكامل ملابسه الكهنوتية ، فخدمة الكلمة (الوعظ) لابد وأن تجرى فى حضرة الله تماماً كمثل باقى الأسرار .

ولقد رأيت فى كنيسة أحد الطوائف أن الأسقف حين قام ليعظ من فوق الأنبل رافقه من الهيكل شماسان حاملين سيفين مشهرين ، كناية على أن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين (١) . وطوال وعظه يقف الشماسان اسفل الدرج بسيوفهما المشهرة (٢) .

فكلمة الله التى تتلى من فوق الأنبل ينبغى أن تنخس السامعين فى قلوبهم (٣) وتحثهم على التوبة والحياة المستقيمة مع الله .

❖ كثيرون يعظون ويعتلون المنبر بالخطب الرنانة ، ويملأون عظاتهم بالنكات والأشعار والقفشات ولكنهم لا ينطقون أبداً بكلام الله ... هؤلاء يضيعون وقت الكنيسة فى الكلام الباطل مضللين الشعب فى هرطقات خطيرة ... أنهم نوع من الضجيج الشيطانى الذى يحاول به أن يدغوش على صوت الله الحقيقى ، فلا يكون مسموعاً أو مقبولاً أو حتى محتملاً فى أوساط الشعب .

---

(١) عب ٤ : ١٢ . (٢) رو ٢ : ١٦ . (٣) أع ٢ : ٣٧ .

❖ لقد نُكب العهد الذى كان فيه ارميا النبى ينادى بكلام الله ، بأنبياء كذبة آخرين عديدين ، ومفروض على النبى أن يكون مرسلاً من قبل الله أما هؤلاء فقد قال الله عنهم : « لم أرسل الأنبياء بل هم جروا . ولم أتكلم معهم بل هم تنبأوا » (١) . النبى الحقيقى هو : ١- من وقف فى مجلس الرب . ٢- من رأى كلمة الرب (المسيح) . ٣- من سمع كلمة الرب (أى أطاعها) . ٤- من أصغى إلى كلمة الرب ... هذا ما يضعه ارميا النبى مقياسًا ... فحتى متى يا ترى نمتهن منابر الكنيسة ، لنقف إليها دون إعداداً روحياً ؟

❋ ❋ ❋

(١) ار٢٣ : ٢١ .

٤٨- المسجسون

❖ العلى الـه من قـريب يقـول الـرب ولسـت
الهًا مـن بعيد ؟ إذا أختبـأ انسان فى أماكن
مسـتتـرة ، أفمـا أراه أنـا يـقـول الـرب ؟
أما أملأ أنا السموات والأرض يقول الرب ؟
(ار٢٣ : ٢٣ ، ٢٤)

الأنبيـاء المزيفون كـانوا ينقلون إلى الشعب توهمـاتهم الشـخـصيـة ، أو ينقلون من بعضهم بعضاً ما يقولونه ، أو يخترعون أكاذيب من عندياتهم ويقصون على الشعب أحلامهم التى تقارب التخاريف ... وهكذا .

أنهم يفعلون بشعب الله أسواء ضـرر ظانين أنهم بعيدون عن نظر الله وأن الرب لا يراهم وهم يطوحون بأفكار الشعب بعيداً عن الله ! فتخاريفهم تنتقل من فم إلى أذن وتسرى وسط الشعب فتنة ونميمة فيشيعون الضلال والمذمة حتى ضد الله !

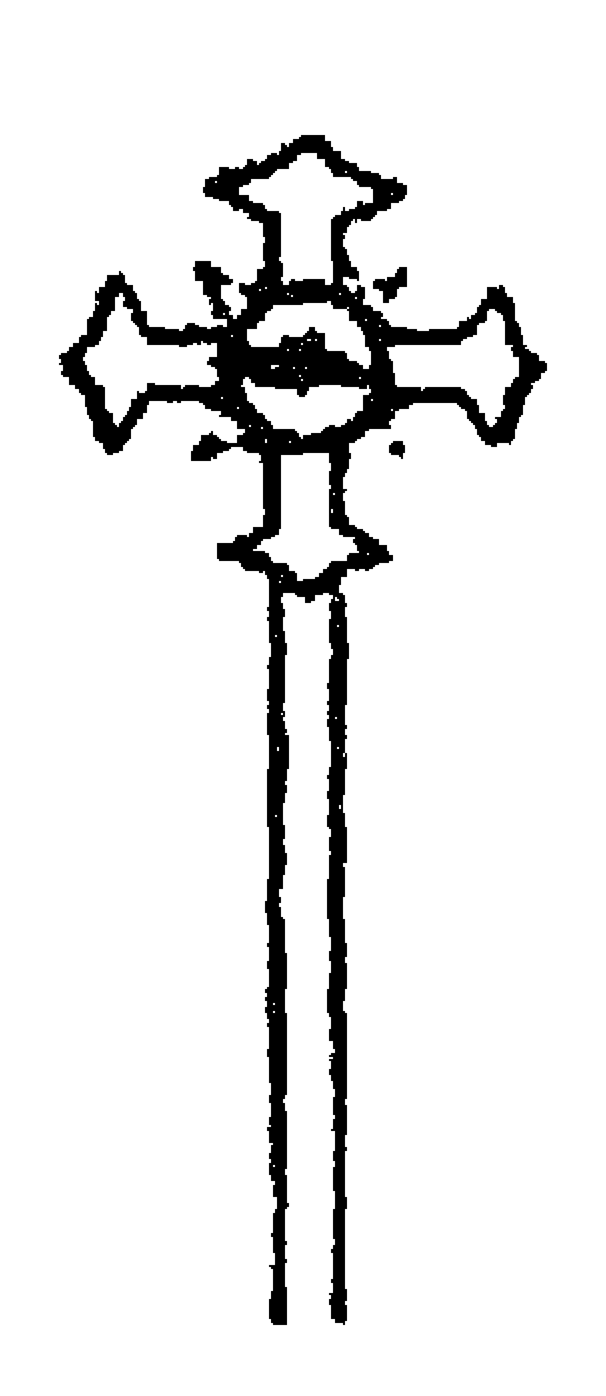
هنا يوقفهم الله عند حدهم بإعلانه أنه يعرف كل شئ ومتـابع لكل الخبث الذى يعملونه بإطلاق إشاعات كـاذبة سرياً فى أذانٍ ، ستنقلها إلى آذانٍ أخـرى . وهكذا ، إنه قـريب ، وهو يرى مـا يجـرى فى مـخـابئ ومستترات الظلمة ، وكان يجب أن يعرفوا أن الله هو مالئ ليس السموات فقط ، بل وكل الأرض كذلك .

❖ لقد تابع الله يونان فى ترشيش ، وفى البحر الهائج ، وفى جوف الحوت وفى نينوى (١) ، فكل شئ مكشوف وعريان للذى معه أمرنا (٢) .

---

(١) يو ١ : ٣ ، ٤ .   (٢) عب ٤ : ١٣ .

إن الذئب الذى يهاجم الحظيرة وهو بشكله وصوته الطبيعى ، يمكن الاحتراس منه وإتقاء وحشيته ... أما إن أتى الذئب فى ثياب حملان فإنه يفتك بالقطيع أيما فتك ... هكذا الأنبياء الكذبة فإنهم يتسللون إلى الحظيرة وعليهم ثياب الحملان وهم من الداخل ذئاب خاطفة ... هؤلاء يحذرنا الرب منهم فى موعظته على الجبل (١) . الله وحده هو الذى يستطيع أن يكشف لنا مثل هؤلاء ... لأنه عالم بكل شئ .



(١) مت ٧ : ١٥ .

٤٩- مواصفات كلام الله

✤ ما للتبن مع الحنطة يقول الرب ؟ أليست هكذا كلمتى كنار يقول الرب ؟ وكمطرقة تحطم الصخر ؟ (ار٢٣ : ٢٨ ، ٢٩)

سمعت فى السودان تعبيراً جميلاً عن الكلام الذى يدور دون هدف معين ، فهم يقولون عن هذا ، كلام ساكت ، فمثل هذا الكلام يكون هو والسكوت شئ واحد لأنه باطل وبدون تأثير ... هكذا كلام الوعاظ الذين لا يتكلمون كلام الله ، فوعظهم يساوى السكوت ، أنه دغى بلا فائدة ... أيضاً هكذا كلام الأنبياء الكذبة أيام ارميا ، كالتبن الذى يحرق (١) .

❖ يمثل الله كلامه الحقيقى بثلاثة مثالات : القمح والنار والمطرقة ، فالقمح للقربان - والنار للذبيحة - وأحجار المطرقة لبناء الهيكل .

- كلمة الله تسحق الذات فى الانسان وتجعل منه دقيق قربان (٢) .

- وكلمة الله تُحمس الانسان أن يرفع ذاته ذبيحة لله حتى تأتى النار الالهية ، المطهرة والمنقية ، إنها نار التقديس ونار الحب الالهى فإن الهنا نار آكلة (٣) .

- أما المطرقة فهى التى يستعملها كل بناء حكيم (٤) ، لاستخلاص الأحجار النافعة التى قال عنها القديس بطرس : « كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حية بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح » (٥) .

---

(١) مت ٣ : ١٢ . (٢) لا ٦ : ١٤ . (٣) عب ١٢ : ٢٩ .
(٤) ١كو٣ : ١٠ . (٥) ابط ٢ : ٥ .

ومن الناحية السلبية ، كلمة الله أيضاً تنير ذهن الانسان بالحق الذى فيها ، وفى نفس الوقت تهدم كل ما رسخه العالم فى أفكار الانسان من ظنون وأوهام باطلة . عن هذا يقول الرسول بولس : « هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله . إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون » (١) .

أيها الواعظ ، سوف لا تستطيع أن تتحدث بكلام الله ، ما لم تكن أنت قد تأثرت به ، فصرت قرباناً وذبيحة ، وهيكلاً مقدساً ...



(١) ٢كو ١٠ : ٥ ، ٤.

٥٠- عندما تقسو المحبة

✿ فهل تتبراون أنتم ؟ (ار ٢٥ : ٢٩)

✿ لأنه هكذا قال الرب . ها إن الذين
لا حق لهم أن يشربوا الكأس قد شربوا
فهل أنت تتبرأ تبرؤاً ؟ لا تتبرأ بل
إنما تشرب شرباً . (ار ٤٩ : ١٢)

لقد إغتاظ الرب وغضب على بنى اسرائيل ، وظل يرسل لعشرات السنين أنبياء يحذرون وينذرون ، وظل ارميا ثلاث وعشرين سنة يكلمهم مبكراً ومرسلاً ومكلماً (١) . فلم يسمعوا وها هو الرب يعلن أحكامه عليهم ، ولكن بأسلوب تحذير أيضاً ، قبل تنفيذها :

- لا تغيظونى بعمل أيديكم فلا أسئ إليكم (٢) .
- وأسلمك ليد طالبى نفسك وليد الذين تخاف منهم (٣) .
- لذلك هانذا أنساكم نسياناً وأرفضكم من أمام وجهى (٤) .
- وأجعل عليكم عاراً أبدياً وخزياً أبدياً لا يُنسى (٥) .

والنتيجة: فلم تسمعوا لى يقول الرب لتغيظونى بعمل أيديكم شراً لكم(٦).

وابتدأ الرب ينفذ إنذاراته : « لأنى هانذا أبتدئ أسئ إلى المدينة التى دعى اسمى عليها » (٧) . وطالما ابتدأت الأحكام العادلة على المدينة

---

(١) ار ٢٥ : ٤ . (٢) ار ٢٥ : ٦ . (٣) ار ٢٢ : ٢٥ .
(٤) ار ٢٣ : ٣٩ . (٥) ار ٢٣ : ٤٠ . (٦) ار ٢٥ : ٧ .
(٧) ار ٢٥ : ٢٩ .

المقدسة المحبوبة فكم أحكاماً أكثر شدة على المدن الخاطئة التى لا تعرف الله أصلاً ؟ ، لأنـه الوقت لابتداء القضاء من بيت الله . فإن كان أولاً منا ، فما هى نهاية الذين لا يطيعون انجيل الله ، (١) . ولذلك تقول عـدالة الله : ، لأنى أنا أدعو السيف على كل سكان الأرض ، (٢) .

شئ مـرعب أن تكون ابن مـخـالف لله ، لأنه بنفس مـقدار حـبـه لك سيـستـخدم أقوى الوسائل التى لا تستطيع أن تقاومها ، كى يعيدك إليه . سيظل يحاصرك حينما تسير فى طرق خاطئة حتى لا يكون أمامك سوى أن تخرج من هذه الطرق الخاطئة إن عاجلاً أو آجلاً لتعود إليه .

إن كنت ابن الله حقاً ، فإن مقدار ما تعانيه من كرب فى ابتعادك عنه، يتناسب مع مقدار سرورك وأنت تجارى الخطية ، لأنه هو المقدار اللازم لانتشالك وتخليصك ... ، وإن كان البار بالجهد يخلص ، فالفاجر والخاطئ أين يظهران ، (٣) .

✝ ✝ ✝

(١) ١بط ٤ : ١٧ . (٢) ار ٢٥ : ٢٩ . (٣) ١بط ٤ : ١٨ .

٥١- عندما يرفض الانسان مراحم الله

✤ لماذا تموتون أنت وشعبك بالجوع والوباء ؟
لماذا تصير هذه المدينة خربة ؟

(ار ٢٧ : ١٣ ، ١٧)

عندما يرفض المريض أن يتعاطى الدواء الوحيد الذى يشفيه ، وعندما يرفض عائل الأسرة إنه يذهب ليشتغل فى عمله الذى يتقوت منه هو وأولاده مفضلاً الصياعة فى الشوارع ، وعندما يرفض الجندى أن يحتمى فى مخبأ والقنابل تنهمر عليه بغزارة ... هكذا رفض اسرائيل كل وسائل الخلاص والنجاة التى أشار بها الله على لسان ارميا لهذا الشعب ! الله من حنانه يتعامل حتى مع من يغيظونه بالرحمة ، ففى وسط الرجز يذكر رحمة (١) ، ولكنهم أبوا أن يتقبلوا من الله شيئًا حتى رحمته ! وكأنهم مصرون على هلاك أنفسهم بأنفسهم !

❖ لقد ترسخت فى أذهان الشعب أقوال الأنبياء الكذبة ، وتحولت إلى عقيدة حتى فى ذهن الملك نفسه ، وذلك لكثرة عدد هؤلاء الأنبياء الكذبة الذين يتكلمون بالضلال ، أيضًا لأن منطق أكاذيبهم هو أقرب إلى ما تتمناه قلوب الشعب ... فبعد ما بنى الشيطان حصونًا من الأضاليل فى أذهان كل الشعب لم تجد كلمة الله الحقيقية على فم ارميا إلا الصد والنفور بل المقاومة والمقاتلة ... فعندما يتكون رأى عام خاطئ وسط الشعب ، وتسود وسط الجماعة روح ردئ ، يندفع الناس بلا عقل نحو القرارات الخاطئة ...

---

(١) مراثى ٣ : ٣٢ .

لقد استفاد الزعيم هتلر من تكوين رأى عام مبنى على فكر خاطئ بأن الجنس الآرى (الألمانى) هو أسمى جنس على الأرض ، وجدير به أن يحكم الأرض كلها وتكون باقى الشعوب مجرد بهائم لخدمتهم ... وهكذا شن حربه العالمية لاخضاع أمم الأرض له ، ولكنه هزم تاركًا ملايين القتلى والجرحى والمدن الخربة (١) !

✝ ✝ ✝

(١) ار ٢٩ : ٣٢ .

٥٢- السبى له نهاية

✤ ما بالك تصرخين بسبب كسركِ ؟

(ار ٣٠ : ١٥)

من مبادئ حقوق الانسان ، أنه لا يجوز لسلطة أن تعاقب أحداً أو تعتقله أو تسجنه ، ما لم يكن هناك اتهام واضح ومحدد ، وبعد عقد محاكمة عادلة ، يكون للمتهم حق الدفاع عن نفسه فيها ، ويصدر حكم القضاء محدداً العقوبة ونوعيتها وفترتها الزمنية ، يصبح المواطن بعدها حراً يمارس حقه فى الحياة كباقى المواطنين . ولعل هذه المبادئ مستمدة من صميم ما فعله الله فى معاملاته مع الانسان كما هو وارد فى الكتاب المقدس ...

ولكن عندما تكون السلطة متجبرة غاشمة ، فإنها تعاقب البشر لمجرد اختلافهم معها فى وجهات النظر ، وتلقى بهم فى المعتقلات ومستشفيات الأمراض العقلية دون محاكمة ، ولا يعرف المسجون متى تنتهى العقوبة ومتى سيخرج، آملاً فقط فى موت الحاكم الطاغية كى تتحسن الأحوال !!

لقد حدد الله الخطايا والعقوبات التى من أجلها سيعاقب شعب اسرائيل بالسبى ... ولكنه يعود بدءً من الاصحاح الثلاثين من سفر ارميا يؤكد ، أن فترة السبى سوف لا تزيد عن سبعين سنة حتى توفى الأرض سبوتها (١) ، بعدها سيعود الرب إليهم بالمراحم الجزيلة . « لأنه هكذا قال الرب . إنى عند تمام سبعين سنة لبابل أتعهدكم وأقيم لكم كلامى الصالح بردكم إلى هذا الموضع » (٢) . محبة الله تتضاعف أضعافاً حين تنتهى العقوبة ... فبعدما قال الله « أنى هناك أبغضتهم من أجل سوء أفعالهم أطردهم من

(١) ٢ أى ٣٦ : ٢١ .　(٢) ار ٢٩ : ١٠ .

بيتى . لا أعود أحبهم ، (١) . عاد الرب وقال : ، أنا أشفى ارتدادهم . أحبهم فضلاً لأن غضبى قد ارتد عنه ، (٢) . والآية العجيبة التى تعتبر تاج آيات المحبة الالهية : ، تراءى لى الرب من بعيد . ومحبة أبدية أحببتك من أجل ذلك أدمت لك الرحمة ، (٣) . قد تصرخ النفس لحيظة وهى تحت التأديب ، أما مراحم الله بعدها فإلى الأبد .

✝ ✝ ✝

(١) هو ١٠ : ١٥ . (٢) هو ١٤ : ٤ . (٣) ار ٣١ : ٣ .

٥٣- نعمة الاقتراب إلى الله

✤ **لأنه من هو هذا الذى أرهن**
قلبه ليدنو إلىّ يقول الرب ؟
(ار ٣٠ : ٢١)

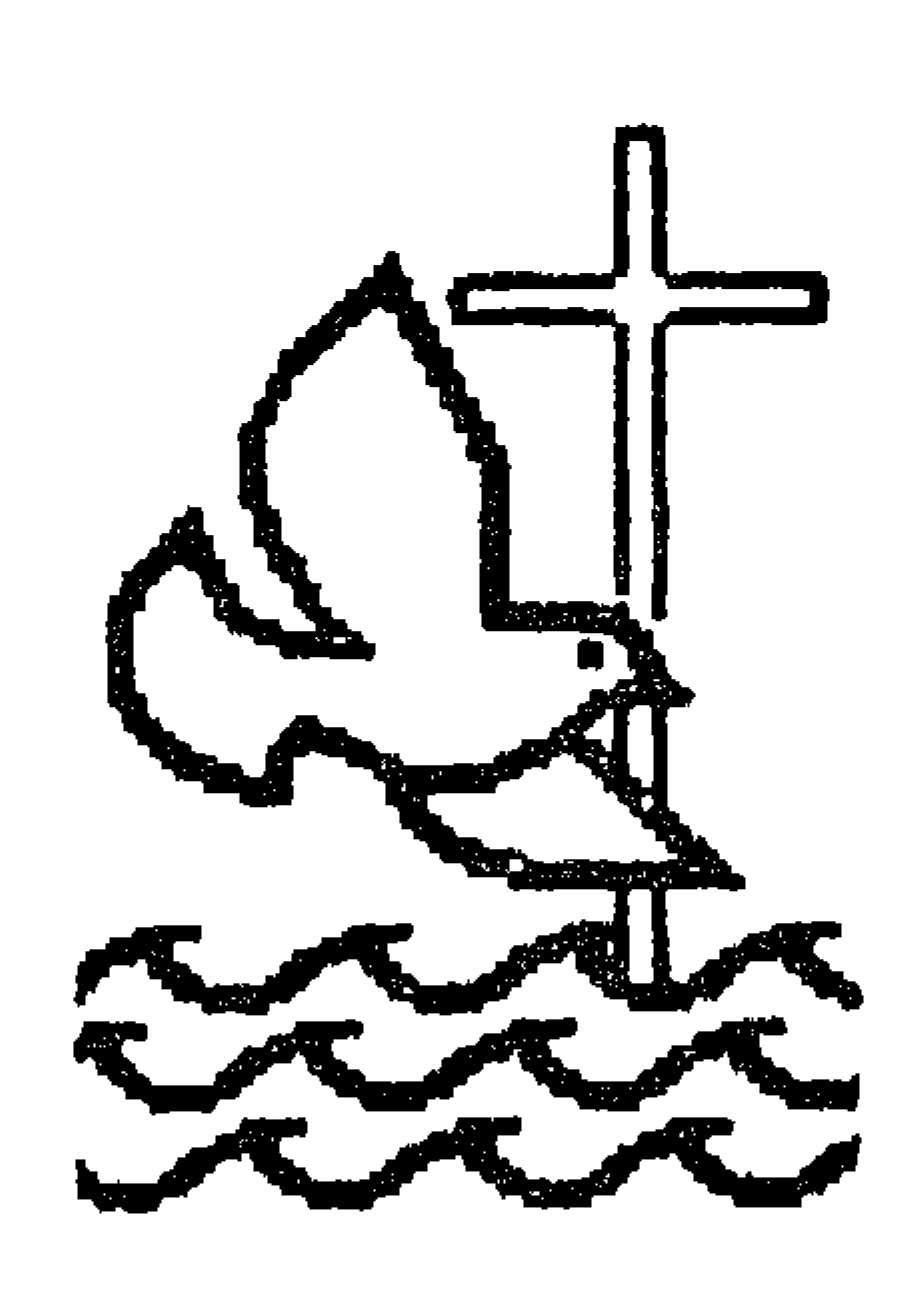
عندما تنقطع بالانسان كل السبل ، ولا يبقى أمامه إلا التسليم الكامل للمشيئة الالهية ... يبدأ الله فى عملية شفاء النفس كى تحيا ... فيزيل نير خطاياها عن عنقها ، ويعود بالنفس من سبيها . « لأنى أنا معك يقول الرب لأخلصك » (١) . « لأنى أرفدك وأشفيك من جروحك يقول الرب » (٢) . ويحررها من استعمار الخطية لكل مقدراتها « بل يخدمون الرب إلههم وداود ملكهم الذى أقيمه لهم » (٣) .

لا يحكمهم أجنبى بعد « ويكون حاكمهم منهم ويخرج واليهم من وسطهم » (٤) . وهذا الحاكم والوالى ، لا يعود يطوح بهم بعيداً عن الله كما فعل الملوك ما قبل السبى بل « وأقربه فيدنو إلىّ » فعندما يكون الحاكم قريبًا من الله ، يهدأ الشعب ويعيش فى طمأنينة : « ويخرج منهم الحمد وصوت اللاعبين ، وأكثرهم ولا يقلون ، وأعظمهم ولا يصغرون » (٥) . « فيأتون ويرنمون فى مرتفع صهيون ، ويجرون إلى جود الرب على الحنطة وعلى الخمر وعلى الزيت وعلى أبناء الغنم والبقر . وتكون نفسهم كجنة ريا ... وأروى نفس الكهنة من الدسم ، ويشبع شعبى من جودى يقول الرب » (٦) .

---

(١) ار ٣٠ : ١١ . (٢) ار ٣٠ : ١٧ . (٣) ار ٣٠ : ٩ .
(٤) ار ٣٠ : ٢١ . (٥) ار ٣٠ : ١٩ . (٦) ار ٣١ : ١٢ ، ١٤ .

الحاكم يلتمس ويتضرع إلى اللّه أن يعطيه نعمة الاقتراب إليه ، ويطلبها بكل قلبه حتى يتراءف اللّه عليه ويعطيه اياها ... لأن الملك لا يجرؤ أن يقترب من ملك الملوك إلا إذا قربه ملك الملوك نفسه إليه وهذا هو مفهوم التساؤل عاليه : « لأنه من هو هذا (الحاكم) الذى أرهن قلبه (أى يتجاسر) ليدنو إلىّ (دون أن أقربه أنا حسب مشيئتى) » وهذا بالفعل ما رأيناه فى نحميا وعزرا الذين حكموا فى اسرائيل ما بعد السبى ، ولولا أن الرب قربهم له لما استطاعوا أن يفعلوا شيئاً ...



٥٤- التوبة حولت الزانية إلى عذراء

✤ هل أفرايم ابن عزيز لدى
أو ولد مسر؟ (ار ٣١ : ٢٠)

✤ حتى متى تطوفين أيتها
البنت المرتدة؟ (ار ٣١ : ٢٢)

لقد أخذ سبط أفرايم الأولوية على باقى الأسباط ، حين باركه يعقوب جده بوضع يده اليمنى عليه (١) ، كما أن أبيه يوسف أخذ بركة بأن يكون نذير اخوته (٢) (أى له أن ينذرهم ككبير وسطهم) ورغم أن سبط لاوى الذى منه موسى النبى قد برز أثناء التجوال فى سيناء وسبط يهوذا قد برز للملك عقب داود الملك ، إلا أن سبط افرايم حاول أن يأخذ دوراً قيادياً ، وكأنه هو الوصى على باقى الأسباط زمان القضاة (٣) .

فى نبوة ارميا هذه ، يتكلم الله عن افرايم بهذه الصفة لأن وعود الله ودعوته وبركاته هى بلا ندامه (٤) ، قال : « سمعًا سمعت افرايم ينتحب . أدبتنى فتأدبت كعجل غير مروض » (٥) . هذا افرايم يصلى بنحيب أمام الله عن الأسباط كلها ... يصلى عنهم بحسب مسئوليته طبقًا لوعود الله وبركته ...

وماذا كانت النتيجة ؟ لقد استجاب الله إذ قال : « هل افرايم ابن عزيز لدىّ أو ولد مسر . لأنى كلما تكلمت به أذكره ذكراً . من أجل ذلك حنت أحشائى إليه . رحمة أرحمه يقول الرب » (٦) . وأيضًا فى هوشع النبى

(١) تك ٤٨ : ١٤ . (٢) تك ٤٩ : ٢٦ . (٣) قض ١٢ : ١ .
(٤) رو ١١ : ٢٩ . (٥) ار ٣١ : ١٨ . (٦) ار ٣١ : ٢٠ .

« كيف أجعلك يا افرايم ، أصيرك يا اسرائيل . كيف أجعلك كأدمة أصنعك كصبوييم . قد انقلب علىّ قلبى أضطرمت مراحمى جميعًا . لا أجرى حمو غضب. لا أعود أخرب افرايم لأنى الله لا انسان، القدوس فى وسطك » (١).

قد تكون مهمشًا عن مسئولياتك التى قلدك الرب إياها على الأرض ، ولكن لا يضعف قلبك ، فكل الشعب الذين طوح بهم الأشرار بعيدًا عن طرق الرب ، بل وحتى الذين همشوك ليحلوا محلك ، أضحوا يتطلعون إليك لكى تصلى بنحيب من أجلهم بعدما ابتدأوا فى حصاد الشر الفظيع الذى زرعوه ... عد للصلاة لكى يرضى الله من جديد على شعبه .

❖ بعد انتخاب افرايم أمام الله ، نرى الله على الفور يدعو اسرائيل التى كانت قرية زانية ، عذراء ! إذ يقول : « ارجعى يا عذراء اسرائيل ... حتى متى تطوفين أيتها البنت المرتد » (٢) .

كانت صلاة افرايم: « توبنى يارب فأتوب ، لأنك أنت الرب الهى » (٤).

لقد خزى وخجل وهو يحمل عار صباه ، وتعلم وندم ورجع ملتمسًا التوبة ... الله هو الذى سيتوبه ... وهو الذى سيرده إليه . فلقد عرف افرايم كل أسرار فعل التوبة ، تلك التى جعلت الله يحن على شعبه العاصى من أحشائه ، وينقلب من الصرامة وقسوة المحبة إلى مراحم مطلقة ، حتى أنه نظر إلى الخائنة الزانية كما لو كانت بنت عذراء ... وتوالت بعد ذلك مواعيد التخلص من السبى ، وعودة البركات بغزارة على الشعب التائب : « أرد سبيهم . يباركك الرب يا مسكن البر يا أيها الجبل المقدس فيسكن (اسرائيل) فى كل مدنه ... لأنى أرويت النفس المعيية وملأت كل نفس

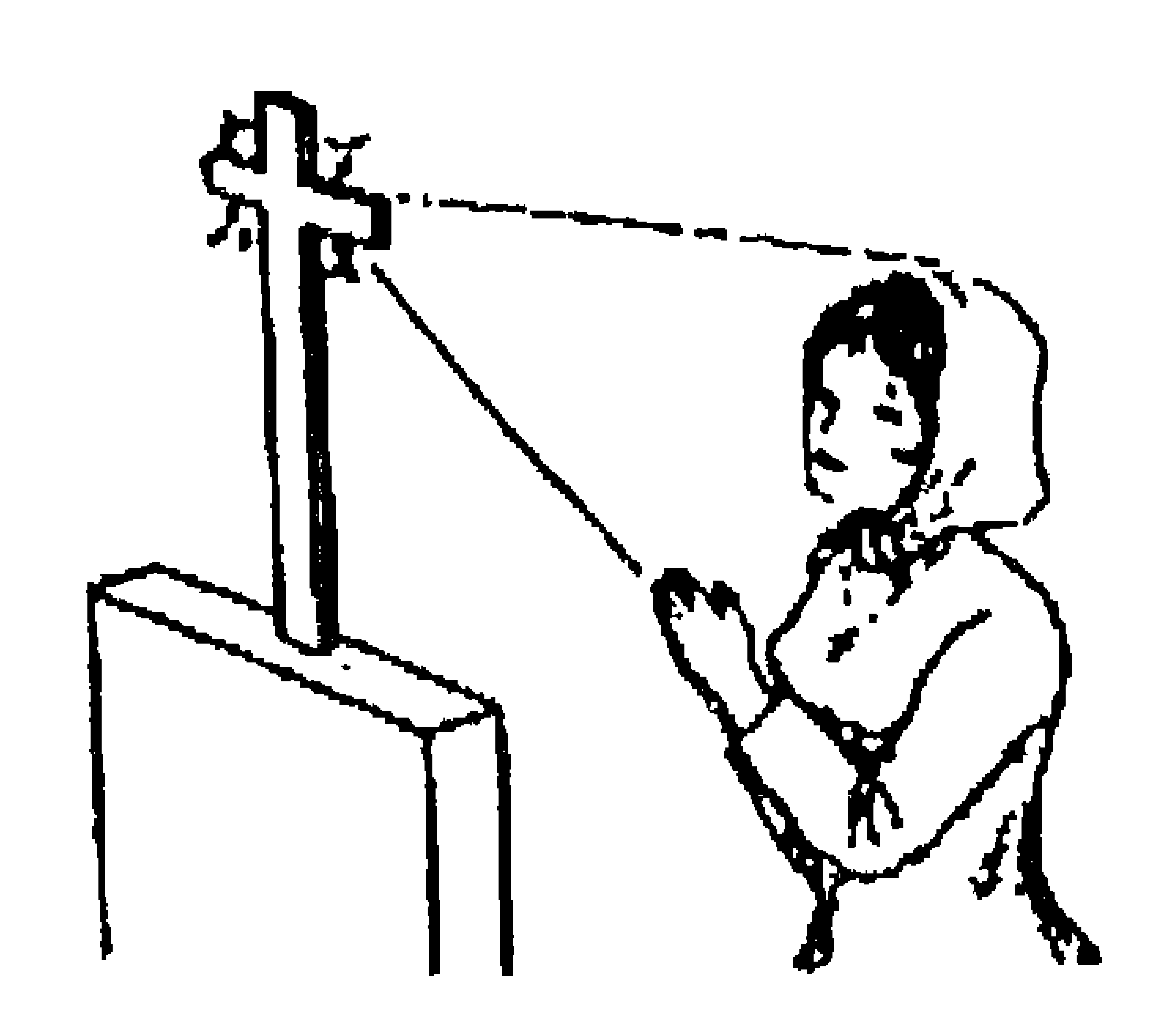
---

(١) هو ١١ : ٩ .   (٢) اش ١ : ٢١ .   (٣) ار ٣١ : ٢١ ، ٢٢ .
(٤) ار ٣١ : ١٨ .

ذائبة ... ويكون كما سهرت عليهم للاقتلاع والهدم والقرض والاهلاك والأذى كذلك أسهر عليهم للبناء والغرس يقول الرب » (١) .

❖ ولم يشأ الله أن يجرح مشاعر تلك البنت العذراء ، بأن يذكرها بالدمار والسبى الذى أحدثه خطاياها ، بل برقة يقول : « حتى متى تطوفين ؟ » . تحول السبى إلى مجرد أخذ دروس واستخلاص العبّر ، وطواف وتجوال بعيداً عن البيت للتزود بمعلومات جديدة عن حب الله واشفاقه « أجعل شريعتى فى داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم الهاً وهم يكونون لى شعباً ... لأنهم كلهم سيعرفوننى من صغيرهم إلى كبيرهم يقول الرب . لأنى أصفح عن إثمهم ، ولا أذكر خطيتهم بعد » (٢) .

فهل نتوب نحن على هذا المنوال لنحظى ببركات رضى الرب ؟



(١) ار ٣١ : ٢٣ – ٢٨ . (٢) ار ٣١ : ٣٣ .

٥٥- تبكيت ثم تعزية

✤ هل يعسر علىَّ أمر ما ؟
(ار٣٢ : ٢٧)

تتضح أعمال الروح القدس ، وهو يسوق رجل الله ، ارميا ، لكتابة نبؤته ، لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان ، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس ، (١) . فمعروف أن الروح القدس يبكت (٢) ، وأيضًا معروف أن الروح القدس يعزى (٣) . إنه يبكت العالم المنغمس فى الخطية ، ويعزى أبناء الله الذين زهدوا وتجردوا عن عالم الخطية ... يبكت الخطاة ، ويعزى التائبين عن الخطية ... وهذا واضح جداً فى التحول الكبير فى أسلوب نبؤة ارميا ، من التبكيت العنيف ، إلى التعزيات الرقيقة ، مع التنويه على مجئ المخلص يسوع المسيح الذى سيرد البشرية كلها إلى وضعها الطبيعى الأول مع الله ...

✤ عندما غزا الكلدانيون أورشليم وبدأوا يعملون فيها حرقاً وسبياً وقتلاً وتخريبًا ، كان ارميا النبى مسجونًا ، فلكى يعزى الرب ارميا النبى وسط هذا الجو المشحون أتى إليه عمه إلى السجن يعرض عليه شراء قطعة أرض يملكها فى قرية عناثوث ، وجاءه صوت الرب أن يشترى ليكون ارميا مالكاً لهذه الأرض !! ثم عزى الرب ارميا النبى ، هذه المدينة التى تقولون أنها قد دفعت ليد ملك بابل ... هانذا أجمعهم من كل الأراضى ... وأردهم إلى هذا الموضع وأسكنهم آمنين ، ويكونون لى شعبًا وأنا أكون لهم الهًا ... لخيرهم وخير أولادهم بعدهم ... لأحسن إليهم ... وأفرح بهم لأحسن إليهم وأغرسهم فى هذه الأرض بالأمانة بكل قلبى وبكل نفسى لأنه هكذا قال

(١) ٢بط ١ : ٢١ . (٢) يو ١٦ : ٨ . (٣) يو ١٥ : ٢٦ .

الرب . كما جلبت علي هذا الشعب كل هذا الشر العظيم ، هكذا أجلب أنا عليهم كل الخير ... فتشترى الحقول فى هذه الأرض ، (١) .

هذا التحول الهائل ، والذى تم فعلاً بصورة اعجازية ، لا يقدر عليه سوى الله ، لذلك هو يقول لارميا المتشكك : هل يعسر عليّ أمر ما ؟



(١) ار٣٢ : ٣٦ - ٤٣ .

٥٦- عظمة الرجاء

✤ أما ترى ما تكلم به هذا الشعب قائلاً : « إن العشيرتين اللتين إختارهما الرب قد رفضهما ؟ »
(ار٣٣ : ٢٤)

لم يزل ارميا محبوسًا فى السجن ، وشعب اسرائيل يتعرض للابادة العرقية على يد الكلدانيين ... لم يعد هناك ملك من نسل داود يحكم ، ولا كاهن من سبط لاوى ، وقد دمر هيكل سليمان ... فماذا تبقى ؟ لم يتبقى إلا أنشودة الرجاء العجيب التى أوحى بها الله فى هذا الاصحاح العجيب .

فبعد هدم البيوت على رؤوس أصحابها ، وامتلأت المدينة من جيف بنى اسرائيل (١) يقول الله : « هانذا أضع عليها رفادة وعلاجًا وأشفيهم وأعلن لهم كثرة السلام والأمانة » (٢) . وتتوالى البركات القادمة بغزارة طوال آيات باقى الاصحاح ... كل من يؤمن بها يختبر عظمة الرجاء الذى يصل ذروته بمجئ المسيا : « فى ذلك الزمان أنبت لداود غصن البر ، فيجرى عدلاً وبراً فى الأرض ... وهذا ما تتسمى به الرب برنا » (٣) .

وكمثل موسى فى القديم ، حين كلم موسى هكذا بنى اسرائيل ولكن لم يسمعوا لموسى من صغر النفس ومن العبودية القاسية » (٤) ولكن يأسهم لم يمنع الله من تتميم مقاصده ، لأنه علم ما كان فى الانسان » (٥) .

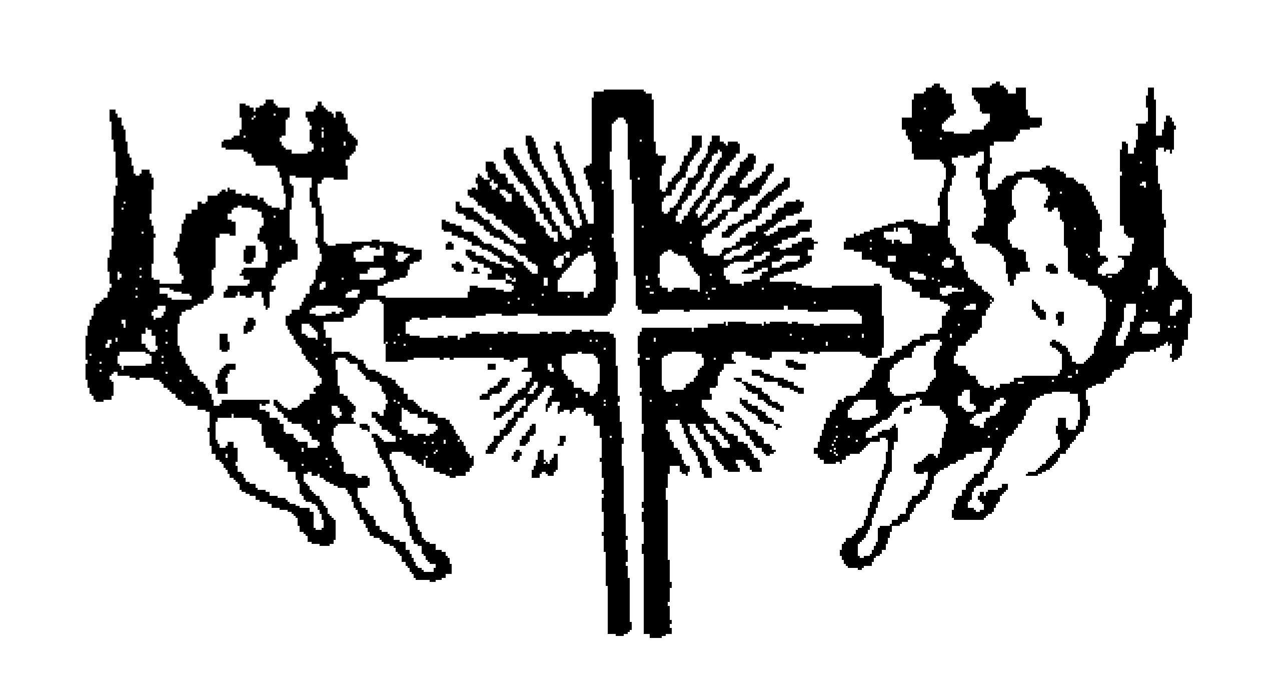
وهكذا هنا أيضًا ، لقد أحس الشعب برفض الله ورذله لهم ، بسبب

---

(١) ار٣٣ : ٤ .　(٢) ار٣٣ : ٦ .　(٣) ار٣٣ : ١٦ .
(٤) خر٦ : ٩ .　(٥) يو٢ : ٢٥ .

المصائب التى حلت بهم فى السبى ، حتى يأسوا ، ولم يعد لهم رجاء ، لأنهم يتدثرون ويتلاشون ! ولكن الله مضى فى خطته لتنفيذ وعوده ، لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذى كلم به الرب بيت اسرائيل بل الكل صار ، (١) .

❖ أنها حرب صغر النفس اللعينة التى تجعلنا لا نصدق وعود الله ، ولا نتوقع إلا السئ لأنفسنا حتى لو كان كلام الله غير ذلك ...



(١) يش ٢١ : ٤٥ .

٥٧- الركابيون

✤ أما تقلبون تأديبًا لتسمعوا
كلامى يقول الرب ؟
(ار٣٥ : ١٢)

الركابيون هم أحد عشائر سبط يهوذا ، وعشائر الكتبة سكان يعبيص ... هم القينيون الخارجون من حمة أبى بيت ركاب ، (١) . ولأنهم من بيت مبارك من الرب حيث صلى يعبيص ، ودعا اله اسرائيل قائلاً . ليتك تباركنى وتوسع تخومى وتكون يدك معى وتحفظنى من الشر حتى لا يتعبنى فآتاه الله بما سأل ، (٢) . فقد نأءوا بأنفسهم عن الشرور السائدة فى المملكة على أيام آخاب الملك ، وذلك بمبادئ وتقاليد تبين عظم تفهم لشريعة الله وهذه التقاليد هى :

١- لا يسكنون مدناً أو بيوتاً بل خيام ... مقتدين بأب الآباء ابراهيم الذى ، بالايمان تغرب فى أرض الموعد كأنها غريبة ساكناً فى خيام مع اسحق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه ، (٣) .

٢- لا يشربون خمراً حتى لا يقعون فى لعنة نوح (٤) ، ولا تجاوزات لوط (٥) .

٣- لا يشتغلون فى الزراعة وفلاحة الأرض ، لأن قايين المغضوب عليه من الله كان يمتهن هذه المهنة .

❖ ولعلهم كانوا من بين السبعة آلاف ركبة التى أبقاها الله لنفسه أيام

---

(١) ١أى ٢ : ٥٥ . (٢) ١أى ٤ : ١٠ . (٣) عب ١١ : ٩ .
(٤) تك ٩ : ٢٥ . (٥) تك ١٩ : ٣١ .

ايليا النبى التى لم تجث للبعل (١) ، ولذلك تحالف جدهم ركاب مع ياهو بن نمشى على تنفيذ ارادة الله فى إبادة بيت آخاب (٢) .

ولقد حافظ بيت الركابيين على تقاليد آباءهم هذه وحتى أيام ارميا ، حتى أنهم رفضوا شرب الخمر فى مخادع بيت الرب .

لقد اتخذ الرب من هؤلاء شهوداً يدين بهم جيلهم العاصى . كما اتخذ من نوح وسلوكه البار دينونة للعالم كله (٣) . وعلى حد قول القديس أنطونيوس : « كل من وصلوا إلى حد الكمال الروحى ، كل منهم سيدين أهل جيله ، لكونهم جاهدوا حتى كملوا . لأن الذين كملوا فهم يدينون المسكونة . وهذا ما أطلبه لكم ليل نهار ، أن تدينوا أهل جيلكم » (٤) .

* * *

---

(١) ١مل ١٩ : ١٨ . (٢) ٢مل ١٠ : ١٥ - ٢٣ .

(٣) عظة ١٣ من رسائل أنبا أنطونيوس .

٥٨- الخطيـة الأخـيرة

✤ لماذا أنتم فاعلون شرا عظيما ضد
أنفسكم لانقراضكم رجالاً ونساء
أطفالاً ورضعا ؟

✤ هـل نسيتـم شـرور آبائكم وشـرور
ملوك يهوذا ؟ (ار٤٤: ٧، ٩)

خصص الوحى الاصحاحات ٣٦ إلى ٤٣ من نبؤة ارميا لتسجيل وقائع ما جرى فى افتتاح الكلدانيين لأورشليم ، وكأنه سجل تاريخى وثائقى ... والذين نجوا من الموت ينقسمون قسمين ، قسم ذهب إلى السبى وقسم آخر بقى فى المدن المدمرة . ولقد شاءت العناية الالهية أن يبقى ارميا مع القسم الثانى ليسجل الخطية الأخيرة التى وقع فيها الشعب المتبقى ، إذ فكروا فى هجرة جماعية إلى مصر لينقذوا أنفسهم بأنفسهم رغم تحذير ارميا النبى لهم من هذه الخطوة ، لأنهم هناك انخرطوا أكثر فأكثر فى عبادة آلهة المصريين ممعنيين فى اغاظة اللّه وهكذا صاروا كمثل تين ردئ لا يؤكل (١) .

✤ الخطية الأخيرة التى بها يخطئ الانسان إلى الله هى رفضه تأديبات الله ليتوب ورفضه أيضًا تعزيات الرجاء « ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضبًا فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة » (٢) . إن الذى يرفض التوبة ، كأنه يفضل أن يذهب إلى الجحيم عن أن يلتقى باللّه ! إنه تجديف من النوع العملى وليس اللفظى ...

---

(١) ار ٢٤ : ٨ . (٢) رو ٢ : ٦ .

كما يكتب القديس يوحنا فى رؤياه ، ثم سكب الملاك الرابع جامه على الشمس ، فأعطيت أن تحرق الناس بنار . فاحترق الناس احتراقًا عظيمًا وجدفوا على اسم الله الذى له سلطان على هذه الضربات ، ولم يتوبوا ليعطوه مجداً ، (١) .

لقد خادع الاسرائيليون ارميا النبى ، بل وأجبروه على الذهاب معهم إلى مصر .



(١) رؤ ١٦ : ٨ ، ٩ .

٥٩- ذيل الكلب

❖ أليس البخور الذى بخرتموه هو الذى ذكره الرب وصعد على قلبه ؟
(ار ٤٤ : ٢١)

هناك مثل عربى يقول : ذيل الكلب ميتعدلش لو علقوا فيه قالب وهو يطلق على من يتمسك بحماقاته رغم كل محاولات الاصلاح ... وهو ينطبق هنا على بنى اسرائيل ، الذين رغم التأديبات الالهية العنيفة ، يتمسكون بخطاياهم التى تجلب غضب الله عليهم أكثر وأكثر !!!

إنهم يمثلون الطبيعة البشرية الخاطئة التى لا تستطيع إلا أن تؤذى نفسها بنفسها ، حتى وهى تفكر أن تعمل ما يجلب لها الخير تراها تنتقى طريق المزالق الذى يدمرها أكثر فأكثر !

بعدما هاجر المتبقون من بنى اسرائيل إلى مصر كى يحموا أنفسهم من سيف الكلدانيين ، إنهمكوا هم ونساؤهم وأطفالهم فى نفس الخطايا التى كانوا يرتكبونها فى شوارع أورشليم والتى أغاظت الله وجعلته يفيض رجزه عليهم ، لذلك أدركهم سيف الكلدانيين حتى فى مصر : هانذا أسهر عليهم للشر لا للخير فيفنى كل رجال يهوذا الذين فى أرض مصر بالسيف والجوع حتى يتلاشوا ، (١) .

❖ العقوبة هنا غريبة فى نوعها ، وقد تكون أقسى عقوبة يعاقب بها الله وهى : ، هانذا قد حلفت باسمى العظيم قال الرب . أن اسمى لن يسمى بعد بفم انسان ما من يهوذا فى كل أرض مصر قائلاً حى السيد

---

(١) ار ٤٤ : ٢٧ .

الرب » (١) . الله بنفسه يصد نفوس الخطاة عن الصلاة والمناداة باسمه ... ونحن هنا نذكر أنه من بعد طرد آدم من الجنة حرم جيل بأكمله من المناداة باسم الرب حتى جاء آنوش : « ولشيث أيضاً ولد ابن فدعا اسمه آنوش . حينئذ ابتدئ أن يدعى باسم الرب » (٢) . وعلينا أن نفتخر بالمسيح الذى عرفنا باسم الرب (٣) . وجعلنا ننادى الله « أبانا الذى فى السموات .... »

* * *

(١) ار ٤٤ : ٢٦ .   (٢) تك ٤ : ٢٦ .   (٣) يو ١٧ : ٦ ، ٢٦ .

٦٠- خلاص النفس ... وكفى

✤ هل تطلب لنفسك أمورا عظيمة ؟

(ار٤٥: ٥)

لقد أوحى الرب لارميا أن يتنبأ عن أمم كبيرة كمصر وبابل ... وأيضاً عن أحداث جسام تشمل كل سكان الأرض ... ووسط هذا كله يوحى الرب أيضاً بأقوال موجهة إلى شخص واحد هو باروخ (ومعنى اسمه مبارك) كى يريح أفكاره المنزعجة ... فمن هو باروخ ؟ وما هى الأقوال الموجهة له ؟

❖ الله وسط اهتمامه بكل سكان الأرض ككل ، نراه يهتم بكل فرد على حدة ... فمجازاة الله للأبرار ليس جزافًا ، وغضبه على الأشرار ليس إنفعاليًا متهوراً بحيث يكتسح هذا مع ذلك ، كلا ... بل هو يعطى كل فرد الجرعات المناسبة لأجل خلاصه ...

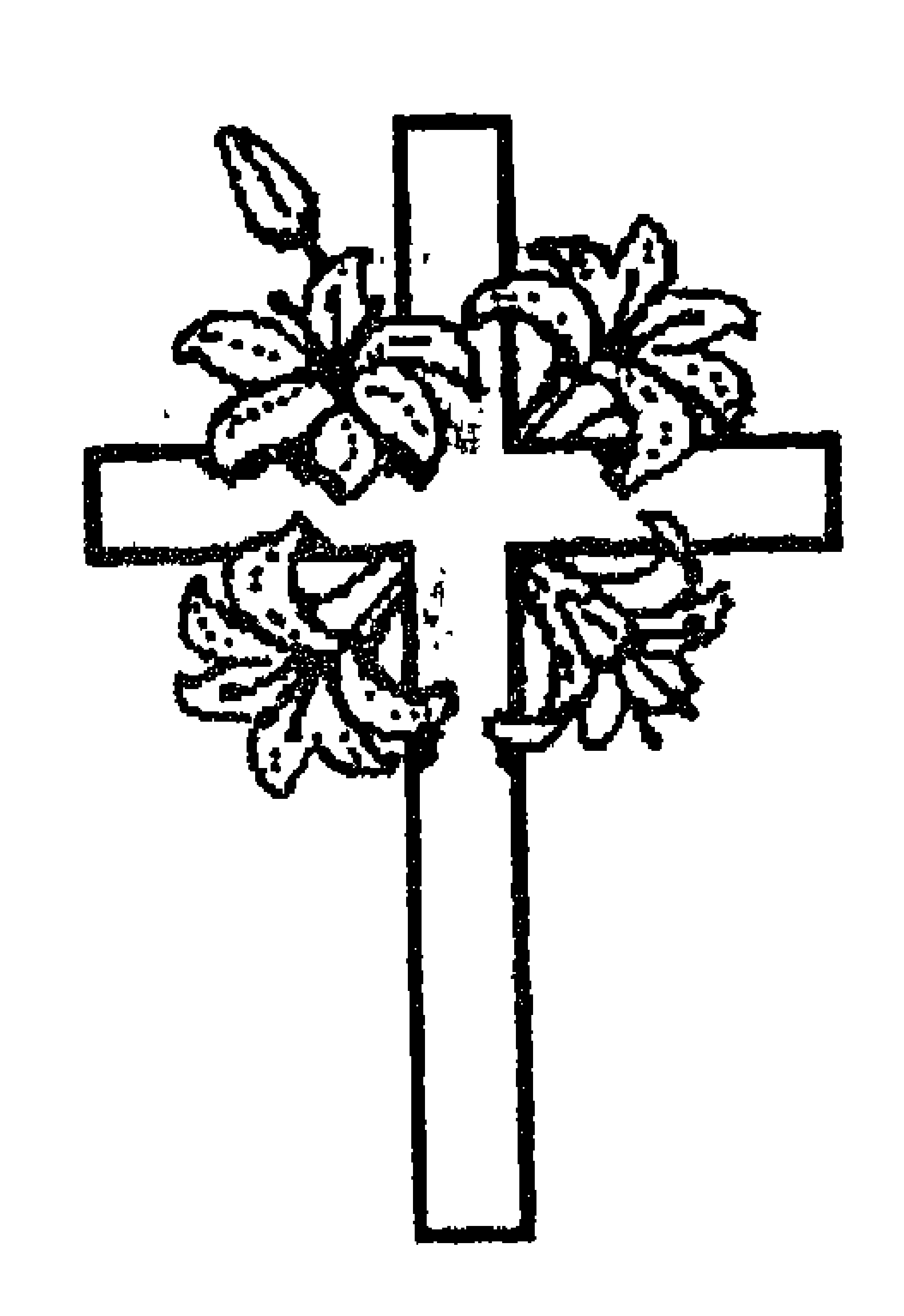
❖ يمكن اعتبار باروخ أنه كان تلميذاً وفيًا لارميا النبى (١) ، وكاتبًا لأقواله (٢) . ولقد تعرض معه للاضطهاد (٣) ... وعندما استفتح الكلدانيون مدينة أورشليم ، أوصى نبوخذنصر ملك بابل على ارميا نبوزراذان رئيس الشرط قائلاً : خذه وضع عينيك عليه ، ولا تفعل به شيئًا رديأ ، بل كما يكلمك هكذا أفعل معه ، (٤) . وعليه ، أُخرج ارميا من الحبس وصار فى حرية وتوقع باروخ الذى احتمل التجارب الشديدة مع معلمه ارميا ، أن يصيب شيئًا من التكريم ، كمركز رفيع ، أو أن يعطى بيوتاً وحقولاً سبى أصحابها إلى بابل ... أو ... أو ... أنه يريد ثمن تضحياته الذى بذلها من أجل الله ... وهنا أرسل الرب له رسالة خاصة مفادها ، أن الذى يضحى

---

(١) ار ٣٢ : ١٢ .   (٢) ار ٣٦ : ١٨ .   (٣) ار ٣٦ : ٢٦ .

(٤) ار ٤٩ : ١٢ .

من أجل الله عليه أن يضحى إلى النهاية ، ولا يفكر فى مقابل مادى على الأرض ... أن أعظم مقابل تترجاه من تضحياتنا لله هو خلاص النفس « أعطيك نفسك غنيمة فى كل المواضع التى تسير إليها » (١) . فلا يليق أن نتطلع إلى مكاسب دنيوية نحصدها من كوارث حلت بآخرين ، أو ننتهز فرصة الحرب لنثرى أنفسنا ثراءً فاحشًا ، بل يكفينا أن نسلك بالأمانة أمام الله وفقط ،



(١) ار ٤٥ : ٥ .

٦١- نبـوءة عـن مصـر

✤ لماذا أراهم مرتعبين ومدبرين إلى الوراء ؟

لماذا انطرح مقتدروك ؟ (ار٤٦ : ٥ ، ١٥)

يتندرون على طبع المصـريين فى الغـرب بالقـول walk like an Egyptian وهو طبع قد تنطبق عليه كلمة (الفهلوة) ... حين يتصدر انسان لعمل هام دون أن يكون عنده أى خلفية من الخبرة أو التدريب ، فهو يقلد الخبراء والمدربين ، مـقْدمًا على العمل بصدر منفوخ واستخفاف حتى بالمتخصصين فيه ... وهكذا يجعل من نفسه مجالاً للضحك والتندر ...

سمعت عن أحد مديرى مصانع الأحذية صدّر إلى روسيا ٢٠٠٠ زوج من الأحذية ، وهداه فكره الفهلوى أن يرسل ٤٠٠٠ حذاء فردة شمال فقط ، على أمل أن تضاعف روسيا الصفقة إلى ٤٠٠٠ زوج ، ولكن ما أن وصلت الأحذية إلى روسيا واكتشف الأمر ، رفض المستورد استلامها وعادت بمصاريف شحن على المصنع ذهاباً واياباً مع خسران الصفقة !

❖ يصور ارميا النبى واحدة من مواقف الفهلوة هذه حيث يعطى مظهراً براقًا جداً للجيش المصرى ، بدون جوهر فنون القتال الميدانية « اعدوا المجن والترس تقدموا للحرب . اسرجوا الخيل ، واصعدوا أيها الفرسان وانتصبوا بالخوذ ، اصقلوا الرماح . البسوا الدروع ... » (١) . « مصر عجلة حسنة جداً ، ولكن « الهلاك من الشمال جاء جاء » (٢) .

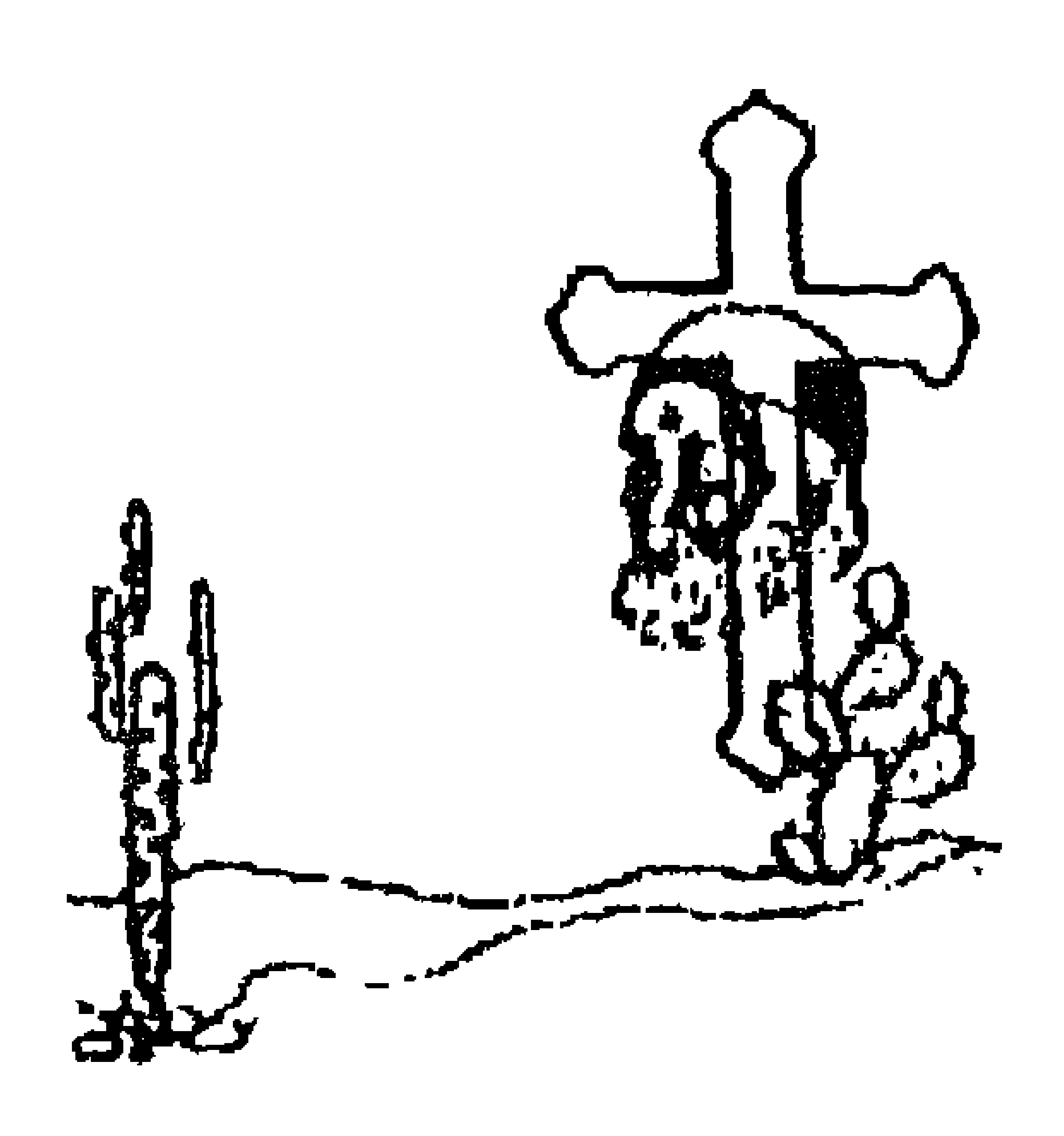
❖ لقد انخدع بنو اسرائيل فى المظهر العسكرى لمصر ، وراحوا إليهم يستنجدون بهم ، ويحتمون من وجه نبوخذ نصر ملك الكلدانيين أيام

---

(١) ار٤٦ : ٤ . (٢) ار٤٦ : ٢٠ .

الملك خفرع (١) ... ولكن نبوخذنصر أدركهم هناك ، حيث تنبأ ارميا النبى عن هذا الجيش المصطف بطريقة هندسية مبهرة ، ورماح مصقولة فى أيدى الجند ، وخيول مسرجة يركبها لابسوا الخوذ والدروع ، لماذا أراهم مرتعبين ومدبرين إلى الوراء ... لماذا انطرح مقتدروك ...

ويا له من درس ...



(١) ار ٤٤ : ٣٠ .

٦٢- نبوة عن الفلسطينيين

✤ حتى متى تخشمين نفسك ؟

(ار٤٧ : ٥)

لست أدرى ما الذى يجعل جماعة ما تستعذب تعذيب الذات ، وتخشم نفسها رافضة الحياة السعيدة السوية !! وما هى القيم والأفكار التى تتبناها مثل هذه المجتمعات !

أننى أفهم أن يقبل انسان تعذيباً من الغير كى يحافظ على كرامته ومبادئه التى يمتهنها الغير وتطلعاً إلى فضيلة الاستشهاد من أجل الحق « وآخرون عذبوا ولم يقبلوا النجاة لكى ينالوا قيامة أفضل » (١) .

بل أننى قد أفهم تصرفات احدى طوائف الهند ، إذ أسمع أنهم يعذبون أنفسهم حتى الموت بالنوم على مسامير حادة ، وحرق أنفسهم لأنفسهم ، والقاء أنفسهم تحت عجلات نورج ثقيل وذلك ابتغاء تطهير الروح من ادران الجسد ...

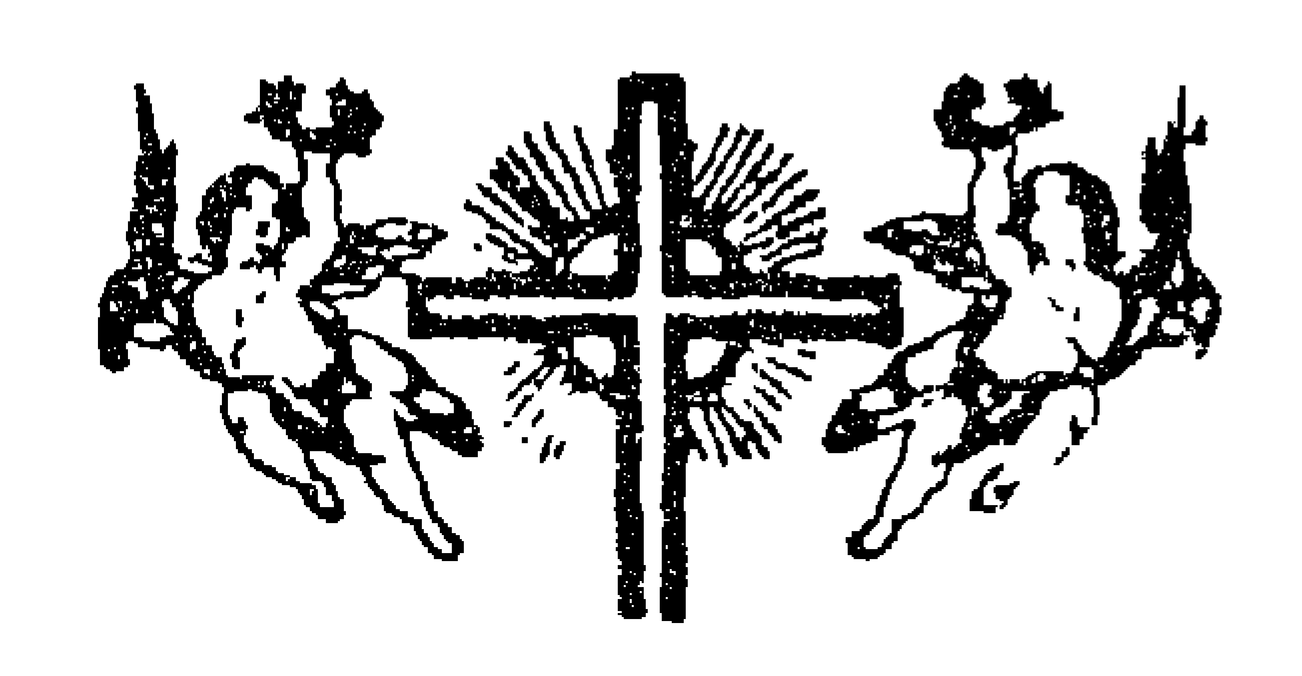
ولكن أن يخشم انسان ذاته استدراراً لعطف الآخرين واشفاقهم عليه ، فأعتقد أن هذا تثبيت لتصرفات مرحلة الطفولة ، فالطفل قد يلجأ إلى تعذيب ذاته كى يلفت أنظار الكبار إليه ، ويكسب عطفهم عليه واهتمامهم به ... ويبدو أن هذه سمة ثابتة كالوشم فى الشعب الفلسطينى ، فهو يعمل بكل ما يثير عليه القلاقل وكأنه يخشم ذاته بذاته حتى يكسب عطف الدول الأخرى مادياً واقتصادياً وسياسياً وعسكرياً . ولكن هذا العطف بالتأكيد لا يستمر .

---

(١) عب ١١ : ٣٥ .

وهناك سبب آخر يجعل الانسان يؤذى نفسه ، وهو احتلال الأرواح النجسة له (١) ، فتدفعه وهو مسلوب الارادة إلى هلاك نفسه .

ما أروع ما قاله القديس مار اسحق : « اصطلح مع نفسك تصطلح معك السماء والأرض » وهذا لا يتأتى إلا حينما يدخل الرب يسوع إلى الحياة ، حينئذ يكف الانسان عن أن يخشم نفسه ... .



(١) مت ١٧ : ١٥ ، مر ٩ : ١٨ ، لو ٩ : ٣٩ .

٦٣- سيف الرب

✜ آه يا سيف الرب ، حتى متى
لا تستريح ؟ كيف يستريح
والرب قد أوصاه ؟
(ار٤٧ : ٦، ٧)

كثيرون رأوا سيف الرب يقاتل معهم فاطمأنوا ، وحدث لما كان يشوع عند أريحا أنه رفع عينيه ونظر وإذ برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده . فسار يشوع إليه وقال له هل أنت لنا أو لأعدائنا فقال كلا بل أنا رئيس جند الرب ، (١) . ولم يهدأ سيف الرب حتى استقر اسرائيل فى أرض الموعد ... أيضاً حين قال موسى : « الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون » (٢) . و« للرب حرب مع عماليق من دور إلى دور » (٣) . لم يهدأ سيف الرب فى حراسة شعبه حتى انتهى تجوالهم فى البرية ...

❖ ولكن كثيرون أيضاً ارتعبوا حين رأوا سيف الرب يحارب ضدهم « ورفع داود عينيه فرأى ملاك الرب واقفاً بين الأرض والسماء وسيفه مسلول بيده وممدود على أورشليم . فسقط داود والشيوخ على وجوههم مكتسين بالمسوح » (٤) . لأن هذا يذكرنا بطرد آدم من الجنة « فطرد (الرب) الانسان وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة » (٥) . ويذكرنا أيضاً بمنظر الدينونة الأخيرة : « ثم خرج ملاك آخر من الهيكل الذى فى السماء معه أيضاً منجل حاد ... فألقى الملاك منجله إلى الأرض وقطف كرم الأرض ... » (٦) .

---

(١) يش ٥ : ١٣ . (٢) خر ١٤ : ١٤ . (٣) خر ١٧ : ١٦ .
(٤) ١ أى ٢١ : ١٦ . (٥) تك ٣ : ٢٤ . (٦) رؤ ١٤ : ١٧ ، ١٩ .

❖ وهنا يرى ارميا سيف الرب المؤدب لكل الأمم فيرتعب من حروب دائرة ولا تهدأ فى كل الأرض . فالجراح الماهر لا يجعل مشرطه يهدأ حتى يستأصل كل الأورام الخبيثة والأعضاء التالفة ليصح الجسد ... هكذا سيف تأديب الله سوف لا يهدأ ، حتى يتمم ما أوصاه الله به ... وسيف الرب كما قلنا فى مواضع أخرى هو كلمته التى يحارب بها الأمم (١) ،



(١) عب ٤ : ١٢ ، رؤ ١ : ١٦ ، ٢ : ١٢ ، ١٦ ، ١٩ : ١٥ ، اش ٤٩ : ٢ ، ٣ .

٦٤- يا مغرور

✤ كيف تقولون نحن جبابرة ورجال قوة للحرب ؟

✤ أفما كان اسرائيل ضحكة لك ؟ هل وجد بين اللصوص حتى أنك كلما كنت تتكلم به تنغض الرأس ؟

✤ كيف نقضت ، كيف حولت موآب قفاها بخزى ؟

(ار٤٨ : ١٤ ، ٢٧ ، ٣٩)

المملكة الأردنية الهاشمية كانت فى أيام ارميا النبى تتكون من مملكة موآب فى الجنوب وبنى عمون فى الشمال .

مملكة موآب فى الكتاب المقدس كانت رمزاً للغرور والبر الذاتى وهذا واضح جداً فى هذا الاصحاح الذى يتنبأ عن موآب قائلاً : « من أجل اتكالك على أعمالك وعلى خزائنك ... » (١) . « قد تعاظم على الرب » (٢) . « قد سمعنا بكبرياء موآب . هو متكبر جداً بعظمته وبكبريائه وجلاله وارتفاع قلبه ... أنه باطل ، أكاذيبه فعلت باطلاً » (٣) .

❖ وتبين التساؤلات عاليه مدى غرور موآب حيث أنه :

أ- معتد بنفسه جداً ، ويتيه عُجباً بقوته وذكائه .

ب- يستخف بالآخرين مهما كانوا ، ويفترى عليهم .

جـ- نهاية المغرور هى الهوان لا محالة .

---

(١) ار٤٨ : ٧ .   (٢) آية ٢٦ .   (٣) آية ٣٠ .

على تفاهته وهيافته يزيد جداً من قدر نفسه فى عينى نفسه ، ورغم شرف الآخرين ونبلهم ، يحط من قدرهم ويغمز عليهم ويهينهم .

فنظرته باستمرار غير واقعية ومنحازة إلى ذاته المتضخمة ... وحين يدخل فى محك التجارب العملية التى لم يدخلها من قبل لأن «موآب مستريح منذ صباه وهو مستقر على درديه ولم يفرغ من إناء إلى إناء» (١) . حينئذ يعرف حجمه الحقيقى ، ويكتشف زيف تقديره لقدراته وقوة الآخرين التى تفوقه بكثير ... فينهار أمام نفسه ، ويبدأ كل من احتقرهم أن يخزوه ، ضاربين إياه على قفاه متواتراً ، .

✠

(١) آية ١١ .

٦٥- هل للتراب إفتخار ؟

✤ ما بالك تفتخرين بالأوطية ؟

(ار٤٩ ؛ ٤)

الافتخار آفة المجتمعات المعطوبة ، والشخصيات التافهة ، حيث يتباهى الشخص بأمور متمايزة لا يشاركه فيها آخرون ، وكل شخص يبحث عن أرضية يقف عليها يتفوق فيها على الآخرين ... الافتخار غباء (١) ، وغير مستحسن (٢) ، وهو ضد المحبة (٣) ، إنه مثير للغيظ من السامعين (٤) ... إنه من طبع الطبيعة الساقطة من بنى البشر . وليت الانسان فعلاً يفتخر فى ذاته بميزات يستحقها فمهما كان موضوع افتخاره ، يعود ويواجه الحقيقية أنه ليس أكثر من تراب ورماد (٥) فهل للتراب كرامة، وهل للرماد افتخار؟

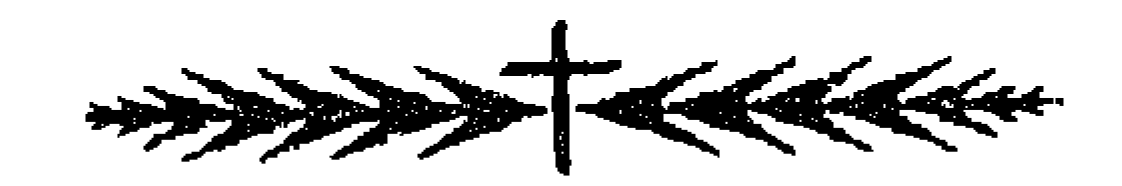
✤ حسناً قال ارميا النبى : « لا يفتخر الحكيم بحكمته (لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله) (٦) . ولا يفتخر الجبار بجبروته (لأن الموت له بالمرصاد) ولا يفتخر الغنى بغناه (لأنه زائل) بل بهذا ليفتخرن المفتخر بأنه يفهم ويعرفنى إنى أنا الرب الصانع رحمة وقضاءً وعدلاً فى الأرض . لأنى بهذه أسر يقول الرب » (٧) .

الوحيد الذى له حق الافتخار هو الله القدوس ... فهو متفرد فى كل أعماله وكل صفاته عن كل باقى خلائقه « لأن الرب عظيم ومفتخر جداً » (٨) . و « بالله نفتخر اليوم كله » (٩) .

---

(١) ٢كو ١١ : ١٦ . (٢) ١كو ٥ : ٦ . (٣) ١كو ١٣ : ٤ .
(٤) امل ٢٠ : ١١ . (٥) تك ٢ : ٧ ، ٣ : ١٩ . (٦) ١كو ٣ : ١٩ .
(٧) ار ٩ : ٢٣ . (٨) أى ١٦ : ٢٥ . (٩) مز ٤٤ : ٨ .

❖ العجيب فى التساؤل عاليه أن الانسان يفتخر ليس بالأمور العالية بل بالأوطية ! أى أنه يفتخر بأمور كان من المفروض أن يخزى ويخجل منها « مجدهم فى خزيهم » (١) .. « لأن الشرير يفتخر بشهوات نفسه » (٢) . فباطل هو الافتخار بالناس (٣) ، أو الافتخار بالغد (٤) ، أو حتى الافتخار بالانتصار الروحى فى حروب الرب ، ناسبًا النصرة لنفسك (٥) . فإن من أراد أن يفتخر فليفتخر بالرب (٦) ، وليس بأعماله هو (٧) ، الافتخار الوحيد المسموح به للانسان هو الافتخار باتضاعه (٨) ، وبأمور ضعفه (٩) ... فهل نغير منهجنا فى السلوك ؟



(١) فى ٣ : ١٩ . (٢) مز ١٠ : ٣ . (٣) اكو ٥ : ٦
(٤) ام ٢٧ : ١ . (٥) قض ٧ : ٣ . (٦) ٢كو ١٠ : ١٧ .
(٧) اف ٢ : ٩ . (٨) يع ١ : ٩ . (٩) ٢كو ١١ : ٣٠ .

٦٦- الذهن المرفوض

✤ **الا حكمة بعد فى تيمان ؟ هل**
بادت المشورة من الفهماء ؟ هل
فرغت حكمتهم ؟ (ار٤٩ : ٧)

تيمان وهى مدينة شمال المملكة السعودية اسمها الحالى تيماء ، فى الوسط بين مدينة حائل والبحر الأحمر ... وسكن منطقتها قبيلة من أبناء عيسو (١) المسمى (آدوم) وقد انتسب إليها أحد أصحاب أيوب الذين أتوا لتعزيته (٢) ، وهو اليفاز التيمانى ... ويذكر حبقوق النبى فى رؤياه « الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران (٣) ... ويبدو أن تلك القبيلة كانت تشتهر بالحكمة (٤) .

❖ القاعدة هى أن الرب هو الذى يمنح للانسان حكمة وفهمًا ، فإن إستغل الانسان فهمه وحكمته لمعرفة طرق الرب ، فإنه يزداد حكمة « أعط حكيمًا فيكون أوفر حكمة . علم صديقًا فيزداد علمًا » (٥) . أما إذا لم يستحسن أن يستغل حكمته فى معرفة طرق الرب ، فإن الله يتوعد بأنه « سيبيد حكمة الحكماء ، ويختفى فهم الفهماء » (٦) . « وإذا لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق » (٧) . « ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب » (٨) .

---

(١) تك ٣٦ : ١١ . (٢) أى ٢ : ١١ .
(٣) حب ٣ : ٣ ، أنظر تث ٣٣ : ٢ . (٤) عو ٨ . (٥) أم ٩ : ٩ .
(٦) اش ٢٩ : ١٤ . (٧) رو ١ : ٢٨ . (٨) ٢تس ٢ : ١١ .

وعندما يصاب الانسان فى قواه العقلية ، فهذه ضربة قاضية . فالرئيس الأميريكى الأسبق رونالد ريجان أصيب بمرض الزهيمر حتى أنه لم يعد يتذكر حتى كونه كان رئيساً لأمريكا !

فعندما يصاب صانعوا القرار فى دولة ما بالأمراض العقلية والتخلف الذهنى ، فإن قراراتهم المصيرية لابد وأن تودى بهم إلى الهلاك . كمثل أبشالوم ، الذى جعله الله لا يأخذ بمشورة أخيتوفل الجيدة وفضل عليها مشورة حوشاى الأركى المهلكة ... وهكذا هلك . هذا ما يتوعد به الله قبيلة تيمان التى من نسل آدوم ...



٦٧- دينونة آدوم

✤ لـو أتـاك القـاطفـون ، أفمـا كـانـوا يتـركـون غلالـة ؟ أو اللصوص ليلاً ، فمـا كـانـوا يهلكـون مـا يكفيهم ؟

(ار٤٩ : ٩)

أراد الله أن يبين من خلال نبوة ارميا عن آدوم فى التساؤل عاليه أنه سيدين آدوم وسيكون حكم الله عليها قاسيًا جداً يقارب المحق والابادة والافناء ... لأن الله يستعير تشبيهين ينطبقان تمام الانطباق على الدينونة الأخيرة .

١- **قاطفوا العنب** : ذكر فى سفر الرؤيا « وخرج ملاك آخر من الهيكل يصرخ بصوت عظيم إلى الجالس على السحابة : أرسل منجلك الحاد وأقطف عناقيد كرم الأرض لأن عنبها قد نضج » (١) .

والتساؤل يبين أن هذا الحصاد سيكون كاسحًا بحيث لا يبقى عنقوداً واحداً بل الكل سيلقى فى معصرة غضب الله العظيمة (٢) .

٢- **لصوص الليل** : « أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب كلص فى الليل هكذا يجئ » (٣) . أنه يوم مباغت ينفصل فيه الانسان عن كل ما يملك ، كمثل عتاة اللصوص الذين لا يكتفون بسلب كل ما هو شهى ، بل يهلكون المكان كله هلاكاً ... تدميراً وحرقاً ...

« ولكن سيأتى كلص فى الليل يوم الرب الذى فيه تزول السموات بضجيج وتنحل العناصر محترقة ، وتحترق الأرض والمصنوعات التى

---

(١) رؤ ١٤ : ١٨ ، يؤ ٣ : ١٣ .   (٢) رؤ ١٤ : ١٩ .   (٣) اتس ٥ : ٢ .

فيها » (١) . و « ها أنا آتٍ كلص . طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشى عرياناً فيروا عورته » (٢) . « فإنى أن لم تسهر أقدم عليك كلص ، ولا تعلم أية ساعة أقدم عليك » (٣) . « وأعلموا هذا ، أنه لو عرف رب البيت فى أى ساعة يأتى السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب » (٤) .



(١) ٢بط ٣ : ١٠ . (٢) رؤ ١٦ : ١٥ . (٣) رؤ ٣ : ٣ .
(٤) لو١٢ : ٣٩ .

٦٨- سر بابل أم الزوانى

✤ كيف قطعت وتحطمت مطرقة كل الأرض ؟
كيف صارت بابل ضربة بين الشعوب ؟
(ار ٥٠ : ٢٢)

✤ كيف استولى على بابل ؟ كيف سقطت
فخر كل الأرض ؟ كيف صارت بابل مثار
دهشة بين الأمم ؟ (ار ٥١ : ٤١)

بابل رمز لكل القوى التى تتحدى الله فى هذا العالم (١) ، لذلك سميت أم الزوانى (٢) (عن الله) وهى أيضاً رمز للألوهية الصنمية (٣) ...

ونحن نعلم من التاريخ المعاصر القريب ، كيف دخلت العراق حرباً مع تحالف دولى بقيادة أمريكا ، وذلك بسبب طمع العراق فى الاستيلاء على دول الخليج الغنية بالنفط ، وسميت تلك الحرب بأم المعارك وانهار العراق ، ولكن النظام الحاكم اعتبر أنه قد انتصر لعدم انهيار الحكام ، أما التحالف فقد سمى هذه الحرب بأم الهزائم للعراق ... أما الكتاب المقدس فقد سمى بابل هذه بأم الزوانى بسبب خطاياها الكثيرة نحو الله ...

✤ ولبابل فى الكتاب المقدس ثلاثة مواقف :

أولاً : محاولة بناء برج بابل بعد طوفان نوح (٤) .

ثانيًا : واقعة سبى بنى اسرائيل إلى بابل (٥) .

ثالثًا : بابل سفر الرؤيا – امرأة سكرى بدم القديسين (٦) .

---

(١) ار ٥٠ : ٣١ . (٢) رؤ ١٧ : ٥ . (٣) ار ٥٠ : ٣٨ .
(٤) تك ١١ : ١ – ٩ . (٥) ٢ أى ٣٦ : ٢٠ . (٦) رؤ ١٧ : ٥ .

١- بناء برج بابل

من المعروف أن كلمة بابل تعنى بلبلة الألسن « لذلك دعى اسمها بابل لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض ، ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض » (١) . ولكن الكلمة فى الأصل بابل (أى باب ايل) ، بمعنى أن القبائل القديمة كانت تعتقد أن الباب الذى يؤدى إلى الله فى جنته يقع عند هذه البقعة من الأرض ... ولذلك فكروا اقتحام هذا الباب والدخول منه عنوة إلى الجنة مرة أخرى ببناء برجًا عاليًا رأسه بالسماء (٢) ... ولكن الله فشّل مشروعهم بأن بلبل ألسنتهم هناك ، وهكذا يعلمنا الكتاب المقدس أن الانسان لا يستطيع أن يقتحم الجنة التى طرده منها الله ، إلا بحسب اذن وتدبير الله نفسه حين أرسل يسوع القائل : « أنا هو الباب (إلى الله) ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بى » (٣) . لقد كان برج بابل هو أول عمل يتحدى به الانسان الله ، واتخذت كلمة بابل هذا المفهوم عبر الكتاب المقدس ...

٢- سبى بابل

عندما اختار بنى اسرائيل أن يعبدوا أصنام العالم تاركين كل نواميس وشرائع الله ، أراد الله أن يؤدبهم ، فأسلمهم ليد ملك بابل ... فحينما رفضوا الله أعطاهم ما يريدون بأن ينضموا إلى القوة الدنيوية التى تتحدى الله ، ليختبروا مدى الهوان الذى فى الابتعاد عن الله ومعاداة الله ... ومدى شراسة هذه القوى المعادية فى اذلالهم ... فحينما يستوعبون هذا الدرس جيداً ، يعود الله ويستخلصهم لنفسه كاسراً كبرياء بابل . والدروس التى نستخلصها من تجربة السبى كما جاءت فى الكتاب المقدس هى :

---

(١) تك ١١ : ٩ . (٢) تك ١١ : ٤ . (٣) يو ١٠ : ٩ ، ١٤ : ٦ .

أ- السبى جاء نتيجة لانحراف الشعب عن طرق الله ، وانبهاره بطرق العالم المعادى لله .

ب- فى وسط التجربة الله يحفظ المخلصين له ، كما حفظ الثلاثة فتية وسط أتون النار (١) ، وأيضاً كما حفظ دانيال من جب الأسود (٢) ، وحفظ أستير وشعبها من شر هامان الذى خطط لابادتهم (٣) .

جـ- الله يُظهر قوته حتى فى ملك بابل الذى سبى الشعب ، حين طُرد نبوخذنصر من بين الناس ، وسكن مع حيوان البر وكان يأكل العشب كالثيران ، حتى يعلم أن العلى متسلط فى مملكة الناس وأنه يعطيها من يشاء ، (٤) .

د- السبى هو لفترة محدودة ، يعود بعدها الشعب التائب إلى الله إلى ما كان عليه وأكثر حيث بنى نحميا أسوار أورشليم (٥) ، وبنى زُربابل الهيكل من جديد (٦) ، وأحيا عزرا النبى شريعة الله من جديد (٧) .

٣- بابل فى نهاية الأزمنة

فى العهد الجديد ، وبعد مجئ المسيح له المجد ، وتأسيسه لكنيسة القديسين على الأرض ، كانت كنيسة المسيح طاهرة بفعل روح الله القدوس فيها (٨) ، ونامية (٩) ، وقوية (١٠) ، ومهابة (١١) ....

ولكن ، ومع مرور الزمن ، دخل فيها السراق واللصوص (١٢) ، والذئاب

---

(١) دا ٣ : ٢٧ . (٢) دا ٦ : ٢٢ . (٣) أس ٨ : ٧ .
(٤) دا ٤ : ٣٢ . (٥) نح ٦ : ١٥ . (٦) حج ١ : ١٤ .
(٧) عزرا ٦ : ٢١ . (٨) أف ٥ : ٢٦ . (٩) اع ٢ : ٤٧ .
(١٠) أع ٤ : ٣٣ . (١١) أع ٥ : ١٣ . (١٢) حز ٤ : ٢ .

الخاطفة التى فى ثياب حملان (١) ، والمتجسسون على الحرية التى لنا فى المسيح (٢) ، ثم دخلها بشر استطاعوا أن يدخلوا الخطية فى وسطها ، ونصبوا أصناماً فى باحاتها ... وتكوّن من كل هؤلاء جبهة واحدة تتحدى الله حتى من وسط محافل الكنيسة ! وأصبحت الكنيسة كنيستان ، كنيسة تحتضن المسيح وتتسربل به بكل اخلاص ، وكنيسة أخرى متحالفة مع العالم المعادى لله ... ويرمز سفر الرؤيا لهاتين الكنيستين بامرأتين ... الأولى متسربلة بشمس البر (٣) (الذى هو المسيح) وهى حبلى ، وقد ولدت ابناً ذكراً عتيداً أن يرعى جميع الأمم بعصا من حديد (٤) (وهو يرمز أيضًا إلى المسيح) أثنى عشر كوكباً يكونان أكليلاً على رأسها (أى أنها مؤسسة على تعاليم الرسل الاثنى عشر) (٥) . إنها الكنيسة المخلصة للمسيح ، والمضطهدة من العالم والشيطان (٦) .

أما الكنيسة الأخرى فهى زائفة ، جالسة على وحش قرمزى مملوء اسماء تجديف ، (٧) . هذا المرأة لا تتسربل بالمسيح المتواضع ، بل ، يأرجوان وقرمز ومتحلية بذهب وحجارة كريمة ولؤلؤ ، (٨) . أى أنها متسربلة بكل مناظر أبهة العالم . أنها جالسة على ، المياه كثيرة ، (٩) . التى هى ، شعوب وجموع وأمم وألسنة ، (١٠) . أى أن لها الشعبية والامتداد على الأرض وليست كمثل الكنيسة الحقيقية التى أعد لها الرب مكاناً يصونها من هجمات الوحش فى البرية (١١) !

الكنيسة الزائفة سكرى من دم القديسين ومن دم شهداء يسوع (١٢) ،

---

(١) متى ٧ : ١٥ . (٢) غل ٢ : ٤ . (٣) ملا ٤ : ٢ .
(٤) مز ٢ : ٧ ، ٨ . (٥) أف ٢ : ٢٠ . (٦) رؤ ١٢ : ١ - ٦ .
(٧) رؤ ١٧ : ٣ . (٨) رؤ ١٧ : ٤ . (٩) رؤ ١٧ : ١ .
(١٠) رؤ ١٧ : ١٥ . (١١) رؤ ١٢ : ٦ . (١٢) رؤ ١٧ : ٦ .

لأنها لا تطيقهم إذ هم يكشفون خداعها ، لذلك هى تنتشى حينما تذبحهم وتشرب من دمهم ... حيث أن لها ، ملك على ملوك الأرض ، (١) .

ولسنا نريد هنا أن نتمادى فى تشخيص مواصفات الكنيستين فكل دارس للكتاب المقدس يمكنه أن يرجع إلى سفر الرؤيا الاصحاح ١٧ ، ١٨ مع نبوات ارميا اصحاح ٥٠ ، ٥١ ... الخ ليحدد هذه المواصفات بنفسه ثم يسأل نفسه سؤالاً هاماً جداً : ترى هل أنا أتبع المسيح مع كنيسته الحقيقية ، أم أنا مسيحى مخدوع أتبع كنيسة زائفة متحالفة مع صنمية العالم ؟

الله ، كما أباد بابل البرج ، وأباد بابل السبى ، هكذا سيسحق بابل نهاية الأزمنة لذلك ، أخرجوا منها يا شعبى لئلا تشتركوا فى خطاياها ، ولئلا تأخذوا من ضرباتها ، (٢) . ، ورفع ملاك واحد قوى حجراً كرحى عظيمة رماه فى البحر قائلاً : ، هكذا بدفع سترمى بابل المدينة العظيمة ولن توجد فى ما بعد ، (٣) . ، إذ قد دان الزانية العظيمة التى أفسدت الأرض بزناها ، وانتقم لدم عبيده من يدها . وقالوا ثانية هللويا . ودخانها يصعد إلى أبد الأبدين ، (٤) .

* * *

---

(١) رؤ ١٧ : ١٨ .　(٢) رؤ ١٨ : ٤ .　(٣) رؤ ١٨ : ٢١ .
(٤) رؤ ١٩ : ٢ ، ٣ .

لماذا سفر المراثى ؟

سفر مراثى ارميا النبى سفر رائع ، أوحى به الروح القدس ، وهو لا يقصد أن يكون مجرد صدى للحزن والأسى والشجن على كارثة السبى التى حلت على بنى اسرائيل ، بل القصد هو التبشير المفرح بمجئ شخص الفادى يسوع المسيح فى هذا الوقت بالذات المناسب جداً ليشير بأنه هو الذى سيتحمل المهانة والمذلة عوضاً عن خطايا البشر لكى ينقذهم من سبى الخطايا ... لذلك رتبت الكنيسة قراءة الجزء الرئيسى من مراثى ارميا ضمن نبوات الساعة الثانية عشر (السادسة عصراً) وهى ساعة دخول المسيح إلى القبر بعد احتماله كل الآلام الهائلة والباهظة جداً عنا ...

ما أروع هذا السفر حينما يكون المسيح له المجد هو الخلفية الفكرية فى كل آية منه لكل من يقرأ ويسمع ...

وعلى هذا ، يمكن تقسيم السفر على النحو التالى :

مراثى ١ : ١ – ١١ : وصف أشجان الشعب اليهودى بعد أن تسربت منه كل مواعيد الله بسبب خطاياه وصار تحت القصاص بعد أن كان مختاراً ، ومتمتعاً بعناية الله ومواعيده السخية .

مراثى ١ : ١٢ – ١٩ : ضياع كل وسائل الشعب اليهودى للخروج من محنته ، كمثل غريق التهمته الأمواج ، وهو يستغيث ولا منقذ ، فلا الكهنة ولا الملوك ولا الشباب ، ولا عابرى السبيل ولا الجيران بل الجميع شامتون ويتمنون المزيد .

مراثى ١ : ٢٠ – ٢٢ : وحتى الصلاة هى بلا استجابة ، فالمصائب الحالة هى عقاب عن خطايا فظيعة .

مراثى ٢ : ١ – ١٠ : الله قطع كل علاقاته مع الشعب اليهودى . فقد كره السيد مذبحه ورذل مقدسه .

مراثى ٢ : ١١ – ١٩ : استعراض لمناظر الهوان لعلها تثير الشفقة عند الله والناس ، وادراك أورشليم أخيراً أن لا سبيل للنجاة إلا بأن تسكب قلبها أمام الرب .

مراثى ٢ : ٢٠ – ٢٢ : صلاة لتحريك حنان الله

مراثى ٣ : ١ – ١٨ : استعلان رجل الله الفادى ، وهو الرب يسوع المسيح الذى سيسحقه الرب بالحزن فداءً لخطايا العالم كله ، وليس لليهود فقط .

مراثى ٣ : ١٩ – ٥٤ : فجر الرجاء والأمل فى انقاذ العالم كله من جب الخطية التى سقطت فيه . .

مراثى ٣ : ٥٥ – ٦٦ : صلاة اليقين ، الآن الرب يدنو إلى كل من يدعوه ويقول له : لا تخف .

مراثى ٤ : ١ – ٥ ، ٨ : يصور القساوة التى حصلت جزئياً على اسرائيل الذى لم يؤمن بالمخلص يسوع ، قربت نهايتنا كملت أيامنا لأن نهايتنا قد أتت ، .

مراثى ٤ : ٢٠ – ٢١ : بعض الأمم أيضاً سوف لا يؤمنون بالمسيح كمثل بنت آدم ، وساكنة عوص ... ولكنها ستشرب من نفس كأس غضب الله .

مراثى ٥ : ١٩ – ٢٢ : توسل لأجل خلاص البقية الباقية من الأمم ، ومن اسرائيل .

٦٩- بعد العاصفة

كيف جلست وحدها المدينة الكثيرة الشعب ؟
كيف صارت كأرملة العظيمة فى الأمم ؟
(مراثى ١ : ١)

لقد اختلف المنظر بعد مداهمة جيش الكلدانيين كمثل العاصفة الكاسحة ، فالمنظر الآن : بيوت مهدمة ، وخرابات ، وقصور سوداء محروقة بنار ، وشوارع مليئة بجيف القتلى ، وقلة باقية تئن جوعًا وقد انتشرت فيهم الأوبئة ، أما الأصحاء الذين نجوا ، فقد سيقوا كالإنعام وهم مكبلون إلى بابل حيث تحتم عليهم أن يتركوا بيوتهم وحقولهم ومتاجرهم ذاهبين إلى أرض السبى ونفق منهم فى الطريق من نفق ومات من مات تحت قسوة الجنود الذين سبوهم ... ويالها من عاصفة مروعة ...

لذلك تتضرع الكنيسة فى أوشية الموضع متوسلة إلى الله : نجنا كلنا من الغلاء والوباء والحرق والغريق ومن سيف الغريب وسبى البربر وقيام الهراطقة ... ويرد الشعب : ياربي أرحم .

أتخيل إنسانًا يتجول وسط تلك الركام بعد انتهاء الغزو ... ها قد سكن كل شئ ... الجنود غادروا بسبيهم وأصوات البكاء والأنين فى كل موضع ، وروائح الجيف المتعفنة تنبعث فى كل مكان ، مع طنين الذباب الأزرق ، وحركة الجرذان ، والدود الشنيع يستشرى ، وعندما يأتى الليل فليس هناك أى مصباح مضاء فتتضاعف الرعبة .

آه لو عرف الانسان أن كل هذا قد حصل لأنه قد أغضب الله ، لما أخطأ بهذه الشناعة من البداية ... يزهو بجسده ، ويتشامخ بجهله على نواميس الله ويظن أنه قد ملك الحاضر والمستقبل .

تخيلوا معى مدينة مثل نيويورك خلت من سكانها وتحولت إلى مدينة أشباح ، كيف جلست وحدها المدينة الكثيرة الشعب ؟ كيف صارت كأرملة العظيمة فى الأمم ؟ ، هذا هو حال الخطاه حينما تكتنفهم عاصفة غضب الله .



٧٠- عـابروا الطـريق

✤ **أمـا إليكـم يـا جـمـيـع عـابـرى الطـريـق ، تـطلعوا وأنظروا أن كان حـزن مثل حزنى ؟**

(مراثـى ١ : ١٢)

كـمـثل الانـسـان الذى وصـفـه الرب يـسـوع المسيح فى مـثـل السـامـرى الصـالـح، الذى وقع بين اللصوص فعروه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حى وميت (١) ... هو يئن أنيناً خافتاً بمثل هذا التساؤل وهو مطروح غير قادر على الحركة ومثخن بالجراح « أما إليكم يا جميع عابرى الطريق تطلعوا وأنظروا أن كان حزن مثل حزنى » .

لقد كـان الرجل نازلاً من أورشليم (مـديـنـة اللّه) (٢) إلى أريـحـا (مـديـنـة اللعنة) (٣) ويالـهـا من مـخـاطـرة ، ها هو يلـتـمـس من كل عـابـر طـريـق أن يـتـحـنن على حـاله وهو ملقى مـدرجـاً فى دمائـه ... لقد عبـر كـاهن ولاوى (وهما يمثلان الشريعة والذبائح التى فى العـهـد القديم) وسمعا أنين الرجل المحتـضـر ووصلا إلى مكانه وتأملا حـالته التى يرثى لها ولكنهمـا عـبـرا واجتازا دون أن يفعلا للمحتضر شيئاً ، فربما رأيا أنه حـالة ميئوس منها ... أو ربما لأنهما لاما الرجل على تركه أورشليم وذهابه فى طريق أريحا فعليه أن يتحمل حماقة تصرفه ...

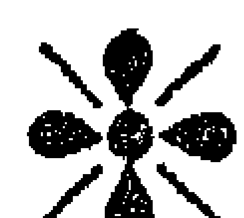
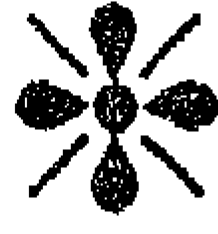
ولكن لا شك أن هذا النداء فى سفر مراثى ارميا يجعل الانسان المسكين يتطلع إلى المنقذ الذى هو ربنا يسوع المسيح الذى قال اليهود عنه : « ألسنا نقول حـسناً أنك سامـرى ... » (٤) . فـهـو السـامـرى الصـالح الحـقيقى الذى

---

(١) لو ١٠ : ٣٠ . (٢) مز ٨٧ : ٣ . (٣) يش ٦ : ٢٦ .

(٤) يو ٨ : ٤٨ .

تحنن على الانسان المسكين وتقدّم وضمد جراحاته وصب عليها زيتاً وخمراً وأركبه على دابته وأتى به إلى فندق وأعتنى به ... متحملاً هو وحده كل مصاريف علاجه حتى عاد صحيحاً ... ياللنا من محظوظين بربنا يسوع المسيح ، الذى تحنن علينا نحن جنس البشر الخطاة والمشرفين على الهلاك ، وأعادنا إلى الحياة .

٧١- أين الخبز والخمر

✤ أين الخبز والخمر؟
بماذا أنذركِ، وبأى شئ أشبهك يا ابنة أورشليم ؟ بماذا أقارنك فأعزيكِ أيتها العذراء ابنة صهيون ؟ ... فمن ذا يبرئكِ ؟

(مراثى ٢: ١٣)

روعة سفر ارميا أنه مع التوصيف المؤثر لكل الكوارث التى حلت باسرائيل ، يشير خفيًا إلى مجئ يسوع المسيح الذى سيعيد كل الأمور إلى نصابها ...

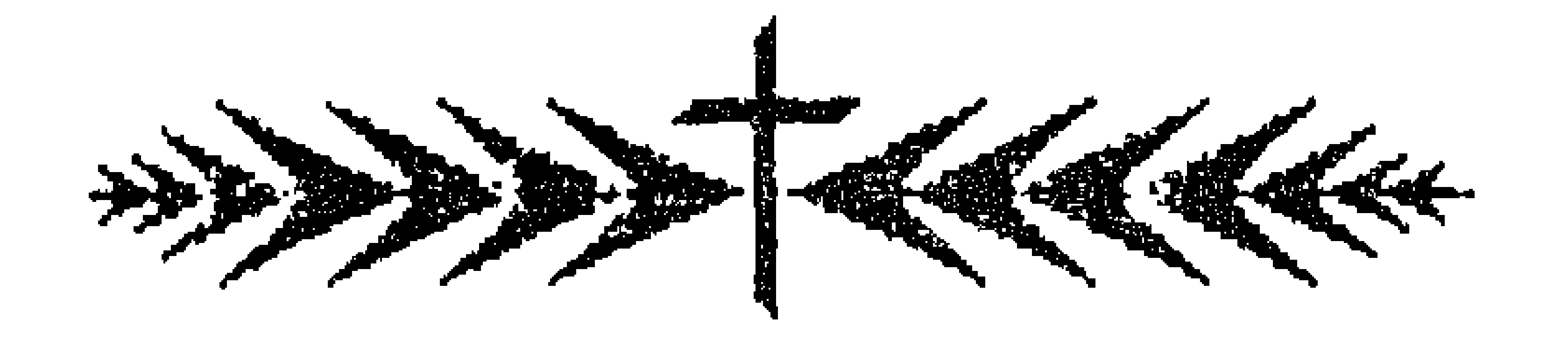
ففى هذه الفقرة وصف مؤثر : أطفال يموتون بين أيادى أمهاتهم – تهرق حياتهم فى أحضان أمهاتهم وهم يسألوهن باكين : أين الخبز والخمر ؟ ثم يغشى عليهم كالجرحى فى شوارع المدينة (١) ...

فمن الواضح أنهم جائعون إلى أفخارستيا المسيح التى أسسها ليلة خميس العهد (٢) ... وهى أفخارستيا ملكيصادق (٣) الذى يبقى كهنوته إلى الأبد بقسم . الأطفال يموتون وهم جائعون للمسيح ولكن الأنبياء الكذبة عندهم يصدونهم عن الاتيان للمسيح كى يحيوا لذلك هم يموتون كمثل آباؤهم الخطاة الذين ماتوا فى الشوارع « أنبياؤك رأوا لك كذبًا وباطلاً ، ولم يعلنوا إثمك ليردوا سبيك بل رأوا لك وحيًا كاذبًا وطوائح » (٤) . لقد سلم المسيح

(١) آية ١٢ . (٢) لو٢٢ : ١٩ ، ٢٠ . (٣) تك ١٤ : ١٨ .
(٤) آية ١٤ .

جسده ودمه شفاءً لكل البشرية ، ولكن أنبياء كذبة شككوا المحتضرين فى الدواء الذى يعطيهم حياة ، فماذا يبقى أمامهم إلا أن يموتوا !

هنا الله ينذر إبنة أورشليم ، أى الجيل التالى للسبى ، ويعزى العذراء ابنة صهيون ، ولا يريد أن يقارنهم بآبائهم الذين ماتوا متشككين فى المسيح ... فبعد رفض المسيح الذى هو الدواء الوحيد ، من يستطيع أن يشفى ويبرئ من أسقام الخطايا ... وعلى ضوء هذا نفهم ما قال المسيح له المجد « الحق الحق أقول لكم أن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم » (١) .



(١) يو ٦ : ٥٣ .

٧٢- الا يرى الرب هذه الامور ؟

✥ **من ذا الذى يقول فيكون ، والرب لم يأمر ؟** (مراثى ٣ : ٣٧)

فى وسط أحلك الظروف تتلألأ ومضات من النور المعزى ، ونحن نرى فى هذا الاصحاح العديد من الومضات المضيئة يسوقها روح الله القدوس بعد تجربة السبى القاسية .

١- « إنه من احسانات الرب أننا لم نفن » (١) . فطالما أبقى الله فينا نسمة حياة ، حتى ونحن فى وسط ضيقات مرة كالعلقم والأفسنتين ، فهذا يدل على أن لنا أمل فى المستقبل ، مجرد بقاؤنا على قيد الحياة فهذه اشارة من الله أنه ينوى أن ينقذنا ، لأنه لو لم تكن نيته هكذا لأفنانا كمثل الذين أفناهم ، وتوقفت نسمة الحياة عندهم .

٢- حتى ونحن أسرى ، ومظلومين بلا حقوق ، وكل الشكاوى التى نقدمها لا يلتفت إليها أحد ، إلا أن الله يرى كل هذا ، ويعلمها جيداً ، ولابد أن عنده حكمة معينة لفائدتنا ، كوننا نمر فى هذه الأهوال .

٣- « جيد أن ينتظر الانسان ويتوقع بسكوت خلاص الرب » (٢) . لأن الشكوى والصراخ والندب والعويل أثناء التجربة لا يجدى شيئًا ، بل كأنه تذمر على الله نفسه ... ما أجمل حياة التسليم فى سكون لكل أحكام وتدابير الله !

٤- تقوية الرجاء ، بأن احسانات الله جديدة كل صباح (٣) ، وهو كثير

---

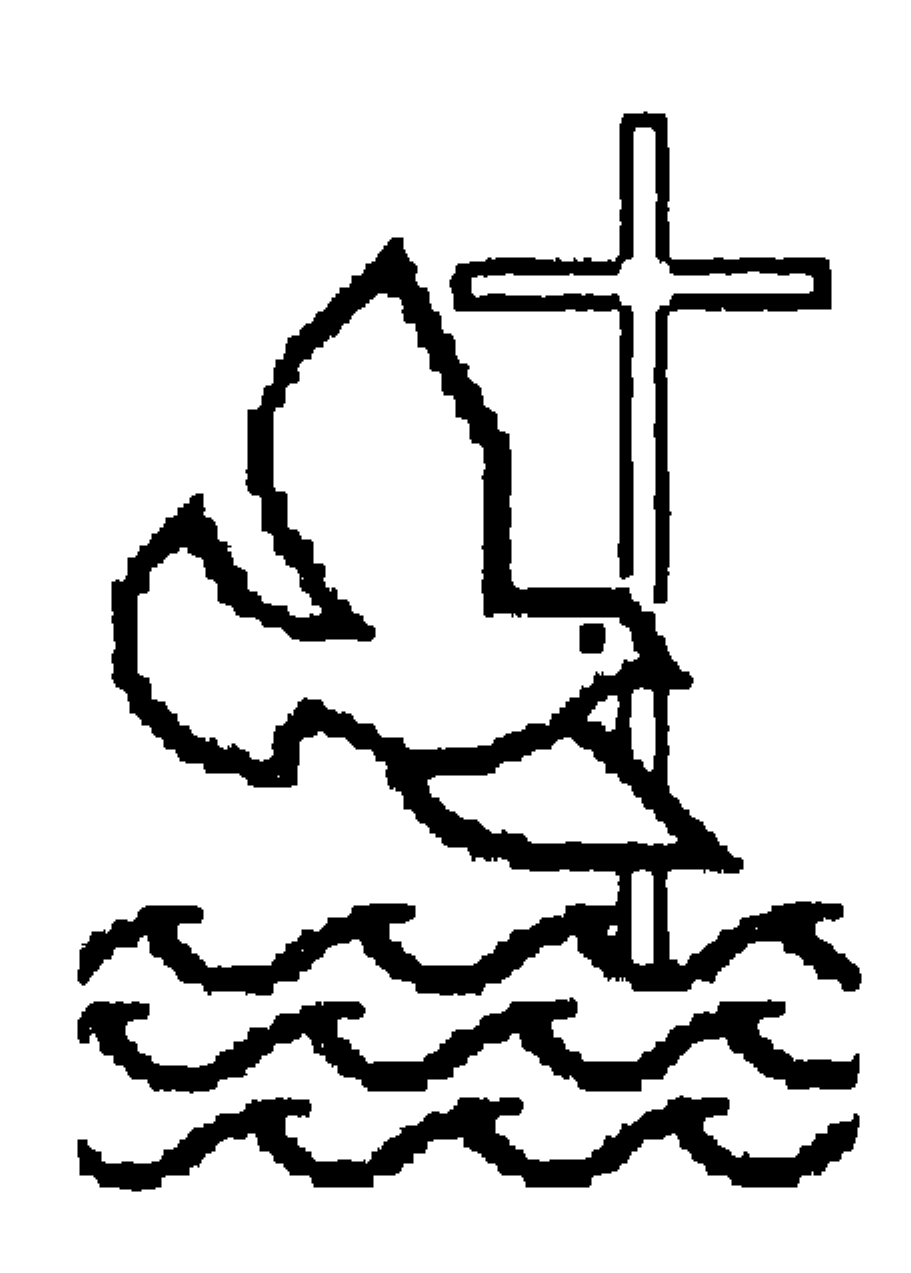
(١) مراثى ٣ : ٢٢ . (٢) مراثى ٣ : ٢٦ . (٣) آية ٢٣ .

الأمانة (١) ، طيب لكل الذين يترجونه (٢) .

٥- وتثبيت التكريس لله ، « نصيبى هو الرب قالت نفسى » (٣) حاملاً نير الله بفرح حتى منذ الصبى وإلى الشيخوخة (٤) .

٦- هو نفسه يسير فى طريق الآلام بلا شبع عالماً أنه يتمثل بالمسيح « الرجل الذى رأى مذلة » (٥) ، فهذا لايقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا (٦) .

٧- الاعتقاد الراسخ بأن كل ما يجرى هو بأمر من الله ، كما فى التساؤل عاليه ... فالله هو ضابط الكل .



---

(١) آية ٢٣ . (٢) آية ٢٥ . (٣) آية ٢٤ .

(٤) آية ١ . (٥) رو ٨ : ١٠ .

٧٣- توظيف الشر للخير

✤ من فم العلى ، ألا تخرج الشرور
والخير ؟ (مراثى ٣ : ٣٨)

يظن الأشرار أنهم يفسدون سبل الله المستقيمة (١) ، ولكنهم لا يعلمون أن الله يستفيد حتى من شرهم لإنجاح كلمته ومشورته وتدابيره !

❖ لقد حاول عليم الساحر أن يُفسد إيمان سرجيوس والى قبرس فلما انتهره بولس الرسول قائلاً له : « أيها الممتلئ كل غش وكل خبث يا ابن ابليس يا عدو كل بر ... هوذا يد الرب عليك فتكون أعمى لا تبصر الشمس ففى الحال سقط عليه ضباب وظلمة ... فالوالى حينئذ لما رأى ما جرى آمن » (٢) . وهكذا استغل الرب شر الساحر ، كى تؤمن جزيرة قبرس كلها بالمسيح .

- واستفاد الرب من شر يهوذا الاسخريوطى ، كى يقوم بعملية تسليم المسيح ليُصلب ، الأمر الذى جلب الخلاص للبشرية جمعاء (٣) .

- وبولس الرسول خدم فى سجونه ووثقه ، وكسب نفوساً للمسيح ربما أكثر مما كان هو مطلق السراح ، ولدينا سجان فيلبى وأهل بيته (٤) ، وأيضاً أنسيموس الذى يذكر الرسول أنه ولده فى قيوده (٥) ، حتى أنه لقب نفسه أنه سفير (ليسوع) فى سلاسل (٦) « حتى أن وثقى صارت ظاهرة فى المسيح فى كل دار الولاية وفى باقى الأماكن أجمع » (٧) .

---

(١) أع ١٣ : ١٠ .
(٢) أع ١٣ : ٦ - ١٢ .
(٣) يو ١٣ : ٢٧ .
(٤) أع ١٦ : ٣٤ .
(٥) غل ١٠ .
(٦) أف ٦ : ٢٠ .
(٧) فى ١ : ١٤ ، ١٥ .

- ومن خلال رسائل سجنه التى صارت نوراً لكل الأجيال .

- أخوة يوسف قصدوا به شراً بالقائه فى الجب ، أما الرب فجعل نفس هذا العمل بركة لبيت يعقوب (١) .

❖ وهنا فى هذا التساؤل ، حدثت مضرة هائلة على الشعب حين دخل فى تجربة السبى ، ولكن هذه التجربة نفسها كانت فى غاية الأهمية كى يخلص الشعب لله ، نازعين من حياتهم كل العبادات للآلهة الغريبة أياً كانت ... وعاش الكثيرون فى البر والتقوى حتى جاء زكريا الكاهن وزوجته اليصابات ثم السيدة العذراء التى ولدت يسوع مشتهى الأمم (٢) .

* * *

(١) تك ٤٥ : ٧ . (٢) حج ٢ : ٧ .

٧٤- شكوى باطلة

✤ **لماذا يشتكى الانسان الحى ، الرجل من قصاص خطاياه ؟ (مراثى ٣ : ٣٩)**

كان يمكن أن تختصر آية التساؤل على النحو التالى : « لماذا يشتكى الانسان من قصاص خطاياه » ولكننا نلاحظ أن الروح القدس قد أضاف كلمتين فى وسط الآية ، وهذه الاضافة غاية فى الأهمية ...

فالانسان الذى يتعجب الروح القدس أنه يشتكى من قصاص خطاياه ليس هو أى انسان ، بل الانسان **الحى** ، **الرجل** .

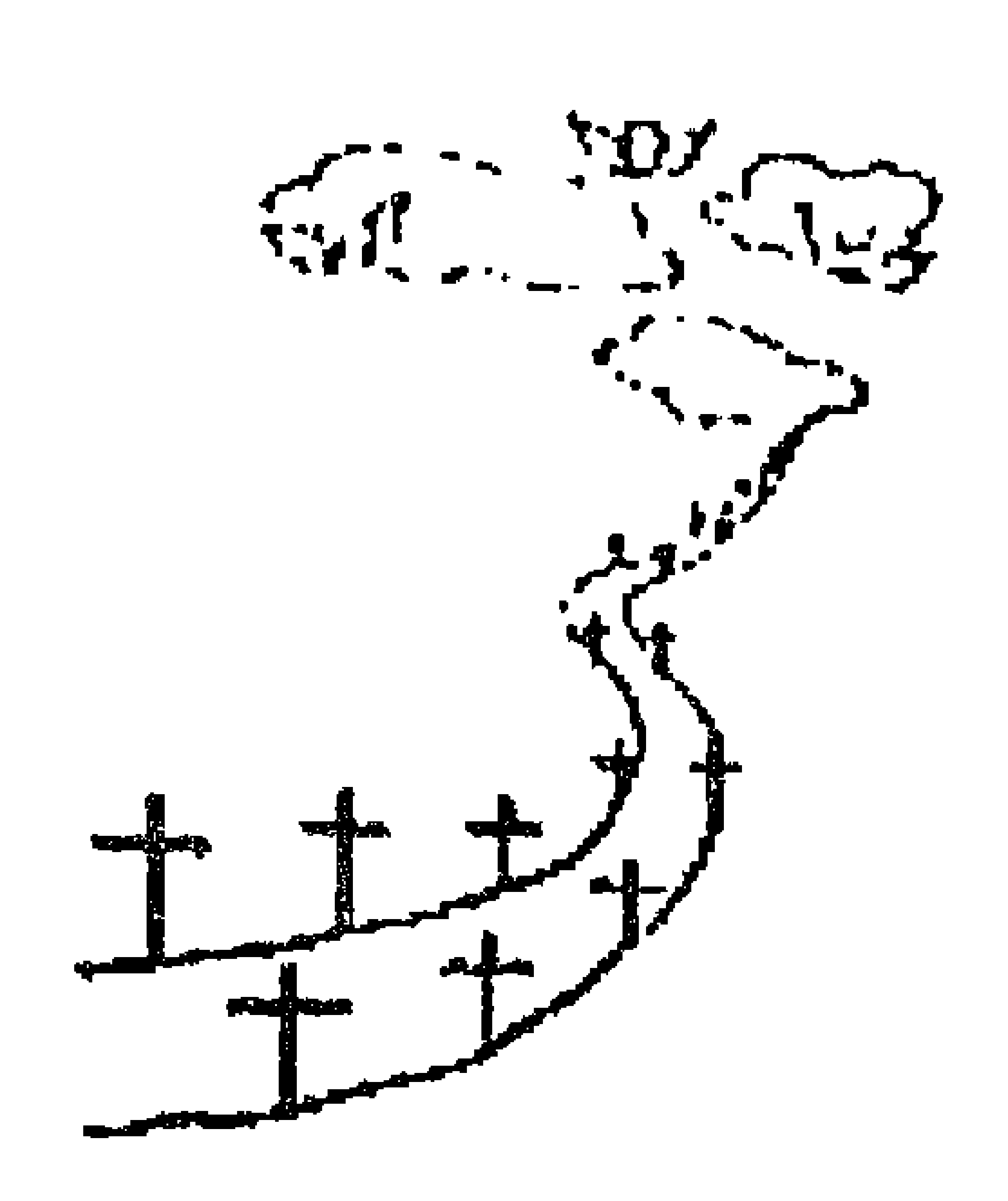
ووجه تعجب الروح القدس ، أنه طالما الانسان نال الحياة فلا مجال للشكوى ، والانسان ينال الحياة لأن المسيح له المجد هو الذى رفع عنه قصاص خطاياه بدليل أنه لم يمت حسب القاعدة « أجرة الخطيئة هى موت» بل نال الحياة بربنا يسوع المسيح (١) ، فأضحى حيًا ، فهذه الآية تعزى الانسان الحى ، مبشرة إياه بأن كل قصاص خطاياه قد حمله المسيح عنه .

❖ أما إضافة كلمة **الرجل** أيضًا ، فلا يخفى أن هذا الاصحاح الذى يتحدث عن مجئ المسيح وآلامه عن البشر يبدأ بالآية « أنا هو الرجل ... » (٢) . بل أن بيلاطس أخرج يسوع المعذب إلى الجماهير « فخرج يسوع خارجاً وهو حامل اكليل الشوك وثوب الأرجوان . فقال لهم بيلاطس **هوذا الانسان** » (٣) . فكل انسان يقبل الآلام الكفارية التى أداها يسوع عنه هو شخصيًا ، يصير على صورة المسيح ، فيكون وكأنه هو

---

(١) رو ٦ : ٢٣ .   (٢) مراثى ٣ : ١ .   (٣) يو ١٩ : ٥ .

الرجل الذى رفع عنه المسيح المتألم الحقيقى كل قصاص خطاياه وفى نفس الوقت كساه المسيح برداء بره ، احتمل غضب الرب لأنى أخطأت إليه حتى يقيم دعواى ويجرى حقى سيخرجنى إلى النور (نور المسيح) سأنظر بره (بر يسوع) ، (١) . ، الآن نحن أبناء الله ... ولكن نعلم أننا سنكون مثله لأننا سنراه كما هو ، (٢) .



(١) مى ٧ : ٩.   (٢) ١يو ٣ : ٢ .

٧٥- المستحيل !

❖ **كيف أكدر الذهب ، تغير الابريز الجيد ؟** (مراثى ٤ : ١)

فى حرب الخليج ، تقدم العراق بقواته زاحفاً ليحتل إمارة الكويت ، وفر أميرها الشيخ جابر إلى السعودية ... وأهتم الرئيس الأميركى جورج بوش آنذاك بهذا الأمر واعداً الأمير الشيخ جابر أنه سيعود إلى إمارته ... وبالفعل استطاع جورج بوش أن يدحر القوات العراقية وأخرجها من الكويت وعاد الأمير إلى امارته ... ولما أراد الأمير أن يكافئ الرئيس الأميركى ، أهداه بمثل وزنه ذهباً خالصاً ... فتشبيه انسان بالذهب يشير إلى مدى نبله وعلو قدره ومكانته .

وعلى هذا نستطيع أن نفهم الآية : « بنو صهيون الكرماء الموزونون بالذهب النقى ، كيف حسبوا أباريق خزف » (١) . لقد كان كل واحد منهم كحجارة من ذهب (٢) لبناء القدس وقدس الأقداس فى الهيكل (٣) ، فهم فى جماعتهم المتحدة هيكل مقدس تصعد منه التسابيح ليل نهار إلى الله ... ولكن بعد السبى « إنهالت حجارة القدس فى رأس كل شارع » (٤) .

❖ كلمة الله التى تشبه بالذهب الخالص (٥) ، تكدرت فى وسطهم ولم يعطوها سلطاناً على قلوبهم ، لذلك تكدرت عندهم وباتت وكأنها قد فقدت قيمتها فى أعينهم . عن هذا يتعجب روح الله « كيف أكدر الذهب ، تغير الابريز الجيد » .

---

(١) مراثى ٤ : ٢ . (٢) ابط ٢ : ٥ . (٣) مز ١٤٤ : ١٢ .
(٤) مراثى ٤ : ١ . (٥) مز ١١٩ : ٢٧ .

❖ ربنا يسوع المسيح الذى هو إله من إله ، وفيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً (١) التى يرمز إليها بالذهب الخالص فى السماء (٢) ، كمثل الابريز الجيد ، عندما أراد أن يفدى البشر أخذ طبيعتنا البشرية (٣) وجاء إلى الأرض فى شبه جسد الخطية (٤) ... لذلك ، وعن هذا يتعجب روح الله القدوس ، كيف أكدر الذهب ، تغير الابريز الجيد ، فتجسد المسيح الكائن على الكل الهاً مباركاً ، (٥) كأنه تكدير للذهب وتغيير للابريز ... ولكن كل هذا لأجل خلاصنا .



(١) كو ٢ : ٩ . (٢) رؤ ٢١ : ٢١ . (٣) فى ٢ : ٧ .
(٤) رو ٨ : ٣ . (٥) رو ٩ : ٥ .



فهرست الكتاب

✝ ✝ ✝

يطلب من مكتبة كنيسة مارجرجس باسبورتنج
ت: ٠٣/٥٩١٩٨٨٨ فاكس: ٠٣/٥٩٠٢٨٨٨